
الملحمة الإسلامية
الكبرى
عمر
الجزء الأول
تأليف
علي أحمد باكثير
الناشر
مكتبة مصر
@ketab_n
Follow Me
5.3.2016

ملحمة عمر

على أسوار دمشق

علي احمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

دار مصر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

عَلىٰ أسوارِ دِمَشق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

[قرآن كريم]

الحمد لله الذى أمدنى بروح من عنده حتى أنجزت كتابة هذه الملحمة ، وما كنت لأنجزها لولا عونه عزّ وجل وتيسيره .

وأتوجه بالشكر إلى كل من أعاننى على إنجازها ولو بكلمة طيبة .

وأخص بالذكر أخى وصديقى الأستاذ حامد سعيد مدير إدارة التفرغ والبحوث الفنية بوزارة الثقافة والإرشاد القومى لما تعهدنى به من تشجيع مخلص صادق وشاطرنى حمل العبء وأنا أكتبها فصلًا فصلًا خلال عامين تفرغت فيهما لهذا العمل كانا من أسعد أعوام حياتى .

كما أشكر الأخوين الكريمين الأستاذ فؤاد السيد والأستاذ عبد الفتاح سالم بدار الكتب على ما يسَّرا لى من الاطّلاع على المراجع .

والله أسأل أن يتقبل منى هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

١٥ ذى القعدة سنة ١٣٨٤

١٨ مارس سنة ١٩٦٥

المؤلف

المقدمة

في مشهدين

المشهد الأول

حجرة فى بيت أبى بكر بها سرير واطئ لا يرتفع عن الأرض إلا قليلًا . ولها كوة تطل على المسجد النبوى الشريف .

يرفع الستار عن أبى بكر راقداً على فراشه ، وعنده زوجته أسماء بنت عميس .

(يدخل الصبى محمد بن أبى بكر وهو يصيح)

الصبى : يا أمه ، أين خذروفى يا أمه ؟

أسماء : (**بصوتٍ خافض**) صه .. اسكت يا غلام ، لا تزعج أباك من نومه .

الصبى : أين وضعت خذروفى ؟

أسماء : خبأته .

الصبى : ألأنَّ أبى مريض تمنعيننى من اللعب ؟

أسماء : نعم .

الصبى : لن ألعب فى البيت .. سألعب فى الطريق .

أسماء : صه .. لا فى البيت ولا فى الطريق .

أبو بكر : (**يتحرك فى سريره ويفتح عينيه**) هل حضر عمر ؟

أسماء : لا يا خليفة رسول الله ، لم يحضر .

أبو بكر : محمد ، تعال ادن منى يا بنى . (**يدنو الصبى منه فيقبله**)
وى ! مالى أراك تبكى ؟

الصبى : أمى يا أبت أخذت خذروفى .

أبو بكر : أتريد أن تلعب الآن ؟

الصبى : نعم يا أبت .. فى الطريق .

أبو بكر : أعطيه يا أسماء خذروفه .

أسماء : سمعاً يا خليفة رسول الله . (**تخرج مع الصبى ثم تعودُ**) .

أسماء : كيف تجدك الساعة ؟

أبو بكر : الحمد لله . إنما مثل المرء فى حياته يا أسماء كمثل خذروف الصبى ، بينما هو يدور حتى لا تضبطه العين من شدة دورانه ، إذ هو اللقى لا حراك به ! أتسمعين هذا الطائر يا أسماء ؟

أسماء : هذا الدُّبْسى يا خليفة رسول الله فوق غصون الشجر .

أبو بكر : طوبى لك يا طير : تأكل من الثمر وتستظل بالشجر ، وتطير إلى غير حساب . يا ليت أبا بكر مثلك .

صوت : يا آل أبى بكر ! يا آل أبى بكر !

أسماء : هذا صوت عمر بن الخطاب .

أبو بكر : أجلسينى : أسماء . (**تعينه على الجلوس وتضع الوسادة خلف ظهره**) قولى له يدخل ، ولا يدخلن أحد علينا حتى ينصرف عمر .

(**تخرج أسماء ثم يدخل عمر**) .

عمر : السلام عليك : يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : وعليك السلام ورحمة الله . أين كنت يا ابن الخطاب فقد افتقدتك منذ أمس ؟

عمر : إن الله لا يستحى من الحق.جاءتنى تجارة من اليمن فشغلتنى عنك .

أبو بكر : فهل انتهيت منها اليوم ؟

عمر : نعم بعتها وربحت . كيف تجدك اليوم يا أبا بكر ؟

أبو بكر : (**يظهر الجلد والشدة كأنما قد عوفى من مرضه**) الحمد لله ، أجدنى بارئاً يا ابن الخطاب .

عمر : الحمد لله .. قد ظننت أنها وعكة خفيفة وتزول .

أبو بكر : فإياك أن تغيب عنى لذلك يا أبا حفص .

عمر : لن أغيب عنك ما كنت بحاجة إلى .

أبو بكر : أنا بحاجة إليك فى كل حين . لقد فكرت فى أمرى هذا الصباح فوجدتنى قد قمت بأعمال لا أدرى ما مكانها عند الله ، فهل لك أن تذاكرنى فيها يا عمر ؟

عمر : حبا وكرامة يا أبا بكر .

أبو بكر : هذا الفَيءُ الذى كنت أقسمه بين المسلمين على السواء لا أُميز فيه أحداً منهم على أحد فما رأيك اليوم فى ذلك ؟

عمر : رأيى اليوم فى ذلك كرأيى أمس . لا يستوى السابقون إلى الإسلام والمتخلفون . والله لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه .

أبو بكر : يا ابن الخطاب ، إن السابقين إنما أسلموا لله وعليه أجرهم يوفيهم ذلك يوم القيامة ، وإنما هذه الدنيا بلاغ .

عمر : يا أبا بكر إنك سألتنى رأيى ، فهذا رأيى .

أبو بكر : صدقت ، فماذا ترى فى خالد بن الوليد ؟

عمر : ما خطبك اليوم ؟ إنك لتعرف رأيى فيه .

أبو بكر : إنى قد أنزلتك منزلة نفسى يا أبا حفص ، فإذا راجعتنى فكأنما راجعت نفسى . وحق على من يلى أمور الناس أن يراجع نفسه دائماً ويحاسبها .

عمر : (كأنما يلحظ نغمة الأسى فى مقال أبى بكر) أفٍّ لى إن دعوتنى إلى أمر فلم ألبك من أول وهلة . رأيى فى خالد أن فى سيفه رهقاً من رهق الجاهلية ، وفى طبعه ما فى آل المغيرة من جفاء وكبرياء .

أبو بكر : أكنت تعزله لو كنت مكانى ؟

عمر : نعم وأعيد إمرة جيش الشام إلى أبى عبيدة .

أبو بكر : ويحك يا ابن الخطاب ، إن أبا عبيدة لأمين هذه الأمة ولكن خالداً أعلم بالحرب منه . ألم تر كيف أذهب الله به وساوس الشيطان من الروم فى الشام ؟ لقد ظل أبو عبيدة وسائر أمراء الأجناد عاجزين أمام جحافل الروم ، حتى قدم إليهم خالد فاستخرج أحسن ما فيهم ، ولم يلبث أن فتح بهم بصرى ، ثم لقى بهم الروم فى أجنادين وكانوا مائة ألف فهزمهم ، وهو الآن على أبواب دمشق .

عمر : يا خليفة رسول الله .. إن ابن الوليد لسيف من سيوف الله كما نعته بذلك رسول الله ﷺ ، ولكنه لا يصلح أن يكون أميراً على المسلمين ، وفيهم أبو عبيدة وأضرابه .

أبو بكر : ماذا على أبى عبيدة أن يؤمر عليه خالد ؟

عمر : وماذا على خالد أن يقاتل تحت إمرة أبى عبيدة ؟

أبو بكر : وإذا اختلفا ؟

عمر : لن يختلفا فى شأن من شؤون القتال أبداً ، فإن أبا عبيدة لألين عريكة ، وأكثر تواضعاً لله ، من أن ينازع خالداً فضله .

أبو بكر : (**يبتسم ابتسامة غامضة**) أما إنك لمقيم على رأيك يا ابن الخطاب .

عمر : إن خالداً لم يتغير فأغير رأيى فيه .. وما أحسبه يتغير أبداً .

أبو بكر : ولم يا ابن الخطاب ؟

عمر : إن بنى مخزوم لا يستطيعون أبداً أن ينسوا أنهم كانوا ريحانة قريش فى الجاهلية ، فلما جاء الإسلام ذهب بالشرف غيرهم .

أبو بكر : أما إنك لشديد على أخوالك يا عمر .

عمر : والله يا أبا بكر إنى لأحب خالداً ، وأخشى الله فى محاباتى له أكثر مما أخشاه فى تحاملى عليه .

أبو بكر : طب نفساً يا أبا حفص ، فبحسبى هذا منك .

عمر : ماذا تعنى ؟

أبو بكر : لقد قصدت امتحانك يا ابن الخطاب ، فوجدتك كما عهدتك صريحا لا تداجى ولا تداهن ولا تنافق .

عمر : وما أردتَ بذلك يا أبا بكر ؟

أبو بكر : أردتُ أن أستخلفك يا عمر .

عمر : لا تفعل يا أبا بكر .. لا حاجة لى فيها .

أبو بكر : لكن لها بك حاجةٌ يا عمر . إنى أخشى أن أموت وأترك الناس بلا خليفة ، فيكون يوم كيوم السقيفة .

عمر : فاستخلف أحدا غيرى يا أبا بكر .

أبو بكر : من ذا أستخلف ؟

عمر : استخلف أبا عبيدة ، فهو أمين هذه الأمة .

أبو بكر : قد فكرت فيه يا ابن الخطاب ، ولكنى لم أجد فيه القوة التى عندك . إنه أمين ولكنى أريد القوى الأمين . إن المسلمين اليوم يواجهون الأسدين فارس والروم ، وإنهم لبين طريقين لا ثالث لهما ، فإما أن يضيئوا العالم بنور الإسلام ، أو يقضى العالم على نور الإسلام .

عمر : الله متمم نوره ولو كره الكافرون .

أبو بكر : إنما يتم الله نوره يا عمر ، بعباده الصالحين المجاهدين المخلصين .

عمر : يا خليفة رسول الله ، كيف تستخلفنى وأنت تعلم أننى أخالفك فى قسمة الفَىء ، وفى خالد ابن الوليد ، وفى غزو أهل الردة بعد أن ثابوا إلى إسلامهم ، وفى أمور غيرها كثيرة ؟

أبو بكر : ويحك يا عمر ، إن هذا ليدفعنى إلى استخلافك أكثر مما يثنينى عنه . إنى أريد رجلًا إذا قال نعم قالها بملء فيه ، وإذا قال لا قالها بملء فيه : وأنت هو يا عمر .

عمر : أوَ قد نسيت موقفى يوم الردة يا أبا بكر ، وتخذيلى إياك حتى قلت فى يومئذ : أجبار فى الجاهلية ، خوار فى الإسلام ؟

أبو بكر : هب لى ذلك يا أبا حفص وسامحنى ، فوالله ما قصدت أن أسيء إليك وأنال منك . إن هى إلا كلمة ندت من لسانى ساعة العسرة .

عمر : يا خليفة رسول الله ، إنى لست أذكرها الساعة فى معرض العتب عليك ، معاذ الله . فوالله إنى لأذكرها وأنا بها جذل قرير العين ، أن كانت هى التى بصرتنى بالحق الذى كان محجوبا عنى يومئذ. ولكنى ذكرتك بها الساعة، لعلك تجد فيها ما يقنعك بأنى لست أهلًا للأمر الذي تريد أن تقلدنى إياه . إنى والله كلما تذكرت معارضتى لك فيما شرح الله له صدرك من قتال أهل الردة ، وأخذهم بالشدة ، وعدم التفرقة بين من ترك الصلاة ومن منع الزكاة ، اقشعر بدنى من سوء ما فعلت . فوالله يا أبا بكر لولا إصرارك على موقفك ، لأكلتنا العرب ولذهب الإسلام .

أبو بكر : هون عليك يا أبا حفص . إن كنت أخطأت فى رأيك هذا فإنه لا يعد شيئا مذكوراً فى جنب موافقاتك العديدة.أنشدك الله يا عمر ألم تقل لرسول الله ﷺ على أشياء فلم يلبث أن نزل بها الوحى موافقاً لما ارتأيت ؟ ألم تقترح عليه ﷺ أن يتخذ مقام إبراهيم مصلى ، فأنزل الله تعالى : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى !

عمر : اللهم بلى ولله الحمد .

أبو بكر : ألم تقل يا عمر : اللهم بين لنا فى الخمر فإنها تذهب المال والعقل ، فما لبث أن نزلت آيات تحريم الخمر ؟

عمر : اللهم بلى ولله الحمد .

أبو بكر : ألم تعترض على النبى ﷺ فى صلاته على المنافق عبد الله بن أبى ، فما كان إلا يسيراً حتى نزلت : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾ ؟

عمر : اللهم بلى ولله الحمد .

أبو بكر : أما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول : قد كان فيمن قبلكم ملهمون أو محدثون ، فإن يكن فى أمتى منهم أحد فعمر ؟

عمر : اللهم بلى ولله الحمد .

أبو بكر : والله يا عمر لقد كنت أحق بالخلافة منى يوم السقيفة ، ولقد مددت يدى إليك لأبايعك ، ولكنك غلبتنى بقوتك وبايعتنى ، فلم يسع المسلمين إلا أن يحذوا حذوك فبايعونى بعدك . والله لوددت يومئذ أن أستعفى من حملها ، لولا خشيتى أن يشتجر الخلاف بين المسلمين فتكون فتنة .

عمر : جزاك الله خيراً يا أبا بكر . إن كنت يومئذ لأجدر بها منى ومن غيرى ، فأنت أفضل .

أبو بكر : الفضل يا عمر عند الله ، ولكنك كنت أقوى منى وأقدر .

عمر : أتذكر يا أبا بكر ماذا قلت لك يومئذ ؟ قلت لك : إن قوتى لك مع فضلك .

أبو بكر : أجل قلت لى ذلك .

عمر : فستظل قوتى لمن يلى الأمر بعدك ما بقيت .

أبو بكر : (يثور محتداً) يا ابن الخطاب لا تدعنى أقول لك اليوم كما قلت من قبل : أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام . يا ابن

الخطاب والله إن جبنك عن الاضطلاع بهذا الأمر لأسوأ من ترددك فى قتال ما نعى الزكاة .

عمر : رويدك يا أبا بكر ، إنى أخشى على نفسى وعلى دينى وآخرتى ..

أبو بكر : (**ماضياً فى كلامه وحدته**) إن هذا الأمر ليهلك فيه اثنان يا عمر : رجل يطمع فى الخلافة وهو يعلم أن غيره أحق بها وأقدر عليها منه ، ورجل يأباها إذ عرضت عليه وهو يعلم أنه أصلح الناس لها وأقدرهم عليها ، تهربا من حمل التبعة ، وضنا بكفايته أن يبذلها فى خدمة الناس .

عمر : يا أبا بكر ، بحق الذى بينى وبينك من مودة وإخاء فى الله ، إلا ما جنبتنى الحساب العسير يوم القيامة .

أبو بكر : ويحك يا عمر ، إن الإمام العادل لمن السبعة الذين يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله .

عمر : (**يبكى**) ومن لى يا أبا بكر بذلك ؟ من لى بذلك ؟ من لى بذلك ؟

أبو بكر : الله لك بذلك يا عمر ؟ الله لك بذلك ! الله لك بذلك !

عمر : يا أبا بكر ، إنك غداً لن تغنى عنى من الله شيئاً .

أبو بكر : يا عمر يا ابن أم عمر ، ما هكذا يتقى الله حق تقاته . ألم تر يا عمر أنما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة ، وآية الشدة مع آية الرخاء ، ليكون المؤمن راغباً راهباً ؛ لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له ، ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه ؟ أما إنه لو ترك كل ذى واجب واجبه من خشية الله ، لانقلبت

خشية الله إلى سوء ظن به . وإذن لفسد الأمر وضاعت حقوق المستضعفين ، وصار الناس فوضى يضرب بعضهم رقاب بعض .

عمر : أفليس فى المسلمين من يقوم بها غيرى ؟

أبو بكر : هذا مقطع الحق يا عمر ، إنى محتكم إليك فهل ترضى أن تحتكم إلى نفسك ؟

عمر : اللهم نعم .

أبو بكر : أنشدك الله الذى يعلم ما فى نفسك يا عمر ، هل تعلم فى المسلمين من هو أصلح لها منك ؟

عمر : ما أشك أن فى المسلمين من هو أفضل منى يا أبا بكر .

أبو بكر : أجب على سؤالى يا عمر : هل تعلم فى المسلمين بعدى من هو أقوى منك على الاضطلاع بولاية أمرهم اليوم ؟

عمر : (**يغالب دمعة تترقرق فى عينيه**) اللهم لا .

أبو بكر : الحمد لله ، إذن فقد وجبت عليك يا ابن الخطاب . الحمد لله ، الآن اطمأنت نفسى . من رقبتى يا عمر إلى رقبتك .

عمر : ألا تستشير المسلمين فى ذلك أولًا يا أبا بكر ؟

أبو بكر : سأفعل يا أبا حفص . لقد كفيت العقبة الكبرى ، فكل شىء بعدها هين سهل بإذن الله . (**يتأوه من شدة الألم**) .

عمر : بأبى أنت وأمى ، هل تشكو وجعاً يا أبا بكر ؟

أبو بكر : (**بصوت خافض**) واراْساه !

عمر : هل تأمرنى بشىء يا خليفة رسول الله ؟

أبو بكر : إننى كنت منعتهم من الدخول عندى حتى تنصرف أنت ، فقل لهم يدخلوا .

عمر : (**منادياً**) يا أسماء بنت عميس ! يا أم فروة ! يا أهل البيت !

أسماء : لبيك يا ابن الخطاب .

عمر : ادخلوا عند خليفة رسول الله فإننى منصرف . (**يخرج**)

(**تدخل أسماء وأم فروة**) .

أبو بكر : أضجعينى يا أسماء .

أسماء : (**تضجعه على الفراش**) ما كان ينبغى لابن الخطاب أن يطيل عندك ويثقل عليك ، وهو يرى ما أنت فيه .

أم فروة : أجل يا أخى ، ويحبسنا عنك طول هذه المدة .

أبو بكر : ويحكما ، ما كان عمر يعلم شيئا مما أكابد . لقد تجلدت له حتى ظن أننى بخير ، وهذا التجلد هو الذى هاضنى .

أسماء : وما حملك على ذلك ؟

أبو بكر : أردت أن أخرجها من رقبتى إلى رقبته ، فلو لم أتجلد له لما بلغت مرادى .

أسماء : أما كان يسعه أن يجيبك إلى ما أردت منه وأنت مستلق على فراشك ؟

أبو بكر : إننى أردت أن يصارحنى بكل ما فى نفسه ، فلو رآنى منهوكاً لا أقوى على الجلوس لأشفق على من ذلك وتحرج .

أسماء : (**تجس جبهته**) يا ألله ما أحر جبهتك ! إن الحمى لتتقد فى جسدك .

أبو بكر : هريقوا على رأسى من القرب التى عندكم ، فقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك عند وقدة الحمى . (**تخرج أسماء وأم فروة ثم تعود إحداهما بقربة والأخرى بإناء من الخزف ، وتدنى**

أسماء رأس أبي بكر من حافة السرير ثم تصب الماء عليه ، وأم فروة تأتي لها بالقرب قربة بعد قربة ، وتحمل الإناء لتفرغ ما فيه ثم تعود به فارغا) .

أبو بكر : أتموها سبع قرب ، كما فعل حبيبي رسول الله ﷺ .

أسماء : (**تصب الماء عليه**) هذه القربة السابعة يا أبا بكر

أبو بكر : فحسبي هذا جزاكما الله خيرا .

(ترفع أم فروة الإناء والقرب ، بينما تنشف أسماء البلل من رأسه بثوب) .

أسماء : كيف تجدك الآن ؟

أبو بكر : الحمد لله ، لقد خف عني ما كنت أجد من صداع . الحمد لله .. الحمد لله .

(يغلبه النعاس فتتناجى المرأتان بالإشارة فرحتين لذلك ، ثم تسحبان الثوب عليه) .

(ستار)

المشهد الثاني

حجرة أبي بكر . في اليوم التالي لليوم الأول .
يرى أبو بكر مضطجعاً على فراشه ، وعنده عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وأسيد بن حضير وطلحة بن عبيد الله .

ابن عوف : هل بعثت إلينا يا خليفة رسول الله ؟

أبو بكر : نعم ، كما بعثت إلى غيركم من المهاجرين والأنصار لأسترشد بآرائكم . إنى كما ترون قد حم أجلى ، وإنى أريد أن أستخلف عليكم رجلاً قوياً أميناً ، وقد ألقى فى روعى أن عمر بن الخطاب هو ذلك الرجل ، فماذا ترون ؟ ماذى ترى يا عبد الرحمن فى عمر ؟

ابن عوف : ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى .

أبو بكر : وإن .

ابن عوف : هو والله أفضل من رأيك فيه .

أبو بكر : وأنت يا عثمان ، أخبرنى عن عمر بن الخطاب .

عثمان : أنت أخبرنا به يا أبا بكر .

أبو بكر : على ذلك يا أبا عبد الله . إنى أريد أن أسمع رأيك .

عثمان : اللهم علمى به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله .

•

أبو بكر : وأنت يا أُسَيدُ بنُ حُضَير يا سيد الأنصار ، ماذا تقول فى عمر ؟

أسيد : اللهم أعلمه الخيرةَ بعدك ، يرضى للرضى ، ويسخط للسخَط ، والذى يُسِرُّ خير من الذى يعلن ، ولن يلى هذا الأمر أحد أقوى عليه منه .

أبو بكر : جزاك الله خيراً يا أخا الأنصار ، وأنت يا على بن أبى طالب ، يا ابن عم رسول الله ، ما تقول فى عمر ؟

على : يا خليفة رسول الله ، ماذا أقول فى رجل اعتز الإسلام بإسلامه ما لم يعتز بإسلام أحد سواه ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه : (**إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه**) .

أبو بكر : بوركت يا ابن عم رسول الله ، فما بال أقوام يقولون لى : أما تخافُ الله فى تولية عمر على المسلمين ؟

طلحة : إن أبا بكر يعنينى أنا ومن ورائى . والله يا أبا بكر ما صدقنا الله إن استشرتنا فأشرنا عليك بغير ما نعتقد . إنا لا نعلم عن عمر إلا خيراً ، ولعله أن يكون خيراً من كل ثناء قيل فيه اليوم ، ولكن فيه غلظة نخشى منها على المسلمين .

أبو بكر : بل علمتم أنه خيركم فى نفسى ، فكلكم ورم أنفه من ذلك ، يريد أن يكون الأمر له دونه .

طلحة : يا خليفة رسول الله ، ما ينبغى لك أن تستشيرَنا ثم تتهمَنا . ماذا أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا ، وقد رأيتَ ما يلقى الناس منه وأنت معه ، فكيف به إذا خلا بهم بعد لقائك ربك ؟

أبو بكر : (**غاضباً**) أجلسونى ! أجلسونى ! (**يجلسه عثمان وعبد الرحمن**) أبالله تخوفوننى ؟ خاب من تزود من أمركم بظلم . أقول اللهم استخلفت على أهلك خير أهلك (**يلتفت إلى طلحة**) أبلغ عنى من وراءك ما قلت لك .

طلحة : (**يقوم غاضباً**) والله لولا ماأنت فيه لرددت عليك . (**يخرج**) .

أبو بكر : (**يرتعد من الغضب**) يأبى الله والمسلمون غير عمر . ويلهم ! متى عاملت الناس على قرابتهم منى أو بعدهم ؟ والله لو كان يليها أحد لقرابته من أحد ، لقد كان قرابة رسول الله ﷺ أحق أن يلوا هذا الأمر منى ومن غيرى . ويلهم ! إنها أمانة وليست طعمة . إنها حق على من وليها وليست حقاً له . أما إنى لشديد الوجع ، ولمَّا لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشد على من وجعى .

ابن عوف : خفض عليك يا خليفة رسول الله ، إنما الناس فى أمرك بين رجلين : إما رجل رأى ما رأيت فهو معك ، وإما رجل خالفك فهو مشير عليك .

على : أجل يا خليفة رسول الله . امض لما شرح الله له صدرك ، ولا يكربنك رأى من خالفك ، فإنما خالفك لينصح لك .

أبو بكر : إنى كنت أرجو أن أستأنس برأيهم ، ليطمئن قلبى إلى صواب رأيى فى عمر .

عثمان : إن رأيك فى عمر لهو الصواب .

أبو بكر : صدقتم ونصحتم . فيرحم الله رجلا دعا لى طلحة بن عبيد الله ، وسعداً ، والزبير . (**يضطجع على فراشه**) .

ابن عوف : (ينهض) أنا أدعوهم لك . (يخرج) .

أبو بكر : وأنت يا سعيد بن زيد ، إنك لم تقل لنا رأيك بعد فى عمر ؟

سعيد : أعفنى يا خليفة رسول الله ، فإنه ابن عمى وأخو امرأتى وزوج أختى .

أبو بكر : فأنت به أعلم .

سعيد : اللهم إنى أعلم ما من أحد فينا إلا كان أسبق إلى الإسلام من عمر .

أبو بكر : هذا شيء نعلمه جميعاً ، وما عن ذلك سألتك .

عثمان : أفكل من سبق عمر إلى الإسلام كان أفضل منه يا ابن زيد ؟

سعيد : الفضل عند الله يعلمه هو وحده سبحانه .

أبو بكر : لو شئت يا سعيد بن زيد لقلتَ غير هذا .

على : إنى لأعلم ما يحمله على ذلك . إنه يخشى من ابن عمه إذا أطراه .

سعيد : إى والله يا أبا بكر ، لئن بلغ عمر أنى كنت فيمن رشحه للخلافة ، ليحاسبننى حساباً عسيراً .

أبو بكر : (يبتسم) صدقت يا ابن زيد . هذه شهادة تكفينا منك .

سعيد : شهادة ؟

أبو بكر : أجل . إنها لمن يقال له : هى لك ، لا لمن يقول : هى لى . لقد لقيت من الكبَد فى إقناع عمر بقبول العهد ما لم ألقه من أحد .

سعيد : الويل لى من عمر إذا علم !

عثمان : أتخافه كل هذا الخوف وهو ابن عمك ؟

سعيد : ما كنت لأخافه لو لم يكن ابن عمى . اشهدوا يا قوم أنى ما رشحته ولا زكيته .

على : إنى شهيد لك بذلك يا سعيد .

سعيد : فأنت حسبى يا ابن عم رسول الله .. جزيت الخير .

(**يعود عبد الرحمن بن عوف ومعه الزبير وسعد وطلحة**) .

أبو بكر : مرحباً بالزبير حوارى رسول الله ، ومرحباً بسعد بن مالك أول رام رمى سهماً فى سبيل الله ، ومرحباً بك يا طلحة يا واق رسول الله يوم أحد . هلم سامحونى فيما بدر منى فى حقكم ، فقد ترون ما أنا فيه ، ووالله ما قصدت إلا خيراً .

الزبير : يا خليفة رسول الله بأبى أنت وأمى ، ألهذا بعثت إلينا ؟

طلحة : والله يا أبا بكر إنى لأحق بالاعتذار إليك فيما أسأت أدبى معك .

أبو بكر : سامحونى يا قوم .

سعد : قد سامحناك يا خليفة رسول الله ، فسامحنا أنت .

أبو بكر : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم . يا سعد ويا طلحة ويا زبير ، إنى لأعلم أن فى ابن الخطاب غلظة ، ولكن ذلك لأنه يرانى رقيقاً . ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه .

طلحة : أتؤمن أنت أنه سيكون رفيقاً إذا أفضى الأمر إليه ؟

أبو بكر : إى والله يا أبا محمد ، لقد رمقته فرأيته إذا غضبت على الرجل فى الشىء أرانى الرضا عنه ، وإذا لنت أرانى الشدة عليه .

طلحة : إذن فتوكل على الله واستخلفه ، فوالله ليس فينا من هو أقوى على هذا الأمر منه .

أبو بكر : الحمد لله إذ اطمأن قلبي بمشورتكم ، جزاكم الله خيراً . انصرفوا مشكورين إذا شئتم ، وليبق عندى عثمان بن عفان .
(يخرج القوم واحداً بعد واحد وهم يسلمون على أبي بكر ويدعون له) .

عثمان : **(يرى أبا بكر يتوجع)** إنى لأراك تتوجع يا أبا بكر ، فهل أدعو لك أهلك ؟

أبو بكر : لا يا عثمان لا تفعل ، ولكن هات قرطاسك وقلمك لأمل عليك كتاب العهد .

عثمان : الساعة يا أبا بكر ؟

أبو بكر : الساعة يا عثمان قبل الفوات . **(يسمع صوت المؤذن لصلاة العصر)** انتظرني قليلًا يا عثمان حتى أؤدى صلاة العصر ، **(يكبر للصلاة وهو جالس ، ثم يعتريه الضعف فيضطجع حتى يتم صلاته وهو مضطجع)** هلم يا عثمان !

عثمان : **(يدنو منه ويخرج قرطاسه وقلمه ودواته)** أمل يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : **(يملى وعثمان يكتب)** اكتب يا عثمان .. بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها ، حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب ، إنى استخلفت عليكم بعدى **(تلحق أبا بكر غشية)** .

عثمان : إنى استخلفت عليكم بعدى .. أمل يا أبا بكر .. وى ! إنه ذهب به ! لا حول ولا قوة إلا بالله . **(ينادى)** يا أهل

البيت ! يا أهل البيت ! هلموا الحقوا خليفة رسول الله .

(**يخرج مسرعاً قد جمع أوراقه**) .

(**تدخل أسماء بنت عميس وأم فروة**) .

أم فروة : (**باكية**) واأخياه !

أسماء : (**تكم فمها بيدها**) ويحك لا تبكى . إنما هذه غشية لحقته . ابغينى شيئاً من الماء .

(**تخرج أم فروة وتعود بقدح من الماء ، فجعلت أسماء ترش منه على وجه أبى بكر**)

أبو بكر : (**يفيق من غشيته فيجلس بقوة كالمذعور**) أين عثمان ابن عفان ؟ أين خرج ؟ ادعوا لى عثمان .

عثمان : (**صوته من فناء البيت**) هأنذا يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : ادخل يا عثمان . (**تخرج أسماء وأم فروة ويدخل عثمان**) ماذا فعل كتاب العهد ؟

عثمان : لا ترع يا أبا بكر ، فإنى أكملته من عندى .

أبو بكر : كتبت اسم عمر بن الخطاب ؟

عثمان : نعم .

أبو بكر : خشيت إن افتلتت نفسى فى غشيتى تلك أن يختلف الناس ؟

عثمان : نعم .

أبو بكر : فاقرأ على ما كتبت .

عثمان : إنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا . وإنى لم آل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خيراً ، فإن عدل فذلك ظنى به وعلمى فيه ، وإن بدل فلكل امرئ

ما اكتسب من الإثم ، والخير أردت ، ولا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أبو بكر : أحسنت يا عثمان . خذ الخاتم فاختمه .

عثمان : قد أخذت الخاتم فختمته يا أبا بكر . (**يعيد إليه الخاتم**) .

أبو بكر : جزاك الله عن الإسلام وأهله خيراً . اخرج إلى الناس يا عثمان فناد الصلاة جامعة ، فإنى أريد أن أكلمهم من هذه الكوة ، ثم ائتنى بعمر . (**يخرج عثمان**)

(**تدخل أسماء**)

أسماء : هذه عائشة أم المؤمنين يا أبا بكر .

(**تدخل عائشة**)

أبو بكر : مرحباً بعائشة ، مرحباً بأم المؤمنين ، مرحباً بحبيبة رسول الله .

عائشة : (**تقبل رأس أبيها**) كيف أنت يا أبت اليوم ؟

أبو بكر : بحمد الله يا عائشة .

عائشة : كلما أرسلت فتاتى إليك ، عادت فقالت عندك رجال .

أسماء : أجل لم ينقطع عنه الرجال طول اليوم .

عائشة : ألا ترفق يا أبت بنفسك ؟

أبو بكر : يا أم المؤمنين كيف يرفق بنفسه من تولى أمر هذه الأمة ؟ أعينينى يا أسماء حتى أشرف من هذه الكوة على أهل المسجد .

(**تأخذ أسماء بيديه ، وتسنده عائشة وأم فروة من وراء ظهره ، حتى يخرج رأسه من الكوة**) .

أبو بكر : أيها الناس ، يا معشر المسلمين ، أصغوا إلى فلعلكم لا تسمعون صوتى بعد اليوم . إنى قد عهِدت عهداً وما ألوت من جهد الرأى ، ولا وليت ذا قرابة . أفترضون بمن أستخلف عليكم ؟

الجميع : رضينا يا خليفة رسول الله . من تستخلف علينا نرض به .

أبو بكر : إنى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا .

الجميع : سمعنا وأطعنا يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : أيها الناس إنى داع فأمنوا : اللهم إنه قد حضرنى من أمرك ما حضر ، فاخلفنى فيهم فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، وأصلح لهم أميرهم ، واجعله من خلفائك الراشدين .

الجميع : آمين آمين .

(يعود أبو بكر إلى سريره وهو متهلل الأسارير ، حتى يضطجع مكانه) .

أبو بكر : ابعثوا إلى أسماء وعبد الرحمن ، فإنى أريد أن أراهما .

أم فروة : سأفعل يا أخى . **(تخرج)** .

أبو بكر : هل لك يا أسماء أن تتركينى قليلًا مع عائشة ؟

أسماء : حباً وكرامة . **(تخرج)** .

عائشة : إنى أراك يا أبت طيب النفس متهلل الوجه .

أبو بكر : الحمد لله .. الآن اطمأن قلبى ألا تكون فتنة فى الناس . الآن يطيب الموت يا عائشة !

عائشة : (**تدمع عيناها**) يا أبت ألا أستطيع أن أصنع لك شيئاً ؟

أبو بكر : بلى يا بنية ، لقد كنت أريد أن أكلمك فى هذا الأمر منذ وقت ، فكنت أذكره إذا غبت وأنساه إذا حضرت ، ولعل ذلك لأنى لا أحب مساءتك .

عائشة : لعلك يا أبت تعنى الأرض التى نحلتنيها بالعالية ، وأن فى نفسك منها شيئاً .

أبو بكر : لله أنت يا بنية إذ فطنت لما فى نفس أبيك . إنك تعلمين يا عائشة أنك أحب الناس إلى وأعزهم ، وقد حضرنى اليوم ما ترين ، فحبذا لو رددت تلك الأرض على فيكون ذلك قسمة بين ولدى على كتاب الله ، فألقى ربى حين ألقاه ولم أفضل بعض ولدى على بعض .

عائشة : حباً يا أبت وكرامة . والله لقد كان فى نفسى أن أردها عليك ، فكان يمنعنى خوفى أن يغضبك ذلك منى ، فالحمد لله إذ أذنت لى بذلك من تلقاء نفسك .

أبو بكر : وأنا يا بنية أحمد الله إذ ألهمك أن تنزلى عنها من تلقاء نفسك ، فأرحتِ بذلك صدر أبيك .

صوت : يا آل أبى بكر : يا آل أبى بكر !

أم فروة : هذا صوت عثمان .

أبو بكر : لعله جاء بعمر بن الخطاب معه .. ابقى عندنا يا عائشة الليلة .

عائشة : سأبيت يا أبت الليلة عندكم . (**تخرج**) .

(**يدخل عثمان وعمر**) .

أبو بكر : يا ابن الخطاب قرأت كتاب العهد ؟

عمر : نعم .

أبو بكر : أى يوم هذا ؟

عمر : يوم الاثنين .

أبو بكر : فأى يوم قبض رسول الله ﷺ ؟

عمر : يوم الاثنين .

أبو بكر : فإنى أرجو ما بينى وبين الليل .

عثمان : إنى لأراك طيب النفس متهلل الوجه يا خليفة رسول الله .

أبو بكر : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . يا عمر إذا أنا مِتُّ فى ليلتى هذه فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى بن حارثة ، فإن فارس لن تتركنا إن تركناها . وإذا فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق ، فإنهم أهله وولاة أمره ، وهم أهل الضراوة والجرأة عليهم .

عمر : قد وعيت ذلك يا خليفة رسول الله ، فأوصنى يرحمك الله .

أبو بكر : يا عمر لعل هذا آخر كلام تسمعه منى . يا عمر إن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار ، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل . وإنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة . ألم تر يا عمر أنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثِقله عليهم ، وحُقَّ الميزان لا يوضع فيه غدا إلا حق أن يكون ثقيلًا . ألم تر يا عمر أنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الباطل وخِفَّتِه عليهم ، وحُقَّ الميزان لا يوضع

فيه إلا باطل أن يكون خفيفا . يا عمر إن حفظت وصيتى فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، وإن ضيعت وصيتى فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزٍ الله .

عائشة : (**صوتها من الداخل**) يا ابن الخطاب ويا ابن عفان !

الاثنان : لبيك يا أم المؤمنين .

عائشة : إنى ما رأيت أبى اليوم إلا قليلًا وقد أخذتم وقته كله ، أفلا تتركون لأهله شيئاً من وقته ؟

عمر : صدقت يا أم المؤمنين .. ها نحن أولاء ننصرف .

(يخرجان)

(تدخل عائشة وأسماء بنت عميس وأم فروة وعبد الرحمن ابن أبى بكر ، فيلتفون حول أبى بكر) .

عبد الرحمن : كيف تجدك يا أبت اليوم ؟

أبو بكر : الحمد لله يا بنى . أين أسماء بنت أبى بكر ؟ ألم آمركم أن تبعثوا إليها ؟

أم فروة : قد فعلت يا أخى فهى قادمة .

بنت عميس : ها هى ذى أسماء بنت أبى بكر . (**تدخل أسماء متجلدة**) .

أبو بكر : مرحباً بذات النطاقين . مرحباً بذات النطاقين .

ذات النطاقين : كيف أنت اليوم يا أبتاه ؟ يا ثانى اثنين إذ هما فى الغار .

أبو بكر : الحمد لله يا بنية .. اللقاء إن شاء الله قريب .. أين الغُلَيِّم ؟ أين محمد بن أبى بكر ؟ أحضروه لأراه .

(**تخرج أم فروة**) إنى أوصيكم بأخيكم خيراً فإنه ابن أبيكم ، وأوصيكم كذلك بأختكم ذات بطن ابنة خارجة .

عبدالرحمن : لعله يا أبت أن يكو غلاما .

أبو بكر : قد ألقى فى روعى أنها جارية .

(**تدخل أم فروة ومعها الصبى محمد بن أبى بكر**) .

محمد : ما زلت عليلًا يا أبت ؟ متى تقوم من فراشك ؟

أبو بكر : قريباً إن شاء الله يا محمد . أين خذروفك فإنى لا أراه معك ؟

محمد : تقطعت خيوطه فلم يعد يدور . قلت لأمى أصلحيه لى فأبت . هل آتيك به يا أبت لتصلحه لى ؟

أبو بكر : (**يثقل لسانه ويدخل فى السياق**) الله الله ! اللهم اغفر لى وتب على .

محمد : هل آتيك به لتصلحه لى ؟

(**تجذبه عائشة إلى حجرها وتومئ له أن اسكت**) .

عائشة : (**تتمتم والدموع فى عينيها**) :

لعمــرك ما يغنــــى الثراء عن الفتــــى
إذا حشرجت يومــــاً وضاق بها الصدر

أبو بكر : (**يتحرك فجأة كأنه سمع ما تمثلت به عائشة فيبذل كل ما بقى من جهد عنده ليقول**) : بل قول الله أصدق يا بنية : ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت

منه تحيد ﴾ رب توفني مسلماً وألحقني بالصالحين .

(يختلج اختلاجة فإذا هو قد مات) .

(يبكي الجميع دون عويل ، إلا أم فروة فقد أعولت بأعلى صوتها تندبه) .

عمر : **(صوته من الباب)** يا آل الصديق ما هذا الندب والعويل ؟ إن رسول الله ﷺ نهى عن النياحة .

ذات النطاقين : هذه يا ابن الخطاب عمتي أم فروة .

عائشة : اسكتي يا عمة ... اخفضي صوتك .

أم فروة : أسعِدنني بالنواح أو فدعنني أنوح على أخي وحدي ! واجبلاه ! واسيداه ! **(تمضي في العويل)** .

عمر : يا أم فروة إني أحرج عليك أنْ تنوحي على أبي بكر .

أم فروة : ما أنت وذاك يا ابن الخطاب ؟ إنه أخي .

عمر : يا أم فروة لئن لم تنتهي لأدخلن إليك ، ولأوجعنك بهذه الدِرة .

أم فروة : وجسد أخي مسجى أمامي ؟

عمر : وجسد أخيك مسجى أمامك . اخرجن من عندها يرحمكن الله . **(تحاول النسوة الثلاث أن يسكتنها ويخرجن بها ، فامتنعت فانسحبن دونها)** .

أم فروة : **(بأعلى صوتها)** واجبلاه ! واسيّداه ! واأخيّاه ! **(يدخل عمر فيعلوها بالدِرة ضربات حتى تهرب إلى الداخل)** .

عمر : والله لئن نحت مرة أخرى لأضربنك حيث أنت .

عبد الرحمن : (**يدخل من حيث خرجت أم فروة**) قد سكتت عمتى يا عمر ولن تعود .

عمر : (**ينظر إلى الدرة فتغرورق عيناه بالدمع**) عبد الرحمن .. هل لك أن تكشف لى وجه أبيك ؟ (**يكشف عبد الرحمن الغطاء عن وجه أبى بكر**) سلام الله عليك يا أبا بكر . عزيز على والله أن أضربها وجسدك مسجى بعد . ولكنها الأمانة التى طوقت بها عنقى لن أخرقها من أجل قريب لى أو قريب لك .

(ستــار)

الفصل الأول

على أسوار دمشق

المشهد الأول

سهل دمشق الذى يلى باب توما . مضارب من الخيام تبعد عن سور المدينة بحيث لا تصل إليها السهام ولا حجارة المقاليع منه . يرفع الستار لنرى أبان بن سعيد بن العاص طريحاً أمام بعض هذه الخيام ينزف الدم من جرح غائر فى صدره ، وعنده زوجته أم أبان بنت عتبة وهى ترعاه وتبكى :

أبان : إنها الشهادة يا أم أبان ، ففيم البكاء ؟

أم أبان : ما يحزننى إلا أنه لما يمض على زواجنا غير قليل .

أبان : تلك مشيئة الله يا أم أبان . أراد أن يختصر لزوجك الطريق إلى الجنة إن شاء الله .

أم أبان : ما كان لك أن تطرد فى أثرهم بعد ما انهزموا إلى بابهم .

أبان : كنت أريد أن أقبض على كبشهم توماس الذى كان آخرهم فراراً ، فأجىء به أسيراً إلى المسلمين . ولكن العلج أمر الذى قدامه فاستدار لى وشغلنى عنه ، وأسرع هو فرمانى بهذا السهم من قريب .

أم أبان : اسمه توماس ؟

أبان : نعم ، يقال إنه صهر هرقل . آه لو جئت به أسيراً إلى المسلمين !

أم أبان : والله لأنتقمن لك منه .

أبان : كلا لا تفعلى .. إنك تجاهدين فى سبيل الله لا فى سبيلى .

أم أبان : لن يقَر لى قرار حتى أخرِق بسهمى كبده .

أبان : أم أبان ، أتحبيننى كما أحبك ؟

أم أبان : يا حبيبى بل أكثر من ذلك .

أبان : فأخلصى إذن لله جهادك ، يكتب الله لك أجر المجاهدين الصادقين .

أم أبان : ما أنا بتاركته والله حتى أخرِق بسهمى كبِدَه !

أبان : لا تكونى مثل آكلة الأكباد يوم أحد .

أم أبان : إنها لأختى هند بنت عتبة .

أبان : أنت لست مثلها .. أنت نشأت فى الإسلام .

أم أبان : كانت هى يومئذ مع المشركين على المسلمين .

أبان : ذلك أعذر لها من دونك .

أم أبان : وكانت تريد أن تأكل كبد حمزة ، أسد الله وعم رسول الله .

أبان : لو أنها لاكت كبد عبدها وحشى ، لكان قبيحاً كذلك عند الله وعند رسوله .. إن ديننا يا أم أبان لينهى عن المثلة والانتقام .

أم أبان : ما خطبك يا زين الشباب ؟ أتكره أن أقتل قاتلك إذا أمكننى الله منه ؟

أبان : افعلى ذلك إن فعلته فى سبيل الله لا فى سبيل أبان بن سعيد .

(يظهر شرحبيل بن حسنة)

شرحبيل : كيف حاله يا أم أبان ؟

أم أبان : كما ترى أيها الأمير .

أبان : أيها الأمير لا يشغلنك أمرى ، فإنى مودع عما قريب . اذهب ، فانظر فيما أمامك من شؤون الجند ، فعندى أم أبان .

شرحبيل : طوبى لك يا أبان بن سعيد ! هنيئاً لك الشهادة !

أبان : ادع الله يا ابن حَسنةَ أن يقبلها .

شرحبيل : اللهم اجعل عبدك أبان بن سعيد من شهدائك الأبرار .

أبان : آمين .. وحاجة أخرى أطلبها منك .

شرحبيل : اقترح يا أخى .

أبان : إذا ما لقيت الخليفة أبا بكر غداً أو كتبت إليه ، فأقرئه منى السلام ، وقل له إن آل سعيد بن العاص يرجون أن يستغفر المسلمون لهم ، وينسوا زلة خالد بن سعيد .

شرحبيل : رحم الله خالد بن سعيد ! لقد وهب المسلمين حياته يوم مرج الصُّفَّر ، فكفر عن زلته .

أبان : على ذلك يا ابن حَسنةَ بلغ الخليفة ما قلت لك .

شرحبيل : سأفعل يا أبا سعيد .

أبان : وجوادى مرنان .

شرحبيل : ما باله ؟

أبان : إنه جواد كريم ، هو الذى رجع بى إليكم إذ أصبت ولولاه ما رجعت ، فأنشدك بالله إلا ما أعطيته لمن تراه أجدر به من المسلمين .

أم أبان : أو من المسلمات ؟

أبان : أو من المسلمات .

شرحبيل : سأفعل يا أبا سعيد .

أبان : وادع الله أن يعجل لى بالراحة .

شرحبيل : صبراً قليلًا يا أبا سعيد ، فإن لكل ألم تحسه ثوابَه عند ربك !

أبان : إنى إنما أريد الراحة لكم لتفرغوا لشأنكم .

أم أبان : (**تبكى**) ليس لى شأن غيرك يا أبان .

أبان : بلى يا أم أبان ، إنك فى سبيل الله .

صوت : (**يسمع من قريب**) يا شرحبيل بن حَسنَة ! يا شرحبيل !

شرحبيل : من ؟ رومانوس ! اقترب يا أبا الروم !

رومانوس : (**يدخل من جهة اليمين**) السلام عليكم .

شرحبيل : وعليكِ السلام ورحمة الله . من أين يا رومانوس وإلى أين ؟

رومانوس : من أين وإلى أين ؟ من أحد الأبواب السبعة إلى أحد الأبوابِ السبعة . إنى أدور بينها كالنحلة .

شرحبيل : أعانك الله وقواك . خذ حِذرك يا أبا الروم ، فقد بلغنى أن الروم جعلوا جائزة لمن يأتيهم برأسك .

رومانوس : لو لم أكن أسلمت لروعنى ذلك ، أما بعد إسلامى فلا أبالى .

أبان : (**بصوت خافض لزوجته**) اعجبى لهذا الرومى كيف خالطت قلبه بشاشة الإيمان .

شرحبيل : إلى أى باب أنت ماض الساعة يا أبا الروم ؟

رومانوس : إلى الباب الشرقى ، فهل لديك من شىء تريد تبليغه إلى أميرنا خالد بن الوليد ؟

شرحبيل : إن كان يمدنا ببعض الرجال ، فإن توماس هذا يغادينا أو يراوحنا منذ يومين .

(**يسمع جلبة من بعيد**)

شرحبيل : ما هذا يا رومانوس ؟

رومانوس : (**يستطلع**) هذا توماس يخرج بكوكبته .

أم أبان : توماس ؟

شرحبيل : لا ترع يا رومانوس ، فإن رجالنا على تعبئة .

أم أبان : (**تنهض من عند زوجها**) والله لأقتلنه .

أبان : أم أبان !

أم أبان : والله لأقتلنه فى سبيل الله . بالله يا شرحبيل دلنى على توماس .. أين هو ؟ أيهم هو ؟

شرحبيل : مكانك أنت سأكفيك إياه .

أم أبان : كلا لن يقتله غيرى .

شرحبيل : إنى أخشى عليك .

أم أبان : تخشى على من الشهادة ؟

شرحبيل : أخشى عليك من الأسر .

أم أبان : لا تخف . هذا قوسى وأنا أجيد الرماية .

شرحبيل : لا بأس إذن ، فعسى الله أن يظفرك به .

أم أبان : أين هو ؟ أيهم هو ؟

شرحبيل : هو ذاك يلعب بفرسه وأمامه حامل الراية .

أم أبان : ذاك الذى يرتدى السواد ؟

شرحبيل : أجل .

أم أبان : ائذن لى يا أبان ، لن أغيب عنك طويلا .

(تخرج)

(تسمع من بعيد ضوضاء القتال) .

شرحبيل : يخرجون مرتين فى يوم واحد .

رومانوس : هذا خير يا شرحبيل .

شرحبيل : خير ؟

رومانوس : إن الجهد قد بلغ بأهل دمشق كل مبلغ . نحن محاصرون لها من أبوابها السبعة ، وكانوا يأملون فى مدد يرسله هرقل من حمص ، فلما قضى ذو الكلاع الحميرى على المدد الذى أرسله هرقل ، أيسوا من ذلك . وكان لهم مسرب من طريق الجبل يتسللون منه ، فقطعه عليهم خالد ، ورتب حرساً لمراقبته بالليل وبالنهار .

أبان : (يتمتم) اللهم انصر المسلمين .

شرحبيل : وى ! قد حمى الوطيس فائذن لى يا أبا سعيد .

أبان : اذهب مصاحبا يا شرحبيل .

شرحبيل : ابق عند أبى سعيد يا رومانوس .

(يخرج) .

رومانوس : لو نستطيع أن نصنع لك شيئا يا أبا سعيد .

أبان : الله يصنع لى الشهادة يا رومانوس ، هى خير وأبقى . ادن منى يا سيد الروم ، فإن النظر إلى وجهك يزيدنى إيماناً وتثبيتاً .

رومانوس : هل لقيت أنت رسول الله ﷺ يا أبا سعيد ؟

أبان : نعم .

رومانوس : يا ليتنى لقيته مثلك .

أبان : أنت أفضل منى يا أخا الروم .

رومانوس : أفضل منك ؟

أبان : ومن كل هؤلاء . إنك لم تر النبى ﷺ ، ولم تسمع منه ، ومع ذلك آمنت به .

رومانوس : أتدرى ماذا يزعم الروم عنى ؟ يزعمون أننى أسلمت من أجل الدنيا .

أبان : ويلهم . كنت حاكم بصرى فتركتها وجئت تجاهد معنا فى سبيل الله ، فأين الدنيا ؟

أصوات : (**من بعيد**) الله أكبر ! الله أكبر !

رومانوس : (**ينظر إلى جهة الشمال حيث تدور المعركة**) الحمد لله قد انهزم العدو !

أبان : ترى ماذا فعلت أم أبان ؟

رومانوس : ها هى ذى قادمة يخب بها الجواد ، وهذا شرحبيل من خلفها .

أبان : الحمد لله .

(**تدخل أم أبان فتدنو من زوجها وهى باكية**)

أبان : ما خطبك ؟ ما يبكيك ؟

أم أبان : لقد أردت أن أبشرك بقتل قاتلك ، فلم أوفق .

شرحبيل : (**يدخل**) بل احمدى الله يا أم أبان ، فقد كنت سبب انهزامهم .

أبان : (**مستفهماً**) كيف ؟

شرحبيل : رمت سهماً فأصابت يد الذى يحمل الراية لتوماس ، فسقطت الراية .

أم أبان : كنت أريد أن أصيب توماس فأخطأته .

شرحبيل : فقد أصبته بسهمك الثانى .. أصبته فى عينه اليمنى .

أم أبان : كنت أريد أن أصيبه فى كبده .

أبان : (**كالمعاتب وقد بدأ يثقل لسانه**) أم أبان !

أم أبان : فى سبيل الله يا أبان .

أبان : قد أبليت اليوم بلاء حسناً ، فقرى عيناً .

أم أبان : لن تقر عينى حتى أقتله .

أبان : (**ينظر إليها كالمعاتب ولا يستطيع الكلام**) ...

أم أبان : (**تنكب على رأسه باكية**) فى سبيل الله يا أبان ! فى سبيل الله !

(ستار)

المشهد الثاني

خيمة خالد بن الوليد أمير جيش الشام ، أمام الباب الشرق من أبواب دمشق .

(يرى خالد بن الوليد وعنده رومانوس وقد أجلسه إلى جانبه ، وهما يتحدثان) .

خالد : (**فى أسى**) رحم الله أبان بن سعيد ! نعم الفتى من قريش هو . (**يضرب على كتف رومانوس فى مودة**) يا أبا الروم ستبيت الليلة عندنا فى المعسكر .

رومانوس : إن شئت يا أمير الجيش أديت الرسالة فى هذه الليلة .

خالد : بل كفيت فلنسترح يا أبا الروم ، فلعلى احتاج إليك . (**ينهض حتى يصل إلى باب الخيمة فينادى**) يا ضرار بن الأزور ! يا ضرار بن الأزور !

صوت : نعم أيها الأمير .

خالد : تعال هنا عندى . (**يعود إلى مجلسه**) (**يدخل ضرار**) أصغ يا ضرار إلىّ . اختر من أوسط رجالنا مائة فانطلق بهم الساعة إلى شرحبيل بن حَسنَة ، ثم انطلق أنت إلى أبى عبيدة وسائر الأمراء فليبعث كل منهم مائة رجل لنجدة شرحبيل . لا تطلعن الشمس غدا إلا وهؤلاء الرجال عند شرحبيل .

ضرار : سمعاً أيها الأمير . (**يهم بالانصراف**)

خالد : على رسلك . هذا صاحبنا رومانوس الذى آثر الله ورسوله والجهاد فى سبيله على ملك بصرى ودنيا الروم ، فاصحبه إلى رحل القعقاع بن عمرو فهو ضيف عليه ، ولولا المهمة لآثرتك به . (**يخرج ضرار ورومانوس**) . (**يفتح باب الخباء الجانبى فينادى**) يا أم تميم !

أم تميم : (**صوتها**) لبيك يا أبا سليمان .

خالد : تعالى أنت وضيفك . (**تدخل أم تميم وأم حكيم وزوجها عكرمة ابن أبى جهل وابنه عمرو**) . (**لعكرمة وأم حكيم وعمرو**) مرحباً مرحباً بالحبيب والحبيبة ، وبابن الحبيب والحبيبة .

عكرمة : كيف أنت يا أبا سليمان ؟

خالد : أبا سليمان ؟ لعلك تريد منى أن أقول لك يا أبا عمرو ؟ يا رجل قل يا خالد . ويحك ليس بيننا من غريب . كلنا من بنى مخزوم .

أم تميم : أنا لست من بنى مخزوم يا خالد .

خالد : (**فى رقة وتدليل**) صدقت. كيف غرب عنى ذلك ؟

أم حكيم : بلى ، أم تميم قد أصبحت منا يا خال .

خالد : صدقت يا ابنةَ أختى .. هذه توأم نفس خالك . وإنها لغالية .

أم تميم : (**كالمنكرة**) غالية ؟

خالد : أجل .. ألست أنت التى أثرتِ على الدنيا ؟

أم تميم : بل أنت الذى أثرتَها على نفسك .

خالد : والله ما أثارها على غير ابن الخطاب !

عكرمة : عفا الله عما سلف يا خالد .

خالد : كان يريد أن يرجمنى بأحجار من أجلها ، كأنما لم أبن بها على كتاب الله وسنة رسوله .

عكرمة : ذلك بحسب ما بلغه من أنبائك يومذاك ، وإنك لتعرف شدة عمر فى الحق .

خالد : الله يعلم أنى ما قتلت مالكاً إلا على الكفر ، وما تزوجت أم تميم إلا بعدما انقضت عدتها منه .

عكرمة : دعنا يا خالد من هذه الأحاديث .

خالد : إنك لا تحب أن نذكر ابن أختنا بسوء .

عكرمة : أما إنه لرجل عظيم ، وإن من حظنا أن ولدته مخزومية .

خالد : والله لقد صدقت . والله إنى لأحبه وأبغضه فى آن واحد . (**ينظر إلى سقف الخيمة كأنه يتخيل شيئاً**) إنى لأتخيله يقول الساعة للخليفة أبى بكر . (**يقلد صوت عمر**) يا خليفة رسول الله ، ألا ترى إلى ابن الوليد كيف ظل يحاصر دمشق منذ ستة شهور ، فعطل جيوش المسلمين فى الشام .

عكرمة : يا ابن عمى إنك لتتخيل أشياء ليست تقع .

خالد : لم لا ؟ ألا تعلم أننا ظللنا نحاصر هذه المدينة منذ ستة شهور ؟

عكرمة : بلى ، ولكن هذا الذى قلته على لسان عمر .

خالد : والله إن يكن قد قال ذلك لقد صدق . أواه ! إن أشد ما يملأ نفسى ضيقاً وغماً ، أن أرى مدينة محصنة ذات خنادق وقناطر وذات أسوار وقلاع من الحجر الصلد ، يحتمى داخلها العدو كما تحتمى السلحفاة داخل درعها . بيد أنك تقلب السلحفاة على ظهرها فتجد منفذاً إليها ، ولكن كيف تقلب المدينة ؟؟

عمرو : نقلبها يا عم إذا نامت .

خالد : (**معجباً**) ما تقول يا ابن أخي ؟ إذا نامت ؟

عمرو : أجل إذا نامت ونام حراسها .

خالد : أما إن ابنك لنجيب يا أم حكيم .

أم حكيم : لا غرو يا خال ، فهو مخزومي الأب والأم .

خالد : (**يطرب لكلمتها**) بوركت يا ابنة أختي بوركت . لقد قلت الحق ورب الكعبة . والله إن في كلام هذا الفتى لعقلاً .

عكرمة : وهل ينام الحراس يا خالد ؟ إنهم ليتناوبون الحراسة .

(تسمع حركة عند الباب وأصوات)

خالد : انظر من بالباب يا عمرو .

عمرو : (**يذهب نحو الباب ويغيب قليلًا ثم يعود**) هذا الحرسي الموكل بمراقبة الجبل ، قد جاء معه بأسير من العدو .

عكرمة : (**ينهض**) سنقوم يا خالد ونتركك لعملك .

أم تميم : هلموا إلى الخباء الجواني إلى أن يفرغ خالد .

خالد : ذلك خير ، فإني أشتهي أن أسمر معكم بعد . (**يخرج الأربعة**) . ادخل يا حرسي .

(يدخل الحرسي يسوق فتى وسيما في نحو العشرين من عمره)

الحرسي : أيها الأمير هذا جاسوس وجدناه في طريق الجبل .

الفتى : كلا يا سيدي الأمير ما أنا بجاسوس . أحلف لك بالصليب ما أنا بجاسوس .

الحراسي : وجدناه يومئ بيديه إلى أصحابه داخل المدينة ، فلما قبضنا

عليه صاح بأعلى صوته لينذرهم : « قد أسر الطائر » فلا ريب أنه كان يتجسس علينا .

الفتى : إنما كنت أومئ لحبيبتى يودوقيا .

خالد : يودوقيا ؟

الفتى : هذا اسمها يا سيدى الأمير ، فلما قبضوا على أنذرتها لتعود إلى المدينة .

الحرسى : إنما زعم ذلك رجاء أن نطلق سراحه .

خالد : يا حارس دعنى وهذا الفتى ، وانتظر أنت بالباب . (**يخرج الحرسى**) .

خالد : (**ينظر إلى الفتى كأنه يعجمه**) تعال اجلس هنا بقربى لا تخف . (**يجلس الفتى بعد تردد**) إن صدقتنى القول أكرمتك وأطلقت سراحك ، وإن كذبتنى فالويل لك .

الفتى : والله يا سيدى الأمير إن الذى قلته لكم لحق .

خالد : إنى لأراك عربى الوجه واللسان ، أفأنت من غسان ؟

الفتى : لا يا سيدى الأمير . أنا من تنوخ .

خالد : ماذا كنتما تصنعان أنت وحبيبتك !

الفتى : كنا نريد أن نهرب من دمشق .

خالد : إلى أين ؟

الفتى : إلى أى مكان يمكننا أن نتزوج فيه .

خالد : وما يمنعكما من الزواج فى دمشق ؟

الفتى : أبوها لا يريدنى . يريد أن يزوجها لأمير من بيت هرقل .

خالد : ومن يكون أبوها ؟

الفتى : أبوها هو توماس صهر هرقل .

خالد : فأمها بنت هرقل ؟

الفتى : لا يا سيدى ، هى قريبة هرقل لا ابنته . ولكن الفتاة تحبنى وأنا أحبها ، وقد تعاهدنا فى كنيسة مريم العذراء ، وأمام تمثالها المقدس ، ألا يتزوج أحدنا إلا من الآخر حتى نموت .

خالد : أتدرى ماذا أصاب توماس اليوم ؟

الفتى : (فى اهتمام) لا يا سيدى ، فقد هربنا حينما خرج هو لقتال أصحابكم . فهل قتل يا سيدى ؟

خالد : لم يقتل ولكن أصيبت عينه .

الفتى : (فى أسى) يا ويح يودوقيا ! ستعود إلى بيتها فتجد أباها مصاباً فى عينه .

خالد : يا فتى ما أراك إلا صادقاً ، وقد وعدتك أن أطلق سراحك فاذهب حيث شئت .

الفتى : ما أصنع الآن بالذهاب وحدى ؟

خالد : عد إليها فى دمشق .

الفتى : لا أستطيع أن أعود يا سيدى الأمير .

خالد : لا تخف .. سنرسل معك من يوصلك إلى مأمنك .

الفتى : إن توماس رجل شرير ، وهو يكرهنى ويريد التخلص منى . فويل لى منه إن علم أننى حاولت الفرار بابنته . وإذا علم أننى كنت عندكم ، فلن يتورع عن اتهامى بالتجسس لكم ليدفع بى إلى الموت .

خالد : فماذا أستطيع أن أصنع لك يا بنى ؟

الفتى : تأذن لى أن أبقى عندكم حتى تدخلوا دمشق فأدخلها معكم على أن تمنعونى من توماس وشر توماس .

خالد : لك عندنا ما تحب يا ... ما اسمك ؟

الفتى : يونس يا سيدى .. اسمي يونس .

خالد : لم لا تسلم فتكون واحداً منا ؟

الفتى : دعنى يا سيدى أبقى على دينى .

خالد : كما تحب يا يونس .

(ستــار)

المشهد الثالث

فى خيمة خالد .

خالد يعقد اجتماعاً خاصاً لخاصة رجاله ، فيهم القعقاع بن عمرو التميمى ، وضرار بن الأزور الأسدى ، ومذعور بن عدى العجلى ، ورافع بن عميرة الطائى .

خالد : أنشدنى يا قعقاع أبياتك : لله در رافع أنى اهتدى ...

القعقاع : لله در رافـــــع أنى اهتـــــدى

فوَّزَ من قراقـــــــــر إلى سوى

خمساً إذا ما سارهـــا الجيش بكـــى

ما سارهـــا من قبلـــه إنس يرى

خالد : ولكنى يا قعقاع أقول :

لا درَّ درّ رافـــــــع أنى ثوِى

بـــــاب جِلَّـــقِ على غير جدى

رافع : وما ذنبى أنا يا سليمان ؟

خالد : أليس من العجز يا قوم ، أن نقطع تلك الفيافى الفيح التى ترهبها الجن وتحار فيها الأدلة فى خمس ليال ، ثم نقبع دون أسوار هذه المدينة ستة شهور طوال ؟

رافع : بلى والله ، ولوددت لو أستطيع أن أهديكم فيها إلى سبيل .

خالد : السبيل أمامنا واضح .

الجميع : ما هو ؟
خالد : أن نقتحم المدينة .
ضرار : من بابها هذا ؟
خالد : نعم .
مذعور : هلّا من باب آخر فيكون أسهل علينا ؟
ضرار : أجل . هذا أصعب أبوابها اقتحاماً . ألا ترى إلى هذا السور المنيع ، وإلى هذه الحصون بعضها فوق بعض ، وإلى هذا الخندق يفصلنا عن السور يجرى فيه هذا النهر ؟
خالد : ذلكم أحرى أن يؤتوا من قبله ، فمن مأمنه يؤتى الحذِر .
القعقاع : لم لا ننتظر قليلًا يا أبا سليمان ؟ فإن المدينة فى كرب عظيم ، ولن يمضى غير قليل حتى يتقدم أهلها بطلب الصلح .
خالد : ويحك يا قعقاع ، لا أريد أن يقال غداً إننا عجزنا عن فتح دمشق إلا بالصلح بعد أن نفدت أقوات أهلها . يجب أن نأخذها عَنوة قبل أن يطلبوا الصلح .
القعقاع : ما إخالك يا أبا سليمان إلا قد اهتديت إلى خطة .
خالد : نعم .. خطة ليست جديدة . كانت تدور برأسى من زمن بعيد ، ولكنى كنت أتحين الفرصة ، وقد ساقها الله إلينا اليوم . هذا الفتى الدمشقى أخبرنى أن حاكم المدينة قد ولد له غلام ، وأنهم سيحتفلون عشية اليوم السابع لمولده ، فيشربون ويقصفون .
القعقاع : ولكن ما هى الخطة ؟

خالد : سنصنع حبالًا كهيئة السلاليم ، ونتخذ أوهاقا ونهبط إلى الخندق وعلى ظهورنا القرب تساعدنا فى العوم ، ثم نرمى الأوهاق إلى الشُّرَف الناتئة على السور ، حتى إذا علقت بها تسلق أحدنا إلى أعلى السور فأثبت تلك السلاليم من الحبال ، فرقيناها واحداً بعد واحد ، ثم انحدرنا إلى الباب فأثمنا من يحرسه من الجند ، وفتحناه ليدخل سائر الجيش .

رافع : لله درك يا أبا سليمان ! هذه خطة لا تعرفها الجن .

خالد : فإنى أوصيكم بكتمانها سراً بيننا لا يتعدانا نحن الخمسة .

الجميع : سنفعل يا أبا سليمان .

خالد : لا أدعكم حتى تحلفوا معى والله العظيم ..

الجميع : والله العظيم ..

خالد : لا أفشى هذا السر لأحد من المسلمين ولا من غير المسلمين .

الجميع : لا أفشى هذا السر لأحد من المسلمين ولا من غير المسلمين .

(ستـــار)

المشهد الرابع

فى وسط دمشق بالمقسلاط عند كنيسة يوحنا المعمدان .

يلتقى خالد وأبو عبيدة ومع كل منهما رجاله ، وبينهم معاذ بن جبل لا يفارق أبا عبيدة .

أبو عبيدة : يا أبا سليمان ! يا أبا سليمان ! إنى صالحتهم فمر رجالك أن يكفوا عنهم .

خالد : لكنا فتحناها عَنوة يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : الصلح خير يا أبا سليمان .

خالد : لقد خدعوك يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : (**يترجل عن جواده**) ألا تنزل يا أبا سليمان حتى أتحدث إليك من قريب ؟

خالد : (**ينزل عن جواده**) حباً وكرامة .

أبو عبيدة : هلم نجلس على هذه المصطبة . (**يجلس هو وخالد على مصطبة فى فناء الكنيسة ويأخذ بعض الرجال جواديهما منهما**) .

خالد : إنما صالحوك بعد ما علموا أننا اقتحمنا الباب الشرقى .

أبو عبيدة : لا بأس يا أبا سليمان . ذلك أحرى أن يفوا بشروط الصلح ولا ينقضوه .

خالد : لولا استشرتنى قبل إبرامه ، فقد كان ينبغى أن أعلم .

أبو عبيدة : ستعلم غداً ما حملنى على التعجيل بإمضائه فتعذرنى .

خالد : غداً ؟ وماذا يمنعك أن تعلمنيه اليوم ؟

أبو عبيدة : (**فى حيرة وتردد**) اليوم ؟

خالد : إذا شئت .

أبو عبيدة : (**كأنه يجد الخلاص من حيرته**) خشيت يا أبا سليمان أن يعدلوا عن طلب الصلح ، فأمضيته وأنا أعلم أنك لن تنقض أمراً أبرمه أخوك أبو عبيدة .

خالد : معاذ الله يا أبا عبيدة أن أنقض أمراً أبرمته ، فأنت أمين هذه الأمة ، ولكنى ظننت أن أبا بكر قد ولانى أميراً على جيش الشام كله ، لترجعوا جميعاً إلى .

أبو عبيدة : والله يا أبا سليمان ما أردت أن أفتات على إمارتك ، فأنت أمير الجيش كله ، وما أنا إلا رجل من المسلمين . ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يجير على المسلمين أدناهم) . وكان ﷺ يسارع إلى قبول الصلح .

خالد : يا ضرار بن الأزور .. مر رجالنا بالكف عن القتال فى كل مكان .

أبو عبيدة : جزاك الله خيراً يا أبا سليمان ..

خالد : فكيف نصنع الآن بهذه المدينة ؟

أبو عبيدة : نعتبرها كلها صلحاً ، فالصلح خير .

خالد : كلا ، إن فى ذلك غبناً كبيراً على المسلمين .

أبو عبيدة : يرحمك الله يا أبا سليمان . إنا معشر المسلمين لا نريد علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين .

خالد : ما تقول يا أبا عبيدة لو احتكمنا فى ذلك إلى خليفة رسول الله؟

أبو عبيدة : (**فى شىء من الاضطراب**) إلى خليفة رسول الله ؟

خالد : نعم نكتب إليه بما حصل فيرى رأيه .

أبو عبيدة : قد رضيت ، فلنكتب فى ذلك إلى الخليفة .

خالد : وعلام صالحتهم يا أبا عبيدة ؟

أبو عبيدة : على أن يدفع أهلها الجزية ، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم نحميها لهم بما نحمى به أنفسنا . وعلى أن للروم منهم أن يخرجوا من المدينة ، ويحملوا ما شاءوا من مالٍ ومتاعٍ فى خلال ثلاثة أيامٍ .

خالد : ومن سلاحٍ ؟

أبو عبيدة : ومن سلاح .

خالد : عفا الله عنك ، لم سمحت لهم بذلك ؟ أيخرجون بأسلحتهم ليحاربونا بها غداً ؟

أبو عبيدة : غفر الله لك ، وهل يعجز هرقل أن يجد من السلاح فوق ما يحتاج إليه ؟

خالد : لكنا نحن يا أبا عبيدة فى حاجة إلى ذلك السلاح .

أبو عبيدة : أنت سيف الله ليس عند هرقل مثلك ، والله معنا .

خالد : إنك عقدت معهم هذا الصلح وأنت لا تعلم أننا فتحنا المدينة عَنوة من الجانب الآخر ، فمن حقك أن تطالبهم بإسقاط هذا الشرط من العقد .

أبو عبيدة : معاذ الله يا خالد أن أنقض حرفا مما أبرمت ، فإن كنت تطمع في هذا السلاح فلا سبيل إليه . وإن كنت تخاف منه على المسلمين فقد كتبنا عليهم فى العقد أن للمسلمين أن يقتفوا آثارهم بعد ثلاثة أيام ، فيأخذوا هذه الأسلحة منهم إن لحقوهم

خالد : (**فرحا**) أوَ قد كتبتم ذلك فى العقد ؟

أبو عبيدة : نعم ، لكى نضمن أنهم يبعدون بها عنا .

خالد : أتقول بعد ثلاثة أيام ؟

أبو عبيدة : نعم .

خالد : هم الذين اشترطوا هذه المهلة أم أنتم ؟

أبو عبيدة : بل نحن شرطناها ، فقد كانوا يطلبون أكثر من ذلك .

خالد : فالحمد لله ، الأسلحة لنا إن شاء الله .

أبو عبيدة : (**فى قلق**) ماذا أنت فاعل يا خالد ؟

خالد : اطمئن يا أبا عبيدة ، فلن أنقض لهم حرفا مما أبرمته .

(يدنو أحد القساوسة من أبى عبيدة وخالد)

القسّ : أتأذنون لنا فنأتى لكم بمقاعد فتجلسوا عليها فى هذا الفناء ؟

خالد : نعم أيها القس الجليل ، ونحن لكم شاكرون .

(يسرع جماعة من العمال يحملون المقاعد فيضعونها فى فناء الكنيسة ، فيجلس عليها خالد وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل ، ويأتى بقية الأمراء شرحبيل بن حَسنَة ويزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص ، فيتصافحون ويهنئ بعضهم بعضاً ويتحدث بعضهم إلى بعض) .

(تسمع جلبة من وراء الكنيسة ، فطفِق الأمراء يتساءلون . وإذا حبيب بن مسلمة الفهرى يتقدم إلى أبى عبيدة) .

حبيب : هذا توماس صهر هرقل يريد أن يشكو إليك يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : م يشكو ؟ هل أساء إليه أحد من المسلمين ؟ (**يلتفت إلى خالد**) هل تأذن يا أبا سليمان ؟

خالد : أدخلوه .

(يدخل توماس مربوط العين اليمنى)

توماس : يا سيدى الأمير .

أبو عبيدة : (**يشير إلى خالد**) هذا أميرنا فاشك إليه .

توماس : كلا لا أشكو إلا إليك ، فأنت الذى أمضيت معنا الصلح .

خالد : لا بأس يا أبا عبيدة ، فلتستمع إلى شكواه .

(ضرار بن الأزور يشق الصفوف ومعه يونس ويودوقيا ، حتى يقف بهما أمام أبى عبيدة وخالد)

توماس : يا سيدى الأمير ، هذا الفتى أغوى ابنتى هذه وأخذها منى عَنوة .

(يتبادل خالد وأبو عبيدة النظر وهما يبتسمان)

أبو عبيدة : أتلك هى ابنتك ؟ (**يشير إلى يودوقيا وهى معلقة بذراع يونس**)

توماس : نعم .

أبو عبيدة : فما أراه أخذها عَنوة بل صلحاً .

(يضحك خالد ضحكة عالية)

توماس : لقد خدعها يا سيدى الأمير وأغواها .

أبو عبيدة : هذا أمر يخصكم فما شأننا بذلك ؟

توماس : بل التبعة عليكم فى ذلك . هذا الفتى ما كان ليجرؤ على ارتكاب ما صنع ، لولا هذا الجندى العربى ومن معه (**يشير إلى ضرار**)

أبو عبيدة : ضرار بن الأزور ، ما خلطك بهؤلاء ؟

ضرار : أنا مكلف يا أبا عبيدة بحماية هذا الفتى من بطش هذا الرجل .

(**ينظر أبو عبيدة إلى خالد كأنه يسأله فيومئ له خالد أن نعم**) .

أبو عبيدة : هل اعتدى عليك هذا الجندى العربى ؟

توماس : نعم ، اقتحم برجا له بيتى فأخرج ابنتى منه وأعطاها لهذا الفتى .

يونس : (**ينظر إلى أبى عبيدة**) هذا كذب . يا سيدى الأمير ما دخل بيته أحد ، وإنما وقفوا معى أمام البيت حتى خرجت يودوقيا إلىّ ، فحاول هو أن يبطش بى فحمونى منه .

خالد : سل الفتاة يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : (**ليودوقيا**) ما تقولين أنت يا فتاة ؟

يودوقيا : لقد صدق يونس ، ما أخرجنى من بيتنا أحد . أنا خرجت إليه من تلقاء نفسى لأنى أحببته وأحبنى ، وكان أبى يرفض أن يزوجنى له ، ولكنى اليوم حرة !

أبو عبيدة : (**لتوماس**) يا توماس ما منعك أن تزوجها له ؟

توماس : ليس كفؤاً لها يا سيدى الأمير .. إنه ليس من الروم .

يودوقيا : أنا حرة أختار زوجى من الروم أو من غير الروم .

أبو عبيدة : كم سنك يا فتاة ؟

يودوقيا : سبع عشرة سنة .

أبو عبيدة : هى إذن رشيدة ، فلا سلطان لك عليها .

(يبدو السرور على الحبيبين يونس ويودوقيا)

توماس : (**فى استعطاف**) أتتركيننى يا يودوقيا ؟ أتتركين أباك ؟ إن هان عليك أن تتركينى فكيف تتركين والدتك وليس لها غيرك ؟ إنها ستموت كمداً عليك . أوَ ليس فى قلبك رحمة ؟

يودوقيا : وأنت يا أبى لم تعترض سبيل سعادتى ! أليس فى قلبك رحمة ؟

توماس : إنى يا بنيتى إنما أعمل لسعادتك .

يودوقيا : إذن فزوجنى ليونس ، فهو حبى وسعادتى .

توماس : هل يسرك يا يودوقيا أن يخون أبوك قومه ومليكه ؟

يودوقيا : ما شأن زواجنا بقومك ومليكك . ؟

توماس : هذا الفتى جاسوس يا يودوقيا ، فكيف أزوج ابنتى لجاسوس ؟

يودوقيا : جاسوس ؟

توماس : ألم تفهمى بعد أنه جاسوس ؟ انضم إلى الجيش المحاصر للباب الشرق ، وما هى إلا أيام حتى اقتحموه ودخلوا المدينة عَنوة . أفتشكين بعد أنه جاسوس باع نفسه للفاتحين ؟

(يتغير وجه الفتاة ثم تبتعد عن يونس لتنضم إلى أبيها)

يونس : يودوقيا ! لا تصدقيه يا يودوقيا ، إنه دائماً يكذب . هؤلاء المسلمون ليسوا بحاجة إلى مثلى لينتصروا به ، فقد هزموا جيوش الروم فى بصرى وأجنادين ومرج الصُّفَّر وما كنت أنا يا يودوقيا معهم .

توماس : هلمى يا بنيتى فإن أمك فى انتظارك .

يونس : يودوقيا ؟ يودوقيا ! ستندمين يا يودوقيا . إنه سيعذبك ويزوجك بمن لا تحبين . يودوقيا !

(تسير يودوقيا مع توماس وهى باكية دون أن تقول كلمة)

خالد : هون عليك يا يونس .

يونس : (**ينفجر باكياً**) أنصفنى يا أمير العرب من هذا الظالم القاسى القلب .

خالد : تجلد يا يونس .

يونس : أرجوك يا سيدى الأمير .

أبو عبيدة : (**ليونس**) الآن وقد اختارت أباها فلا سبيل لك عليها ولا عليه .

(ستار)

المشهد الخامس

بيت حاكم دمشق وقد اتخذه المسلمون مقراً للحكم .

خالد بن الوليد وعنده يونس .

يونس : يا سيدى الأمير إننى خائف .

خالد : من أى شىء ، ويلك ؟

يونس : ألّا تدركوا القوم .

خالد : إنك لا تعرف خيول العرب يا يونس ، فكيف وقد أرحناها وأحسنا علفها منذ يوم الفتح ؟

يونس : أعددت لذلك منذ يوم الفتح ؟

خالد : أجل .. ستراها كيف تنطلق كالبرق .

يونس : لكن متى تخرجون أيها الأمير ؟ هذا اليوم الثالث منذ خرجوا .

خالد : إنى فى انتظار الرائد الذى أرسلناه .

يونس : ضرار ؟

خالد : بل رافع بن عميرة .

يونس : ذاك الذى يعدو على قدميه فيسبق الخيل ؟

خالد : نعم .

يونس : (**يتأوه**) آه إنى أخاف على يودوقيا يا سيدى الأمير .

خالد : يودوقيا .. يودوقيا .. ما أنت ويودوقيا بعدما هجرتك وتركتك ؟

يونس : يا سيدى إنها قد ندمت على ما فعلت ، وأرادت أن تعود إلى ، ولكن أباها قيدها وحبسها ، ثم خرج بها من دمشق يوم الخروج مكتفة مكمومة الفم داخل هودج ، حتى لا تصيح فتستغيث بكم .

خالد : ومن أين علمت ذلك ؟

يونس : من كثير من جيرانها ومعارفها . إنه يعذبها عذاباً شديداً يا سيدى الأمير .

(يدخل رافع بن عميرة الطائى ولا يكاد يرى وجهه من غبار الطريق)

خالد : (**فى طرب**) رافع !

رافع : أبشر يا أبا سليمان ، فإنى وجدتُهم قد تركوا طريق حمص وساروا فى طريق الجبل يقصدون أرض الروم .

خالد : الحمد لله . لقد كنت أخشى أن يلجأوا إلى حمص .

رافع : لا أدرى ما منعهم من ذلك .

خالد : منعهم أن الأسلحة ستكون لنا يا رافع . وأين تركتَهم ؟

رافع : على بضعة أميال من حمص .

خالد : ومتى تركتهم ؟

رافع : البارحة بعد منتصف الليل .

خالد : لندركنهم بإذن الله إن سرينا الليلة بعد العشاء . اذهب فآذن رجالنا بذلك ، وخذ يونس معك فاختر له جواداً حسناً وأعطه ما شاء من سلاح .

(يخرج رافع ويونس)

أم تميم : (**تدخل ومعها أم أبان فى ثياب الحداد**) هذه أم أبان يا خالد تريد أن تشترك معنا فى السرية .

أم أبان : أجل يا سليمان ، أريد أن أنتقم من توماس فهو قاتل زوجى .

خالد : أخوك أبو هاشم بن عتبة سيكون معنا ، فهو يكفيك هذا العلج .

أم أبان : كلا يا أبا سليمان . إنى آليت لأرمينه بسهمى فى كبده .

خالد : تحسنين الركوب يا أم أبان ؟

أم أبان : وأحسن الرمى بالنبل .

أم تميم : عندها المرنان ، جواد كان لزوجها لا يسبقه سابق .

خالد : رأيته يا أم تميم ؟

أم تميم : نعم .

خالد : أيكون أجود من الأشقر ؟

أم تميم : الأشقر يا خالد ليس له نَديد . الأشقر فى الخيل كخالد فى الرجال !

خالد : (**ينظر إليها مليا كالمعجب ، ثم يلتفت إلى أم أبان**) تهيئى أم أبان مع أم تميم وخولة بنت الأزور .

(**يدخل غلام خالد**)

الغلام : أبو عبيدة يا سيدى .

خالد : ويلك دعه يدخل . (**تنسحب أم تميم وأم أبان إلى الداخل**)

(**يدخل أبو عبيدة ومعه معاذ بن جبل**) مرحباً بأبى عبيدة .. مرحباً بمعاذ بن جبل .

أبو عبيدة : انتظرناك لتصلى بالناس العصر يا أبا سليمان ، فلم تحضر .

خالد : يا أبا عبيدة ، أمثلى يتقدم عليك فى الصلاة ؟ لا والله لا يكون ذلك أبداً .

أبو عبيدة : أنت أميرنا يا خالد .

خالد : أنا أميركم فى القتال لا فى الصلاة .

معاذ : يا أبا سليمان هذه سنة رسول الله ﷺ .

خالد : ﷺ . إذن فقد أنبتكما عنى ، أيكما يحضر فليصل بالناس .

أبو عبيدة : بلغنى يا خالد أنك ستسرى الليلة فى أثر القوم .

خالد : نعم .. قد مضت ثلاثة أيام منذ خروجهم .

أبو عبيدة : ما أحسبهم إلا قد بلغوا حمص .

خالد : لكنهم لم يدخلوا حمص ، بل ساروا فى طريق الجبال يقصدون أرض الروم .

أبو عبيدة : إذن فقد أبعدهم الله عنا فعلام تطاردهم ؟

خالد : الشرط أملك يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : فأين البر يا خالد وأين التكرم ؟ سيقولون غداً إن المسلمين يغدِرون .

خالد : (**يعلو صوته**) الله يعلم أننا لا نغدر ، وإلا لما انتظرنا ثلاثة أيام كاملة .

أبو عبيدة : ما أحسب تلك الأسلحة التى خرجوا بها تستحق منا كل هذه المشقة .

خالد : الأسلحة ليست هى الغاية .

أبو عبيدة : فما الغاية إذن ؟

خالد : أن نروع هرقل حتى يبرح حمص وشيكاً ، حين يبلغه أن خيولنا قد جاوزت حمص وتوغلت فى أرض الروم .

أبو عبيدة : هذا حسن يا أبا سليمان ، ولكنا أمرنا ألا نقْدِمَ المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ، ولا ننزلهم منزلًا قبل أن نستريدَه لهم ونعلم كيف مأتاه ، ولا نبعث سرية إلا فى كنَف من الناس.

خالد : من ذا أمرنا بذلك ؟

أبو عبيدة : (**بعد تردد يسير**) الخليفة .

خالد : يرحمك الله يا أبا عبيدة . نحن أعلم بحرب هذه البلاد من الخليفة ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب . وقد استردنا المكان وعرفنا كيف مأتاه ، فطب نفساً فلن ألقى المسلمين فى هلكة إن شاء الله .

أبو عبيدة : إذن فأنشدك الله يا خالد إن لحقتم القوم ألا تقاتلوهم حتى تنذروهم بأن يلقوا إليكم الأسلحة ، فإن ألقوها فلا سبيل لكم عليهم .

خالد : ما أحسب ذلك فى كتاب الصلح .

أبو عبيدة : بلى كان ذلك فى صدورنا حين كتبنا الكتاب وأمضيناه ، والله عليم بذات الصدور .

خالد : (**ينظر إليه كالمعجب بما سمع**) وترضى عنى بعد ذلك يا صاحب رسول الله ؟

أبو عبيدة : نعم ، وأسأل الله أن يرضى عنك .

(**ستار**)

المشهد السادس

في واد نزه عجيب المنظر بين الجبال يسمى مرج الديباج على عشرة أميال من المصّيصة حيث طاب للقوم النزول فيه للراحة والاستجمام ، فطلع عليهم خالد قبيل طلوع الفجر وهم نيام بعد .

خالد : (**يسمع صوته مدوياً**) الله أكبر ! الله أكبر !

المسلمون : (**يرددون التكبيرة**) الله أكبر ! الله أكبر !

(يراع القوم فيهبون من نومهم في رعب واضطراب ، لا يدرون ماذا يصنعون)

يونس : (**يسمع صوته**) أيها القوم . هذا خالد بن الوليد قد جاءكم بنفسه يأمركم بإلقاء الأسلحة التي حملتموها من دمشق . فإن أطعتم ترككم تمضون في سبيلكم لا يمسكم بسوء ، وإلا فسينقض عليكم ويمزقكم كل ممزق .

يودوقيا : (**تهمس لأمها الواقفة بجانبها**) هذا صوت يونس يا أماه .

مارجريتا : صه يا بنتي لا يسمعك أبوك .

أصوات : (**ترتفع مختلطاً بعضها ببعض**)

ــ كلا لا نسلم لهم الأسلحة .

ــ يا قوم هذا خالد العملاق الرهيب نفسه .

ــ يجب أن نقاتلهم ، إننا على خطوات من المصّيصة !

— والله ليحصدنكم خالد ولا ينفعكم أحد .
— ألقوا إليه الأسلحة . ما تصنعون بالأسلحة ؟
— عندنا منها كثير . أرواحنا أثمن من الأسلحة .
— اسمعوا .. هذا توماس يريد أن يتكلم .

توماس : (**يتقدم إلى الأمام**) يا معشر العرب . كنا نظن أنكم لا تغدرون ولا تنقضون العهد ، فإذا الغدر شيمتكم . كيف أبحتم لأنفسكم أن تنقضوا كتاب الصلح الذى بيننا وبينكم ولما يجف مداده ؟

يونس : كلا ما نقضنا عهدكم . لقد خرجنا من دمشق بعد انقضاء ثلاثة أيام من خروجكم فأدركناكم . فصار لنا الحق بموجب كتاب الصلح أن نأخذ منكم الأسلحة . فألقوها إلينا خيراً لكم ، وإلا فأنتم تعرفون بطش خالد .

أصوات : اسكت يا توماس .. لا تلق بنا إلى الهلكة . أعطوهم الأسلحة وأنقذوا أرواحكم . ماذا نصنع بالأسلحة ؟

توماس : إن كنتم تريدون تسليم الأسلحة فما أنا إلا واحد منكم . يا معشر العرب ، إننا سنلقى إليكم الأسلحة على شرط ألا تمسونا بسوء ، ولا تنهبوا ما عندنا من مال ومتاع .

يونس : (**صوته**) نحن لا نريد منكم غير الأسلحة .

توماس : وى ! هذا يونس ! عجباً كيف لم أعرف صوته إلا الساعة (**ينظر نحو ابنته وزوجته**) عرفت صوته قبلى . إنها تتطلع نحوه .

يودوقيا : (**لأمها**) يخيل إلى يا أماه أن أبى قد عرف صوته . إنى سأهرب إليه يا أماه قبل أن يفوت الأوان .

مارجريتا : كلا لا تفعلي يا بنيتي .. إن أباك سيقتلك .

يونس : (**صوته**) أنتم جميعاً فى أمان الأمير خالد . فأرسلوا إلينا الأسلحة .

توماس : هذا صوته لا ريب فى ذلك .

أصوات : أجبهم يا توماس .. أجبهم .

توماس : رويدكم ، سنرسل إليكم الأسلحة .

يودوقيا : إنه يلاحظنى يا أماه بنظرات غريبة ، فيها حقد وقسوة . وداعاً يا أماه .. إنى هاربة إلى يونس .

(تنسل هاربة ناحية المسلمين حتى تغيب)

توماس : (**يسرع إلى قوسه فيطلق سهماً على ابنته**) أيتها الفاجرة !

يودوقيا : (**تسمع صرختها من ناحية المسلمين**) آه ، قتلنى أبى !

يونس : (**صوته**) حبيبتى يودوقيا . توماس قتل يودوقيا أيها الأمير ! توماس قتل يودوقيا أيها الأمير !

خالد : (**صوته الجهورى**) أنا خالد أقول لكم سلموا توماس الذى قتل ابنته يودوقيا ، حتى لا يعمكم العقاب .

أصوات : سلم نفسك يا توماس .. سلم نفسك يا توماس .

توماس : (**بأعلى صوته**) ما شأنكم أنتم ؟ إنها ابنتى لا شأن لأحد بها غيرى .

أصوات : سلم نفسك يا توماس .. سلم نفسك يا توماس .

مارجريتا : (**باكية تتفجع**) تباً لك يا توماس ! أطوّعت لك نفسك قتل ابنتك ؟ ابنتنا الوحيدة يودوقيا .

توماس : تريد أن تبدل دينها ، وتتزوج هذا السورى اليعقوبى .

مارجريتا : وهل هذا ذنب يوجب القتل !

توماس : أنت التى شجعتها إذن . (**يهم بضربها**)

مارجريتا : أنقذونى ، أنقذونى من هذا الوحش !

(يلتف الناس حول توماس فيقبضون عليه)

(ستـــار)

المشهد السابع

البقعة التى فيها المسلمون من المكان نفسه .

ترى يودوقيا صريعة على الأرض وحولها أم تميم وأم أبان وخولة بنت الأزور يداوين جرحها ، ويقف قريباً منهن يونس وهو يبكى وخالد يواسيه .

خالد : تجلد يا يونس . إنهن يعالجن جرحها ، فإن كتب الله لها النجاة فستنجو ، وإلا فلن ينجيها بكاؤك . (**يلتفت إلى النسوة**) كيف حال الجريحة ؟

أم تميم : مغمى عليها يا خالد فلا نعرف هل ...

خالد : (**مقاطعاً**) ابذلى كل ما فى وسعك يا أم تميم .
(**يلتفت إلى الناحية التى فيها الروم**) ها هم أولاء قد جاءوا به مكتوفاً .

أم أبان : (**تنهض وتدنو من خالد**) دعنى يا أبا سليمان أقتله أنا وأبر قسمى .

خالد : (**ناظراً نحو جهة الروم**) حسبكم . قفوا مكانكم وسطاً بيننا وبينكم حتى يراه الكل . دقوا عموداً فى الأرض فاربطوه إليه .

صوت : (**من ناحية الروم**) أنصلبه يا سيدى الأمير ؟

أصوات : أجل اصلبه يا أمير العرب ! اصلبه فإنه يستحق الصلب !

خالد : كلا يا قوم ، إن ديننا ينهانا عن التعذيب والمثلة ، ولكنا سنمضى فيه حكم الله فيمن قتل عمداً بغير حق .

أم أبان : تأذن لى يا أبا سليمان ؟

خالد : ترمينه بسهم !

أم أبان : فى كبده .

خالد : لست أدرى أيجوز أن يقتل بغير السيف ؟

أم أبان : لم لا ؟ القتل هو القتل .

خالد : ضرب العنق أخف وأسرع .

أم أبان : ثق يا أبا سليمان أن سهمى سيصيب سواء كبده ، فيموت فى التو .

خالد : اللهم لا علم لنا فاغفر لنا إن كان ذنباً . هيا يا أم أبان ، دونك القاتل فارميه . ابتعدوا عن العمود .. لكن انتظرى يا أم أبان .. حتى تقضى الفتاة نحبها فربما تعيش .

مارجريتا : (**صوتها**) يا أمير العرب أريد أن أرى يودوقيا . أريد أن أرى ابنتى .

خالد : تعالى يا أمة الله ، افسحوا لها الطريق . (**ينسحب**)

(**تظهر مارجريتا فتنكب على ابنتها تبللها بدموعها**)

مارجريتا : يودوقيا ! يودوقيا ! أنا أمك يا يودوقيا ! لا تموتى يا يودوقيا !

أم تميم : (**تواسيها فى حنان**) هذه غشية وستفيق منها بإذن الله .

مارجريتا : (**ترتمى على أم تميم باكية**) حسبك الله يا توماس .

يونس : (**الذى لا تغفل عينه عن يودوقيا طول الوقت يقترب منها**) يودوقيا ! يودوقيا ! أنا يونس يا يودوقيا ! يودوقيا !

يودوقيا : (**لتمتم**) يونس !

يونس : نعم أنا يونس يا يودوقيا .

يودوقيا : (**تفتح عينيها**) يونس أين نحن ؟ وماذا نصنع هنا ؟ (**يلذعها الألم**) آه آه قتلنى أبى .. أبى قتلنى .

يونس : ستعيشين يا يودوقيا ، وتكونين لى وأكون لك .

يودوقيا : (**تسعل سعلة شديدة**) هيهات يا يونس ، انتهيت .

يونس : هل لك أن تجيبينى إلى طلب صغير ؟

يودوقيا : تريدنى أن أسلم مثلك ؟

يونس : نعم ، بحق حبنا الطاهر يا يودوقيا .

يودوقيا : وما الفائدة الآن ؟

يونس : لعلنا نجتمع يا يودوقيا فى الجنة .

يودوقيا : ألهم جنة ولنا جنة ؟ أليست جنة الله واحدة ؟

يونس : أسلمى يا يودوقيا مثلى .

مارجريتا : كلا لا تغيرى دينك يا يودوقيا .

يودوقيا : (**تنظر إلى أمها**) أماه أنت هنا ؟

مارجريتا : نعم .

يودوقيا : مع المسلمين ؟

مارجريتا : لا يا يودوقيا . أنا جئت لأراك . إياك يا بنيتى أن تغيرى دينك .

يودوقيا : الله محبة ؟

مارجريتا : أجل يا يودوقيا الله محبة .

يودوقيا : لذلك قتلنى أبى .. لأننى أحببت ! (**تسعل سعلة أخرى**) آه .

يونس : يودوقيا !

يودوقيا : يونس .. أنا على دينك يا يونس أيًّا كان .

يونس : أنا مسلم يا يودوقيا .

يودوقيا : (**بصوت متقطع**) فأنا إذن مسلمة . (**تموت**)

يونس : (**ينهض فرحاً**) الحمد لله لقد أسلمت يودوقيا أيها الأمير ، أسلمت وهى تموت .

خالد : (**يظهر**) الحمد لله . سنصلى عليها يا يونس . هيا يا أم أبان ، دونك القاتل فاقتليه .

توماس : (**يسمع صوته صائحاً**) يا أمير العرب كيف تقتلنى بلا محاكمة ؟

خالد : قد سمعنا إقرارك آنفاً بقتل ابنتك .

أصوات : (**من ناحية الروم**) ونحن جميعاً شاهدون على ذلك .

مارجريتا : (**متوسلة**) يا أمير العرب الرحمة الرحمة ! ابنتى وزوجى فى يوم واحد ؟

خالد : تتشفعين له وقد قتل ابنتك ؟

مارجريتا : (**باكية**) يا سيدى الأمير إنه بعد زوجى ؟

القعقاع : لم لا تعفو عنه يا خالد ، فيكون ذلك أبلغ فيما نقصد ؟

يونس : كلا يا سيدى لا تعف عنه .. يجب أن ينال جزاءه .

مارجريتا : لو كنت تحب يودوقيا حقاً ، لعطفت على أمها وأبيها .

خالد : هيا يا أم أبان فى سواء الكبد !

(تصوب أم أبان قوسها من أوضاع مختلفة ، كأنها تخشى أن تخطئ كبده)

توماس : (**صوته**) اقتلونى إذن وأريحونى !

مارجريتا : الرحمة يا أمير العرب الرحمة !

أم أبان : (**تضطرب فى يدها القوس وتتمتم**) لا تكونى مثل آكلة الأكباد يوم أحد . أنت لست مثلها .. أنت نشأت فى الإسلام .

خالد : (**يدنو منها**) ما خطبك ؟

أم أبان : (**تبكى**) أعفنى يا أبا سليمان .. لا أستطيع .

(**تنسحب**) .

خالد : إذن فقد أراد الله له النجاة . أطلقوا سراحه ، وليصنع به هرقل ما يشاء .

مارجريتا : شكراً لك يا أمير العرب ، شكراً لك أبد الدهر . والآن ألا تعطوننى جثة ابنتى ؟

خالد : كلا هذه قد أصبحت منا ، فسنصلى عليها وندفنها نحن .

مارجريتا : (**تمشى متضعضعة لتعود إلى جانب الروم وهى تتمتم**) : حسبك الله يا توماس . أنت الذى أخرجتها من دينها . قتلتها جسداً وروحاً فماتت موتتين .

خالد : (**منادياً**) أيها المسلمون .. هلموا إلى الصلاة على أختكم أمة الله يودوقيا بنت توماس !

(ستـــار)

المشهد الثانى

فى منزل أبى عبيدة بدمشق .

(أبو عبيدة وعنده خالد . وعلى خالد غبار السفر) .

أبو عبيدة : لا حول ولا قوة إلا بالله . ومن الذى بلغك النبأ ؟

خالد : أحد رجالى .

أبو عبيدة : فقطعت المسافة كلها فى يوم وليلة ؟

خالد : نعم .

أبو عبيدة : لقد تجشمت صعباً يا أبا سليمان .

خالد : لم أستطع صبراً يا أبا عبيدة . ما كان ينبغى أن تخفى مثل هذا النبأ عنى .

أبو عبيدة : معذرة يا خالد ، لقد اضطررت إلى ذلك إذ وصلنى كتاب عمر غداة جاء الروم يفاوضوننى فى الصلح ، فخشيت على المسلمين الفتنة والجزع ، وخشيت كذلك أن يعدل الروم عن طلب الصلح أو يتشددوا فى شروطه .

خالد : فذاك الذى حملك على التعجيل بإمضاء الصلح ؟

أبو عبيدة : نعم .

خالد : هذا حسن ، ولكن بعد إمضاء الصلح وبعد أن سيطرنا على المدينة ، بل بعد أن خرج الروم منها ، لم كتمتنى بعد . ؟

أبو عبيدة : إنى وجدتك حينئذ تستعد لمطاردة الخارجين ، فلم أشأ أن أكسر عليك حربك . وقد حاولت أن أثنيك عن تلك السرية لأتفق معك على الرأى فى إعلان وفاة أبى بكر وتولية عمر ، فقد كنت أخشى أن يبلغ عمر أننا لم نعلن ولايته للمسلمين فيغضب ، فوقعت فى حرج ، واضطررت آخر الأمر إلى إعلان الأمر غداة مسيرك،ولكنى لم أعلن حتى الآن خبر عزلك.

خالد : يرحمك الله ، وما منعك من ذلك ؟

أبو عبيدة : أردت يا أبا سليمان أن تكون أول من يعلم ذلك .

خالد : كأن أحداً لا يعلم ذلك حتى الآن ؟

أبو عبيدة : اللهم إلا معاذ بن جبل ، فهو خليلى وعيبة سرى . والله يا خالد لوددت لو بقيت فى منصبك أميراً للجيش ، فأنت أعلم منى بالحرب .

خالد : قد علمت يا أبا عبيدة أن عمر لن يبقينى فى إمارة الجيش أبداً .

أبو عبيدة : لا بأس يا أبا سليمان . إنى سأعمل برأيك ولا أقطع أمراً دونك . وأجعلك وكأنك أنت أمير الجيش . ولَبِّثْ قليلًا فلن أزال بابن الخطاب حتى يعيدك حيث كنت .

خالد : كلا لا تفعل أنشدك الله . إنا يا أبا عبيدة لا نعمل لعمر ولا لغير عمر ، إنما نعمل للهالحى القيوم الذى لا يموت .

أبو عبيدة : صدقت يا أبا سليمان وبررت .

خالد : واحسرتاه يا أبا عبيدة أن الإسلام فاجأنا وأذهلنا فقاومناه ، فلما آمنا به كان الآخرون قد سبقونا إليه . وإنى لأظن أن من

الظلم أن يوازن بيننا و بين المستضعفين ، فإن هؤلاء ما كان يسعهم إلا أن يسارعوا إلى الإيمان ليتخلصوا به من الذل الذى كانوا يعانون ، وليس أمرنا كذلك .

أبو عبيدة : فما تقول إذن فى أبى بكر وعمر وعثمان ، وقد كانوا من الأشراف ؟

خالد : أما أبو بكر فصديق رسول الله ﷺ وصفيه ، أما عثمان فرجل سهل لين أقنعه أبو بكر ، وأما عمر فقد مكث ست سنين لقى المسلمون خلالها من أذاه ما لم يلقوه إلا من قليل .

أبو عبيدة : ولكنه لما أسلم اعتز به الإسلام .

خالد : لو شاء الله لأسلمت يوم أسلم عمر . إذن لكان لى اليوم شأن آخر .

أبو عبيدة : أى شأن تعنى يا أبا سليمان ؟

خالد : لا تلق لها بالًا يا أبا عبيدة ، فإنما هى أمنية جالت ثم زالت . وإنى لأحمد الله على ما أنعم. فقد كان يسيراً على الله أن يميتنى على الكفر كما أمات الوليد بن المغيرة وعمرو بن هشام بن المغيرة ، وإن كانا لعظيمين !

(ستار)

المشهد التاسع

فى قصر هرقل ملك الروم بحمص .

هرقل على عرشه وفوق رأسه التاج يلمع . وبجانبه زوجته الشابة الملكة مارتينا ، وقد مثل أمامه القائد تيودور .

هرقل : (**غاضباً**) خبرنى يا تيودور كيف استطاعت هذه السرية من العرب أن تصل إلى مرج الديباج ، دون أن ينذر بهم أحد ؟ أين جنودنا ؟ وأين مخافرنا ؟

تيودور : يا سيدى القيصر ، هذه السرية كان يقودها خالد نفسه . وقد تصدى له كثير من جنودنا على طول الطريق ولكنه هزمهم .

هرقل : فكيف لم نعلم بنبئهم إلا بعد ما انتهى كل شىء ؟

تيودور : يا سيدى القيصر ، إن خيولهم كانت تجرى بهم فى سرعة مذهلة . من ذا يصدق أنهم قطعوا المسافة من دمشق إلى مرج الديباج فى أقل من يومين وليلتين ؟

هرقل : والله إنى لفى حيرة من هؤلاء ومنكم . كلما سألتكم قلتم : رجالهم أشجع من رجالنا ، وخيولهم أسرع من خيولنا ، ولو استطعتم لقلتم أيضاً إنهم أكثر منا عدداً وأقوى منا عدة .

تيودور : إنى أنصح سيدى القيصر بالرحيل من حمص ، فقد أصبح بقاؤه بها غير مأمون العاقبة .

(**يتهلل وجه الإمبراطورة مارتينا دون أن تتكلم**) .

هرقل : (**ممتعضاً**) إلى أين ؟

تيودور : إلى أنطاكية .

هرقل : ثم من أنطاكية إلى أين ؟

تيودور : (**فى حيرة**) لا ينبغى أن نشغل بالنا بذلك من الآن يا مولاى .

هرقل : (**ضائق الصدر**) إنى لا أذكر أنك أشرت على برأى فى مقاومة العرب ومقاتلتهم قط ، وإنما تنصحنى دائماً بالرحيل من مكان إلى مكان . من بيت المقدس إلى دمشق .. من دمشق إلى حمص .. من حمص إلى أنطاكية .. من أنطاكية إلى جهنم !

(**يعبس وجه مارتينا**) .

تيودور : يا سيدى القصر ، إن إخلاصى لك هو الذى يدفعنى إلى ذلك . إن هذه المدن والبلاد يمكن استردادها ما بقى لنا الإمبراطور هرقل ، هازم كسرى ، ومحرر قبر المسيح ، معيد الصليب الأعظم إلى كنيسة القيامة ، ماذا يكون هؤلاء العرب ؟ أيكونون أقوى من الفرس حين اغتصبوا منا سورية ومصر ، وزحفوا فى عقر دارنا حتى شارفوا القسطنطينية ؟ لقد ملكوا هذه البلاد عشر سنين ، ثم ماذا ؟ ثم طردتهم منها يا مولاى ، فكأنهم ما ملكوها قط .

هرقل : (**سره هذا الحديث قليلاً فى أول الأمر ، ولكنه سرعان ما ضاق به**) فأنت تؤمن إذن أننى قادر على طرد هؤلاء العرب من هذه البلاد ؟

تيودور : بقدرة الله ، وبسرّ السيد المسيح وعون القديسين .

هرقل : إنى باق إذن فى حمص ، ولن أرحل منها أبداً حتى أطردهم بقدرة الله ، وبسر السيد المسيح ، وعون القديسين !

(**يزداد وجه مارتينا عبوساً**)

تيودور : لكن يا مولاى ...

هرقل : (**غاضباً**) اخرج من عندى لا أريد نصائحك .

تيودور : يا مولاى ...

هرقل : اخرج . (**يخرج القائد تيودور**)

الحاجب : القائد باهان يستأذن يا مولاى .

هرقل : دعه يدخل .. لقد جاء فى الوقت المناسب .

(**يدخل باهان**)

باهان : (**يركع أمام العرش**) التحيات لمولاى الإمبراطور .

هرقل : استعد يا باهان ، فإنى قد قررت أن أبقى فى حمص ولا أبرحها حتى أكسر هؤلاء العرب الأجلاف ، وأطردهم شر طردة .

باهان : باركتك السماء يا مولاى الإمبراطور ! هذا هو الرأى الذى طالما نصحتك به مذ كنا فى أرض فلسطين .

هرقل : (**يختلس نظرة إلى مارتينا فيروعه عبوس وجهها ، فينظر إلى باهان ملياً**) اصدقنى يا باهان ، أترى ذلك مجدياً بعد أم قد فات الأوان ؟

باهان : يا مولاى لا تتردد فيما اتخذته من قرار . إنك إذا رابطت بحمص تشجع جنودك وتحمسوا ، وقالوا ليست حياتنا بأغلى من حياة الإمبراطور ، واطمأنت نفوس الأهالى إلى قوتنا فأعانونا على العدو بكل ما يملكون .

هرقل : ألا ترى أن أنطاكية أحصن وأمنع ؟

باهان : يا مولاى الإمبراطور ، إنما المناعة فى النفوس لا فى الأسوار والحصون .

هرقل : صدقت يا باهان .. إنى قد وليتك القيادة العامة ، فاجمع جموعك ودبر خططك على أساس أنى باق فى حمص .

باهان : (**يركع معظماً**) إنى أشكر جلالة الإمبراطور ، وأعده بأنى سأنتصر على العرب ، أو أموت فداء له . (**يخرج**)

(**يزداد العبوس فى وجه مارتينا دون أن تنبس ببنت شفة ، ويختلس هرقل النظر إليها كأنه يخشى أن يواجهها ، وإذ يراها عابسة ينقبض صدره**) .

هرقل : مارتينا أيتها الحبيبة ، ما بالك عابسة ؟

مارتينا : ألا تعرف يا حبيبى السبب ؟

هرقل : ماذا أصنع يا مارتينا ؟ لو بقيت أرحل من مكان إلى مكان فسأترك سورية كلها لهؤلاء العرب .

مارتينا : خير لنا أن نتركها لهم ، من أن نقع أسرى فى أيديهم .

هرقل : إن كنت خائفة يا حبيبتى ، فلا بأس أن ترحلى أنت .

مارتينا : (**فى دلال**) تباً لك يا هرقل . إنما أنا خائفة عليك أنت !

هرقل : نحن هنا فى أمان . المدينة منيعة يا مارتينا .

مارتينا : ليست يا حبيبى بأمنع من دمشق .

هرقل : قد سمعت يا حبيبتى ما قلت للقائد باهان .

مارتينا : لو كان هذا الأرمنى مخلصاً لكِ ، لقال لك ارحل من حمص ودعنى أرابط فيها وأدافع عنها إلى الموت . ألا تعلم يا حبيبى أنهم إذا وصلوا إلى حمص وأنت بها ، استماتوا فى القتال ليخلصوا إليك ويسوقونى معك إلى ملكهم فى جزيرة العرب ؟

هرقل : اطمئنى يا مارتينا .. اطمئنى يا حبيبة القلب .

مارتينا : نرحل غداً إلى أنطاكية ؟

هرقل : نرحل !

(ستار)

المشهد العاشر

منزل عمر بن الخطاب فى المدينة .

بهو صغير ليس فيه من الأثاث إلا قليل .

عمر : **(يرى زوجته غاضبة فيواسيها)** اصبرى يا عاتكة ، فإن الله مع الصابرين .

عاتكة : ألا تعلم يا عمر أنه ليس فى بيتنا اليوم شىء ؟

عمر : نحن اليوم صائمان ، وإلى أن تغرب الشمس يكون الله قد جاء بالفرج إن شاء الله .

عاتكة : يا ابن عمى ليس الذى بى هو هم اليوم فحسب . فهبنا جاءنا شىء عند الإفطار ، فما يكون حالنا غداً وبعد غد ؟

عمر : إنى اشتركت فى تجهيز عير إلى اليمن ، لعلها تعود بربح طيب إن شاء الله .

عاتكة : ومتى تعود تلك العير ؟ لن تعود قبل شهرين . وإذا جاءت وجاءك ربح منها فستقضى به الديون التى عليك لحفصة ابنتك ، ولعبد الله ابنك ، ولغيرهما .

عمر : صدقت ، فبم تشيرين على ؟

عاتكة : اجعل وقتاً للنظر فى أمور الناس ، ووقتاً للتجارة فى السوق .

عمر : فهذا هو ما أصنع يا عاتكة .

عاتكة : كلا ، إنك لم تذهب إلى السوق غير يومين طوال هذا الشهر : يوم جئتنا بوسق من التمر قلت إنك ربحته ، ويوم اشتريت الغنم من ذلك الأعرابى فبعتها إلى القصاب ، فكان ربحك منها قطعة لحم فى يديك .

عمر : (**يضحك**) ذلك الأعرابى من زرود ! قاتله الله ! لقد سامنى يومئذ الخسف . لكأنى أراه وقد وثب مغضباً فأخذ بثيابى وضربنى فى صدرى ، وقال هلم الثمن أو أقاضيك إلى عمر . قلت له : سيستأنيك عمر لى حتى أبيع الغنم فأعطيك الثمن الذى لك . قال لى : والله لئن فعل عمر ذلك لأقولن له إنك ظالم ! (**يمضى عمر فى ضحكه**) فاضطررت أن أبيعها لذلك القصاب بغير ربح ، إلا تلك القطعة من اللحم .

عاتكة : أليس ذلك لأنك كنت مشغولًا عن السوق ، وأنت فى السوق ؟

عمر : صدقت كنت مشغول البال يومئذ .

عاتكة : فكيف يستقيم الحال على ذلك يا أبا عياض ؟

عمر : هلَّا قلت يا أبا حفص ؟

عاتكة : أبو عياض أحب إلى .

عمر : ويحك !! إن رسول الله ﷺ هو الذى كنانى أبا حفص .

عاتكة : (**تنظر جهة الباب**) هذه حفصة أم المؤمنين .

عمر : أهلًا بحفصة .. أهلًا بأم المؤمنين .. إياك يا بنية أن تكونى جئت لتأخذى شيئاً مما لك على أبيك ؟

عاتكة : فليس مع أبيك اليوم شيء .

حفصة : بل جئت يا أبت بمائة درهم لك .

عمر : من أين أتيت بها ، وما كان عندك شيء ؟

حفصة : اقترضتها يا أبي من إحدى صواحبي .

عمر : لا والله لا أقترض ممن يقترض . خذيها يا بنية فرديها لصاحبتك .

حفصة : لكنك بحاجة إليها .

عمر : قد وعدني عبد الرحمن بن عوف أن يقرضني اليوم شيئاً . اذهبي الساعة عودك على بدئك فرديها لصاحبتك .

عاتكة : ألا تدع أم المؤمنين بيننا نأتنس بها قليلًا ؟

عمر : أم المؤمنين ستذهب إلى صاحبتها فترد لها مالها ، ثم تعود إلينا فنأتنس بها .

(**تخرج حفصة**)) .

عاتكة : أحقاً وعدك عبد الرحمن بن عوف ؟

عمر : نعم ، وقد أرسلت إليه أسلم ليقبض منه .

عاتكة : فإنك لم تخبرني بذلك ؟

عمر : خشيت يا عاتكة أن تلوميني .

عاتكة : كم وعدك أن يقرضك ؟

عمر : مائتي درهم . (**يدخل أسلم**) وجدته يا أسلم ؟

أسلم : نعم يا سيدي ، ولكنه لم يدفع لي شيئاً .

عمر : ماذا قال لك ؟

أسلم : قال لي : قل لمولاك يأخذها من بيت المال ثم ليردها .

عمر : (**غاضباً**) ويلك ! أوَقد قال عبد الرحمن بن عوف ذلك لك ؟

أسلم : نعم يا سيدى .

عمر : تذكر يا غلام لعله قال لك شيئاً آخر .

أسلم : أجل يا سيدى ، قال لى شيئاً آخر أيضاً .

عمر : ماذا قال لك ؟

أسلم : إنه آت إليك الساعة ليتحدث معك .

عمر : قاتل الله الشح ! ألم أكن أعلم أن فى وسعى أن أقترض من بيت المال لو شئت ؟ أكنت بحاجة إلى عبد الرحمن بن عوف ليدلنى على ذلك ؟

(**يخرج أسلم**)

عاتكة : ليتك أخذتها من حفصة ابنتك .

عمر : والله ليكونن لى معه كلام .

أسلم : (**يعود**) بالباب عبد الرحمن بن عوف وجماعة من أصحاب رسول الله ﷺ .

عاتكة : رويدكم ! (**تصلح من الفراش الذى فى الحجرة ثم تخرج**) .

عمر : قل لهم ادخلوا .

(**يدخل عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد بن زيد ، ثم عبد الرحمن بن عوف**) .

الجماعة : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : (**متعجباً**) أمير المؤمنين ! ما بدا لكم فى هذا الاسم ؟

عثمان : سمعنا ذلك من أعرابى قدم المدينة اليوم . سمعناه يقول لصاحبه : إن لم تعطنى حقى فلأشكونك إلى أمير المؤمنين .

على : فقلنا إنه قد أصاب اسمك . أنت الأمير ونحن المؤمنون .

عمر : صدقتم . هذا والله خير من خليفة رسول الله ، وإنه ليصلح أن يقال لمن يأتى بعدى .

ابن عوف : فإنا سندعوك منذ اليوم يا أمير المؤمنين .

عمر : هلم يا ابن عوف . لقد رأيتك دخلت آخر القوم ، تتوارى خجلًا من قالتك التى قلتها .

ابن عوف : يا أمير المؤمنين ما قلت إلا خيراً .

عمر : والله لأخبرنهم بها . إن هذا الغنى الشحيح وعد أن يقرضنى مائتى درهم ، فلما أرسلت إليه غلامى اليوم قال له : قل لمولاك يأخذها من بيت المال ثم ليردها .

ابن عوف : أجل قد قلت ذلك يا قوم ، فأسألكم بالله هل فى ذلك من بأس؟

الجماعة : لا بأس يا أمير المؤمنين .

عمر : أتظاهرونه على شحه ؟ أآخذها من بيت المال حتى إذا مت قبل أن تجيء قلتم : أخذها أمير المؤمنين دعوها له . وأوخذ أنا يوم القيامة ؟ لا والله ، بل آخذها من رجل شحيح مثل عبد الرحمن ، فإن مت أخذها من ميراثى .

سعد : رويدك يا أمير المؤمنين . نحن الذين أوعزنا إلى عبد الرحمن بن عوف أن يقول ما قال . إن هذا الأمر قد شغلك عن تجارتك كما شغل أبا بكر قبلك ، فينبغى أن تأخذ من بيت المال كما فعل أبو بكر .

عمر : أفلهذا حضرتم اليوم عندى ؟

الجماعة : نعم .

ابن عوف : (**ضاحكاً**) ولندعوك يا أمير المؤمنين !

عمر : جزاكم الله خيراً يا أصحاب رسول الله . والله لقد هممت مراراً أن أجمعكم فأفاتحكم فى هذا الأمر ، ولكنى كنت أقول لنفسى فى كل مرة : لعل رزقاً يأتيك يا عمر فتستغنى به عن ذلك .

الزبير : ونحن كنا نظن أنك تأخذ مثلما يأخذ سلفك أبو بكر ، حتى نبهنا عبد الرحمن بن عوف .

عمر : لا والله ، ما كنت لآخذ شيئاً من مال الله دون رأيكم . فما ترون أنه يصلح لى من هذا المال ؟

الجماعة : القول ما يقول على بن أبى طالب .

عمر : قل يا على .

على : ما يصلحك ويصلح عيالك بالمعروف ، ليس لك من هذا المال غيره .

عمر : هذا حسن ، وإنى لا أطلب مزيداً عليه . فليكن ذلك سنة لكل من يلى هذا الأمر بعدى . ولكنى سأنزل نفسى من مال الله بمنزلة ولى اليتيم ، إن استغنيت استعففت ، وإن افتقرت أخذت بالمعروف ، فإذا أيسرت قضيت .

على : لله أنت يا ابن الخطاب ، لتتعبن والله من بعدك .

(**يدخل أسلم**)

عمر : ماذا وراءك يا أسلم ؟

أسلم : رسول أبى عبيدة من الشام .

عمر : أين هو ؟ أدخله . اللهم أسمعنا خيراً ! اللهم اجعله بشيراً بالفتح !

(يخرج أسلم ، ثم يعود ومعه عقبة بن عامر الجهنى)

عقبة : السلام عليك يا خليفة خليفة رسول الله .

الجماعة : بل قل السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فهذا اسمه منذ اليوم .

عقبة : هذا والله أفضل . السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله . ماذا وراءك يا أخا جهينة ؟

عقبة : الخير والفتح يا أمير المؤمنين . قد فتح الله دمشق على المسلمين .

الجميع : الحمد لله على ما أنعم . الحمد لله الذى صدق وعده ، وأعز جنده .

(يسلم عقبة كتابين لعمر)

عمر : (**يفتح أحدهما فينظر فيه**) ما هذا يا عقبة ؟ هذا لأبى بكر رحمه الله .

الجماعة : (**فى تعجب**) لأبى بكر ؟

عمر : ومن خالد بن الوليد .

عقبة : افتح الكتاب الثانى ، فهو من أبى عبيدة إليك .

(يفض عمر الكتاب الثانى ، وينظر فيه والحاضرون يتطلعون إليه متعجبين)

الجماعة : خير يا أمير المؤمنين ؟!

عمر : خير إن شاء الله (**ينادى**) يا أسلم !

أسلم : لبيك يا أمير المؤمنين . (**يظهر**)

عمر : انطلق إلى المسجد فمرهم فلينادوا الصلاة جامعة .

أسلم : سمعاً يا أمير المؤمنين . (**يخرج منطلقاً**)

عمر : يا صَحابة رسول الله إنى مستفتيكم ، فأفتونى فى مدينة حاصرها المسلمون من أبواب متعددة ، ثم فتحت صلحاً من باب وعنوة من باب آخر فى وقت واحد : أنجعلها جميعها صلحاً أم نجعل بعضها صلحاً وبعضها عنوة ؟

طلحة : نجعل بعضها صلحاً وبعضها عنوة .

سعد : بل نجعلها جميعها صلحاً .

الزبير : الرأى رأى طلحة .

ابن عوف : كلا .. بل الرأى رأى سعد فالصلح خير .

عثمان : أجل .. الصلح خير .

عمر : فما تقول يا على ؟

على : قال الله عز وجل لرسوله : ﴿ وإن جنحوا للسَّلم فاجنح لها وتوكّل على الله ﴾ .

عمر : الحمد لله الذى ألهم أبا عبيدة وجه الحق !

أسلم : (**يدخل**) يا أمير المؤمنين ، هذا الأشعث بن قيس يستأذن عليك .

عمر : الأشعث بن قيس ؟ ألم تقل له إن أصحاب رسول الله عندى ؟

أسلم : بلى يا أمير المؤمنين .

عمر : ائذن له . (**يخرج أسلم ، ويدخل الأشعث بن قيس**) ماذا جاء بك الساعة يا أخا كندة ؟

الأشعث : يا خليفة خليفة ...

الجماعة : بل قل يا أمير المؤمنين ، فهذا اسمه منذ اليوم .

الأشعث : هذا والله أفضل . يا أمير المؤمنين ، ما كنت أحسب أنك تلقانى هكذا فى بيتك .

عمر : ويلك ! قد علمت أن عندى أصحاب رسول الله . أفأردت يا أشيعث كندة أن توهم الناس بأنى اتخذتك من أهل الشورى ، فأنت واحد منهم ؟

الأشعث : معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أكون قصدت ذلك .

عمر : فهلَّا جئتنى وأنا خال لك ؟

الأشعث : يا أمير المؤمنين إنى قصدت أن ألقاك وهؤلاء معك ، لعلمى أنك ستحتاج إلى مشورتهم فيما أنا عارضه عليك .

عمر : وماذا أنت عارض : هات .

الأشعث : إنك أخبرتنا يا أمير المؤمنين أول من أمس ، أن أهل فارس قد اجتمع أمرهم على بوران بنت كسرى ، وأنها أرسلت إلى بطلهم رستم فأمرته على الجند ، وأن أهل السواد قد ثاروا بالمسلمين ، وأن المثنى قد انسحب من الحيرة واعتصم بخفان لئلا يؤتى من خلفه ، وأنه يستغيث .

عمر : أجل يا أشعث .

الأشعث : وقد مكثت شهراً تندب الناس للمسير مع أبى عبيد إلى العراق ، فلم ينتدب منهم إلا قليل .

عمر : (فى اهتمام) صدقت .

الأشعث : وأعلنت فى الآفاق أنك قد أذنت لأهل الردة أن يغزوا مع إخوانهم المسلمين .

عمر : أجل .

الأشعث : هذا أفضل عمل قمت به يا أمير المؤمنين ، وقد تباشرت به العرب من زرود إلى حضر موت . ولكنه لا يتم ولا يحقق ما تريد إلا بعمل آخر مكمل له .

عمر : وما ذاك يا أخا كندة ؟

الأشعث : أن تعيد سباياهم إليهم ، فإن ذلك سيزيل المرارة التى فى نفوسهم ، ويستل السخائم التى فى صدورهم ، ولتجدنهم بعد ذلك أطوع لك من بنانك ، فأنت تعلم حرص العرب على أحسابها وأعراضها .

عمر : (فرحاً) والله يا أشعث ما عدوت ما فى نفسى ، ولقد سنح لى هذا الرأى منذ حين .

الأشعث : فنفذه يا أمير المؤمنين إن شئت أن تبرأ العرب من أحقادها ، وتفرغ لجهادها .

عمر : ما ترون يا أصحاب رسول الله فيما عرضه الأشعث ؟

ابن عوف : إن السبايا موزعة فى الناس ، فكيف السبيل إلى ردها ؟

عمر : سأكتب بذلك إلى عمالى فى الآفاق ، فمن شاء أن يترك سبيه لله فعل ، ومن شاء الفدية أخذها بالمعروف .

طلحة : يا أمير المؤمنين ، أليس شأن هؤلاء شأن غيرهم من السبى ؟

عمر : لا يا أبا محمد ، هؤلاء عرب . وإنى لأكره أن يكون السبى سنة فى العرب .

عثمان : يا أمير المؤمنين ، إن ديننا لا يفرق بين العرب وغير العرب .

عمر : هذا حق ، ولكن الله قد اختار العرب لتبليغ هذه الرسالة إلى سائر الأمم ، فحرى أن يكون مبلغوها أحراراً أعزة لا يضرب فى عروقهم رق ، ولا يسم أنوفهم سبى !

على : قد هديت يا أمير المؤمنين ، فلا تكن فى ريب ، فإنما تحرر رقاباً ، والله يدعو إلى تحرير الرقاب .

الأشعث : هل لى يا أمير المؤمنين أن أعلن ذلك لأصحابى .

عمر : بل انتظر حتى أعلنه أنا للناس من منبر رسول الله ﷺ .

(يسمع صوت المنادى وهو يردد)

الصوت : الصلاة جامعة ! الصلاة جامعة ! الصلاة جامعة !

(ينهض الجماعة قائمين)

عمر : (**يتمتم**) ليت شعرى ماذا فعل المثنى فى العراق ؟

على : سير جيش أبى عبيد يا أمير المؤمنين ، فما ينبغى أن تؤخره . فإن جاء أحد بعد ذلك فليلحق به .

عمر : صدقت يا أبا الحسن . إنى مسيره غداً إن شاء الله . اللهم انصرنا فى العراق كما نصرتنا فى الشام .

(ستـــار)

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ ــ اخناتون ونفرتيتى .
٢ ــ سلامة القس .
٣ ــ وا إسلاماه .
٤ ــ قصر الهودج .
٥ ــ الفرعون الموعود .
٦ ــ شيلوك الجديد .
٧ ــ عودة الفردوس .
٨ ــ روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ــ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ــ ليلة النهر .
١١ ــ السلسلة والغفران .
١٢ ــ الثائر الأحمر .
١٣ ــ الدكتور حازم .
١٤ ــ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ــ مسمار جحا .
١٦ ــ مأساة أوديب .
١٧ ــ سر شهر زاد .
١٨ ــ سيرة شجاع .
١٩ ــ شعب الله المختار .
٢٠ ــ امبراطورية فى المزاد .

٢١ ــ الدنيا فوضى .

٢٢ ــ أوزوريس .

٢٣ ــ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية .

٢٤ ــ دار ابن لقمان .

٢٥ ــ قطط وفيران .

٢٦ ــ هاروت وماروت .

٢٧ ــ جلفدان هانم .

٢٨ ــ الفلاح الفصيح .

٢٩ ــ حبل الغسيل .

٣٠ ــ الشيماء (شادية الإسلام) .

٣١ ــ هكذا لقى الله عمر .

٣٢ ــ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .

٣٣ ــ إله إسرائيل .

٣٤ ــ الزعيم الأوحد .

٣٥ ــ الدودة والثعبان .

٣٦ ــ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا) .

معركة الجسر

الملحمة الإسلامية الكبرى



معركة الجسر

علي احمد باكثير

المشهد الأول

خيمة المثنى بن حارثة فى « خفّان » على حدود البادية . المثنى قاعدا على الأرض يصقل سيفا له ، وزوجته سلمى بنت أبى خصفة تعد شيئا من الحلواء كأنها تريده لضيف .

المثنى : اعملى خبيصك جيدا ، فقد بلغنى أن نساء ثقيف لا يبارين فى صنع الأطعمة والأشربة .

سلمى : أتخشى أن تنقدنى امرأة هذا الثقفى الذى جعلوه أميرا عليك ؟

المثنى : ما زلت يا سلمى واجدة على أبى عبيد . لا حق لك . ما ذنبه هو ؟

(تظهر شيرين الفارسية خارج الخباء تريد أن تدخل ، ولكنها تتراجع إذ تسمع الحديث بين المثنى وسلمى فتجلس خارج الخباء تتنصت)

سلمى : والله إنى لواجدة ولن أبرح واجدة . بأى شىء يفضلك أبو عبيد هذا ؟ أبالمظهر ؟ فأنت أطول قامة منه وأبعد ما بين المنكبين . أم بالشجاعة ؟ فربيعة تعلم كلها أنك فتاها فى كل ملمة . أم بالعرفان ؟ فأنت أعلم بهذه البلاد من هذا الذى يطؤها لأول مرة . فأى شىء فيه ليس فيك حتى يولّيه هذا الخليفة الجديد مكانك ؟

المثنى : هوّنى عليك يا سلمى ، فليس ذلك بذى بال

سلمى : ليس بذى بال !. يؤخذ مكانك ويعطى لمن هو دونك فى كل شيء وتقول : ليس بذى بال ؟

المثنى : أنت لا تعرفين عمر بن الخطاب . إنه طراز فريد فى الناس ؟

سلمى : أفهو خير من الخليفة أبى بكر ؟

المثنى : أبو بكر أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ؛ ولكن عمر نسيج وحده . لقد ذهبت إليه يا سلمى وأنا أقول لنفسى : جاء خالد بن الوليد فقبلته أميرا علىّ ، فلما أنفذه أبو بكر إلى الشام وَعُدْت أميرا ، كما كنت ، جاء ابن الخطاب فأمّر هذا الثقفى . لا والله لا أقبل ذلك أبدا ، ولأطالبنه بإنفاذ وصية أبى بكر على وجهها .

سلمى : (فى اهتمام ولهف) فماذا فعلت ؟

المثنى : ما كدت أمثل بين يديه ويخلو بى ، حتى شعرت يا بنت أبى خصفة كأنما كان هذا الرجل ينظر إلى ما يهجس بخاطرى ، إذ ابتدرنى قائلا : يا أخا شيبان ، لعلك تريد أن تلومنى إذ وليت رجلا آخر مكانك ؟ قلت : نعم . قال : أتجاهد فى سبيل الله يا ابن حارثة أم فى سبيل بكر بن وائل ؟ قلت : بل فى سبيل الله . قال : فلا ضير إذن أن يرئسك أبو عبيد ، وتكون له أنت الناصح والمشير .

سلمى : لا ضير أن يرئسك خالد بن الوليد ، فخالد بطل الجزيرة . أما هذا النكرة ...

المثنى : إن يكن نكرة عندك فهو معروف عند قومه .

سلمى : وامرأته كذلك ليست بأشجع ولا أصلب من امرأتك .

المثنى : (**يضحك**) أما فى هذا فقد صدقت يا بنت أبى خصفة . أنت أشجع منها وأصلب و ...

سلمى : وماذا ؟

المثنى : وأجمل .

سلمى : فهى الآن تعلونى وتتفوق علىّ .

المثنى : آه لو سمعك عمر بن الخطاب !

سلمى : مالى ولعمر بن الخطاب ؟

المثنى : إنه يا سلمى لا يقبل من أحد إلا النية الخالصة لله سبحانه . لقد تفرس فىّ يوم جئته فعلم ما كان يجول فى نفسى من فخر القبيلة وشهوة الغلبة على فارس ، تتمة لما غلبناها فى يوم ذى قار ، فقال لى ما قال . ما أشك اليوم أنه ما عزلنى إلا لذلك ، ومن يدرى لعله عرف أيضا يومذاك أن لى زوجة تحب الفخر والزهو بزوجها وبفعال زوجها فى حرب فارس .

سلمى : ويلك ، من أين له أن يعرف ذلك ؟

المثنى : لعله قرأ ذلك فى عينى .

سلمى : دعنى من هُنيَّاتك ، والله لو صُنع مثل هذا بغيرك ما رضى ولا استكان . هذه ديار قومك وأنت سيدهم وفتى فتيانهم ، فكيف يتقدمك فيها رجل من ثقيف ؟

المثنى : يا سلمى إنها لقضية أخرى غير قضية النزاع القديم بين العرب وفارس . هذه هداية للعرب ولأهل فارس على السواء . فنحن لا نقاتل اليوم للفخر أو المجد ، بل لتكون كلمة الله هى العليا . فأين من هذا ما كنا فيه من قبل ؟

سلمى : عجبا لك يا مثنى أشد العجب ! لقد نازعت خالدا عند مسيره إلى الشام حين أراد أن يستأثر بمعظم الصحابة وأهل الشجاعة والنجدة من دونك ، على خلاف ما أمر به أبو بكر ، وما تركته حتى نزل على ما أردت ، وخالد ما هو . ثم تُعزل اليوم من منصبك على خلاف ما أوصى به أبو بكر ، فترضى وتستكين !

المثنى : ما تقولين يا سلمى فى خالد وفىّ ؟

سلمى : أنتما فرسا رهان بَيْدَ أنه رجل من قريش .

المثنى : فقد عزله عمر عن إمرة الشام .

سلمى : عزل خالد بن الوليد ؟

المثنى : فى نفس اليوم الذى عزلنى فيه .

سلمى : والله ليثورن خالد .

المثنى : كلا يا سلمى بل سمع وأطاع .

سلمى : من أين علمت ؟

المثنى : من هؤلاء القادمين مع أبى عبيد .

سلمى : هذا شىء عجاب .

المثنى : ألم أقل إن عمر نسيج وحده ؟ إنه رجل لا يكاد يواجهه أحد ، حتى تذوب من نفسه كل شهوة من شهواتها ، وكل هوى من أهوائها ، ولا يبقى غير الحق وغير العمل لذات الله . إنه رجل إلٰهى يعطيك من ذاته أكثر مما يأخذه منك ، فلا تملك إلا الرضا بقضائه كائنا ما يكون .

شيرين : (**تنظر خلفها فتنهض من مجلسها**) هذا المعنَّى قد جاء .
(**تغيب ثم تعود من يسار المنظر ومعها زوجها المُعنَّى ابن حارثة ، فيدخلان الخباء**) .

المثنى : (**مُرحّبا فى دعابة**) مرحبا بالأميرة بنت الملوك ، ومرحبا بزوجها العربى الصعلوك .
(**يضحك الجميع**)

شيرين : هيهات كان ذلك فيما مضى . أما بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، فأنتم الملوك .

المثنى : لا تستعجلى حتى نفتح المدائن .

شيرين : (**تتنهد**) كأنى بكم قد فتحتموها .

المثنى : ألِآنَّ زوجك فتح حصن المرأة ؟
(**يضجون بالضحك**)

شيرين : (**فى لهجة ذات معنى**) المُعنَّى زوجى ما فتح حصنها فحسب ، بل فتح قلبها ، وذلك أخطر الفتح .

المعنى : بل ألذه يا شيرين . ليت لك قلوبا كثيرة فأفتح لك كل يوم قلبا .

شيرين : يا حبيبى إن قلبى يتجدد كل يوم ، فافتحه كل يوم .

سلمى : ما هذا يا معنى وأنت يا شيرين ؟ هذا كلام لا ينبغى أن تقولاه أمامنا .

المعنى : فأين نقوله ؟

سلمى : قولاه فى خبائكما حين تخلوان .
(**يضحكون**)

المثنى : لا تتعبى نفسك يا سلمى ، فقد سماه أبوه المعنّى من أجل ذلك .

شيرين : ما معنى المعنّى ؟

المثنى : (**يقهقه ضاحكا**) تزوجته من أكثر من عام ، ولا تعرفين معنى اسمه .

شيرين : ما معناه يا سلمى ؟

سلمى : معناه : العاشق المستهام .

شيرين : ظننت أن له معنى آخر . أما هذا المعنى فقد عرفته من قبل أن تشرحوه .

(يضحكون)

المعنى : وأنت ما معنى اسمك يا شيرين ؟

المثنى : ويلك ، أنت أيضا لا تعرف معنى اسمها ؟

المعنى : معناه فى قلبى أعرفه ، ولكن معناه فى لغتهم .

شيرين : معناه فى لغتنا : معشوقة .. حلوة ..

المعنى : هذا والله معناه فى قلبى !

المثنى : (**يضحك**) وافق شن طبقه ، وافقه واعتنقه . (**ينظر إلى باب الخباء**) صه ، هذا بشير بن الخصاصية قد أقبل .

(يدخل بشير بن الخصاصية وزوجته جهدمة ، فيرحب بهما الحاضرون فى وقار)

المثنى : مرحبا ببشير وجهدمة ! مرحبا بالصحابى والصحابية !

بشير : أين أبو عبيد ؟ ألم يحضر بعد ؟

المثنى : (**لزوجته**) هل فرغت يا سلمى من عمل خبيصك ؟

سلمى : قد فرغت منذ حين .

المثنى : هل لك يا معنى أن تذهب إلى خيمته فتذكره بالموعد ؟

(يخرج المعنى)

شيرين : **(لسلمى)** إنى صنعت اليوم فالوذا ، فهل تأذنين لى أن أحضره ؟

سلمى : نعم .. أحضريه لتِرى هذه الثقفية مالم تره فى حياتها قط .

(تخرج شيرين)

المثنى : أين خرجت شيرين ؟

سلمى خرجت لتحضر من بيتها الفالوذ .

المثنى : الفالوذ ! هذا والله حسن .

سلمى : ليذوق هذا الثقفى اليوم مالم يذق فى حياته قط ، ولا دومة امرأته !

المثنى : بربك يا جهدمة أعينينى على بنت أبى خصفة ، فإنها لا تريد أن تكف لسانها عن أبى عبيد وامرأته .

جهدمة : كفى ياأخية فإن ذلك لا يفيد ، وعند الله فضل المثنى وبلاؤه ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

بشير : وقد قال ﷺ : (**اسمعوا وأطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة**) .

المثنى : وهذا الرجل كان أول منتدب فى الناس ، فشجعهم على هذا الوجه بعد ما خافوه وكرهوه حتى ظل عمر يندبهم ثلاثة أيام فلا ينتدب له أحد .

بشير : نحن إذن مدينون لأبى عبيد بهذا الفضل .

المثنى : أجل ، وقد قيل لعمر لما أمّرَ أبا عبيد : هلا أمَّرت عليهم رجلا من السابقين ؟ فقال : لا والله ، لا أؤمر عليهم إلا أولهم انتدابا . ولقد جاء الرجل معه برجال من عشيرته ما أراهم إلا من ذوى الكفاية والشجاعة ، فعلينا يا سلمى أن نحسن لقاءهم ، وأن تنسَىْ هذه الوساوس التى يوسوس بها الشيطان فى صدرك .

(تدخل شيرين تحمل إناء من الفخار الثمين فتسلمه لسلمى)

سلمى : أنقُدِّم الفالوذ وحده يا مثنى ، أم نقُدِّم الخبيص معه ؟

المثنى : قدميهما معا ، فمن شاء أكل الفالوذ ، ومن شاء أكل الخبيص .

(يدخل المعنى ومعه أبو عبيد وامرأته دومة ، فيرحب بهما الحاضرون) .

(يبدو من أول وهلة أن سلمى لا تطيق النظر إلى دومة ، وأن شيرين هى التى تجاذبها الحديث لتزيل من قلبها الوحشة ، وتشترك معهما فى ذلك جهدمة ، وكأنما أعجبت دومة بشيرين فظلت تنظر إليها طول الوقت) .

المثنى : هاتى يا سلمى ما عندك .

سلمى : تحلقوا .. أفسحوا مكانا بينكم لأضع فيه الخوان .

(شيرين ترتبهم فى جلوسهم ، فتضع سلمى الخوان ، ثم تجىء بصحفة الخبيص وإناء الفالوذ ويأخذون فى الأكل) .

أبو عبيد : هذا الخبيص نعرفه فما هذا ؟

المثنى : هذا الفالوذ . طيب المذاق يا أبا عبيد فأصِبْ منه .

أبو عبيد : لا آكل مالا أعرف .

المثنى : ياأخى كل ؛ فإذا أكلت منه عرفته .

أبو عبيد : (**يصيب من الفالوذ**) هذا حلو طيب . كيف صنعتموه ؟

المثنى : صنعته زوجة أخى المعنى (**يشير إليها**) إنها أميرة فارسية .

أبو عبيد
دومة : أميرة فارسية !

المثنى : ابنة ملك من ملوكهم كانت على حصن من حصونهم ، ففتحه المعنى أخى فأسلمت لله وتزوجته .

أبو عبيد : تبارك الله ! يهدى الله لنوره من يشاء .

المثنى : كل ياأبا عبيد .

أبو عبيد : الحمد لله .

المثنى : كل من الخبيص .

أبو عبيد : قد أكلت منه فأكثرت .

المثنى : ألم يعجبك صنعه ؟

أبو عبيد : بلى إنه لجيد الصنع ، وإنه لأحب إلى من الفالوذ .

المثنى : هذا من صنع امرأتى سلمى بنت أبى خصفة .

أبو عبيد : بوركت يا سلمى .

سلمى : كنت أخشى ألا يعجبك ، فقد زعم لى زوجى أن نساء ثقيف لا يبارين فى صنع الأطعمة والأشربة .

دومة : هذا الذى صنعته اليوم لا نحسن نحن أن نصنع مثله .

سلمى : (**يبدو فى وجهها الرضى**) فما أراك أكلت منه يا أم عبيد .

دومة : بلى يا أم حارثة قد أصبت الكفاية .

(ترفع سلمى الخوان ، وتقوم النسوة فيعتزلن ناحية حين يتحدثن بصوت غير مسموع) .

أبو عبيد : يا أبا حارثة إن أمير المؤمنين أوصانى أن أستشيرك وألا أقطع أمراً دونك ، فانصحنى يرحمك الله ولا تجعل بينى وبينك حجابا .

المثنى : هذا الظن بك يا أبا عبيد. إنك أمير الجيش ولك الطاعة على كل واحد منا ، وأنا أول من يطيعك . ولكن الحرب كما قال ابن الخطاب لا يصلحها إلا الرجل المكيث . ورب زلة من أمير ذهبت بالجيش كله . فإياك أن تقدم على أمر حتى تشاور أهل الرأى من رجالك وأهل المعرفة بالحرب وبهذه الأرض التى تحارب فيها . والله يا أبا عبيد لأمحضنَّك النصح إذا ما استشرتنى ، ولست أفعل ذلك من أجلك بل من أجل الكلمة التى نجاهد فى سبيلها . والله يا أبا عبيد إنى لأعرف كل شبر من هذه البلاد كما تعرف أنت ديار ثقيف بالطائف .

أبو عبيد : إنى لأعرف قدرك يا مثنى بنى شيبان فلا غنى لى عن رأيك ومعونتك . وإنى والله ما خرجت إلا احتسابا ، ولا غاية لى ولا لمن خرجوا معى من قومى إلا الشهادة إن شاء الله .

المثنى : لا تقولن هذا يا أبا عبيد . إن الشهادة لا ينبغى أن تكون هى الغاية وإلا ضاع الناس . وإنما هى الدرع التى تقينا من الخوف ، وتثبت فى قلوبنا اليقين بنصر الله . إن الذى يستميت فى غير موضع الاستماتة لكيما يفوز بالشهادة ويختصر الطريق إلى الجنة ، ليجنى على الذين معه وعلى الغاية التى يقاتل فى سبيلها .

(يدخل مسعود بن حارثة وهو يلهث من التعب)

مسعود : السلام عليكم .

الجماعة وعليكم السلام ورحمة الله .

المثنى : ماذا وراءك يامسعود بن حارثة ؟ أخبر أميرنا أبا عبيد .

مسعود : جابان قد عبر الفرات بعشرين ألفا أيها الأمير . وهدفه أن يفاجئنا قبل أن نستعد له .

المثنى : وأين تراه ينزل الليلة بجيشه ؟

مسعود : بالنمارق فيما أظن .

المثنى : رأيك يا مسعود ؟

مسعود : نسرى الليلة إليهم فنبيّتهم .

المعنى : وأنا أيضاً على هذا الرأى .

المثنى : وأنت ياابن الخصاصية ؟

بشير : نباغتهم قبل أن يباغتونا .

المثنى : (**لأبى عبيد**) جابان هذا كان أول من ثار بالمسلمين من دهاقين السواد ، وقد وعده رستم أن يملّكه على ناحيته . ولئن ظفرنا به الليلة ليكونن لذلك ما بعده ، وقد سمعت ياأبا عبيد رأينا والأمر إليك .

أبو عبيد : إنى لا أخالف رأيكم ، فعلى بركة الله لنسرين الليلة .

(ستـار)

المشهد الثانى

خيمة أبى عبيد بالسقاطية على مقربة من كسكر بين الفرات ودجلة .

يرى أبو عبيد جالسا فى الخيمة وزوجته دومة تعالج جرحا جرحه فى جبهته وتعصبه بالخرق . وعلى باب الخيمة المعنى بن حارثة يحرس أبا عبيد ويحجبه ، ومعه زوجته شيرين وسلمى زوجة المثنى بن حارثة .

سلمى : (همسا) أنت الآن حاجب الأمير يا معُنّى !

شيرين : كما يفعل أمراء فارس إذ يتخذون الحُجّاب !

المعنى : إنه والله ما طلب منى ذلك ، ولكن أخى المثنى هو الذى كلفنى بحراسته .

سلمى : واحرقتاه من المثنى ! كل ما أصابنا من هوان كان من المثنى .

شيرين : اخفضى صوتك يا سلمى لا يسمعك الأمير .

سلمى : فليسمعنى .. أنا لا أخشاه .

المعنى : ولكن المثنى سيغضب منك .

سلمى : ويلى على المثنى . هو الذى يطارد العدو شرقا وغربا وليلا ونهارا ، والإمرة والفضل لهذا الثقفى !

المعنى : لا حق لك يا سلمى . لقد رأيته فى وقعة النمارق كهيئة السَّبع ، لا يبالى أين وضع سيفه ولا أين حمله فرسه .

شيرين : وفى كسكر إذ اخترق الصفوف إلى نرسى ، ففر نرسى من وجهه ولحق بالمدائن .

سلمى : جندى شجاع لا ريب ، ولكن من الذى كان يدير دفة القتال فى هاتين المعركتين ؟ أليس هو المثنى ؟

شيرين : المثنى يدير دفة القتال فى خدمة الأمير !

المعنى : صه .. هؤلاء قوم قادمون من أهل السواد . (**يخرج**)

سلمى : ما تلك الأعلام فى أيديهم ؟

شيرين : (**كأنها تتنهد**) علامة الخضوع !

(يظهر المعنى ثم يدخل على أبى عبيد)

المعنى : أيها الأمير هؤلاء وفد من أهل السواد ودهاقينه .

أبو عبيد : ماذا يريدون ؟

المعنى : يريدون السلام عليك ، وتقديم بعض الهدايا إليك .

أبو عبيد : (**لدومة**) حسبى هذا فاربطيه .

دومة : قد ربطته . (**تخرج**)

أبو عبيد : ائذن لهم يا ابن حارثة .

(يخرج المعنى ثم يعود ومعه خمسة من دهاقين السواد وقد لبسوا أفخر ثيابهم ، وهم يحملون معهم آنية فاخرة فيركعون أمام أبى عبيد)

(تدخل دومة وسلمى وشيرين فيقفن ناحية فى الخيمة ينظرن ويتهامسن)

أبو عبيد : (**يثور غاضبا**) ويلكم ماذا تصنعون ؟ أتركعون لغير الله؟

لسان القوم: هكذا نفعل بأمرائنا يا سيدى الأمير .

أبو عبيد : لكنا لسنا كأمرائكم . نحن لا يستعبد بعضنا بعضا . ويلكم لقد خالطتم المسلمين من قبل ، فأنتم تعرفون أننا نكره ذلك ولا نجيزه .

لسانهم : أنت أمير جديد لا نعرفك، فخشينا أن تغضب إذا لم نركع لك.

أبو عبيد : اللهم غفرا غفرا ، أبو عبيد يغضب إذا لم يُسجد له كما يُسجد لله عز وجل ؟

لسانهم : فاغفر لنا هذا الجهل منا يا أيها الأمير .

أبو عبيد : لا تثريب عليكم .

(يضعون الآنية أمام أبي عبيد)

أبو عبيد : ما هذا ؟

لسانهم : هذا قِرى لك وكرامة أكرمناك بها لنؤكد لك أننا لن ننقض العهد مرة أخرى أبدا ، فإنا ما نقضناه اختيارا بل أكرهنا عليه رستم وجنود رستم .

أبو عبيد : أكرمتم الجند بمثله وقريتموهم ؟

لسانهم : قد أعددنا لجنودك طعاما غير هذا ، سيُحمل إليهم فى أماكنهم .

أبو عبيد : من هذا الصنف الذى أتيتمونى به ؟

لسانهم : لا يا سيدى الأمير ، هذا طعام الملوك والأمراء .

أبو عبيد : فإنى لا أقبله منكم إلا إذا أطعمتم بقية الجند مثله .

لسانهم : نطعم خمسة آلاف من هذا ؟ ليس عندنا من المال ما يكفى لذلك أيها الأمير (**يومئ إلى الآنية واحدة واحدة**) هذا النارسوذ يا سيدى الأمير ، وهذا النمكسوذ .

أبو عبيد : ماالنمكسوذ ؟

لسانهم : يعمل من لحم حَمَلٍ قد رضع شاتين ، ورعى شهرين ، فيُسمط ويُشوى فى التنور . وهذا من أجود لحوم الطير من التذْرُج السمين ، وهذا الجوزينج بدهن اللوز والجلاب ، وهذا اللوزينج بالطبرزد وماء الورد .

أبو عبيد : (**يتمتم**) أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا . وماالذى أعددتموه للجند ؟

لسانهم : خبزا ولحما وفاكهة .

أبو عبيد : فخذوا هذا وآتونى نصيبى مما تطعمون منه الجند .

لسانهم : فيم يا سيدى الأمير ؟ لا ينبغى أن ترفض تكرمتنا . .

(**النسوة الثلاث دومة وسلمى وشيرين يتغامزن ، ثم تتقدم دومة قريبة من زوجها**) .

دومة : هذا طعام طيب ياأباعبيد ، ولا بأس أن تطعم منه وتطعم من تحب .

أبو عبيد : (**يوجه إليها نظرة غاضبة**) لا والله لا أقبله ، ولا آكل إلا ما يأكل منه بقية الجند . احملوا هذا إلى رحالكم .

(**ينظر الدهاقين بعضهم إلى بعض مدهوشين**) .

لسانهم : إذن فسنرسل إليك أيها الأمير من الطعام الذى أعددناه للجند .

(**يحملون آنيتهم ويخرجون**)

المعنى : لو قبلت منهم ياأباعبيد لجبرت بذلك قلوبهم .

أبو عبيد : لا والله لا سبيل إلى ذلك . بئس المرء أبو عبيد إن صحب قوما من بلادهم ، وأهراقوا دماءهم أو لم يهريقوها ، فاستأثر عليهم بشيء يصيبه .

(يدخل المثنى بن حارثة ، وبشير بن الخصاصية ، وعليهما غبار الطريق) .

المثنى : السلام عليك أيها الأمير .

أبو عبيد : وعليكما السلام ورحمة الله . بشرنى يا ابن حارثة .

المثنى : بشّر الأمير يا بشير .

بشير : قد نصرنا الله على الجالينوس فى بارُسْما ، فتمزق جنده وفر كما فر نرسى من قبله .

أبو عبيد : أو لم تقتلوه أو تأسروه ؟

بشير : طاردناه إلى قرب المدائن ولو شئنا لأدركناه، ولكننا تركناه.

أبو عبيد : ولم تركتموه ؟

المثنى : حتى يدخل المدائن مهزوما مدحورا فيملأ أهلها رعبا ، ويكون نذيرا لرستم .

أبو عبيد : وجابان ، ألم تقفوا له على أثر ؟

بشير : أما جابان فكأنما ابتلعته الأرض .

المثنى : لا ريب عندى اليوم أنه مختبئ عند صديق له فى بعض هذه القرى القريبة منا ، إن لم يكن قد قتل .

أبو عبيد : لعله كان قد فر أيضا ودخل المدائن .

المثنى : كلا يا أبا عبيد ، إذن لجاءنا نبأ ذلك وقد مضى على اختفائه اليوم شهر ونصف شهر .

(يبدو التغير فى وجه شيرين ، ولكنها تتجلد وتحاول إخفاء ذلك) .

المعنى : لم لا نبث رجالنا مع بعض الدهاقين المخلصين ، فيفتشوا هذه القرية والقرى المجاورة لها لعلهم يعثرون عليه ؟

المثنى : هذا والله الرأى .

أبو عبيد : هل لك يا معنى أن تأمر بذلك ؟

المعنى : الساعة أيها الأمير .

(ينطلق خارجا ، وتنسل شيرين خارجة فى أثره) .

دومة : (**لسلمى**) ما خطب شيرين يا سلمى ؟

سلمى : (**فى شىء من الجفاء**) لا أدرى . أعجبت من خروجها وراء زوجها ؟ لعلها تريد أن تكلمه في شىء .

دومة : إنى رأيت وجهها يتمعر .

سلمى : سبحان الله .. اسأليها إذا عادت .

(تسمع أصوات قوم قادمين من بعيد ، وكأنهم يترنمون بنشيد لهم) .

(يعجب الحاضرون ويتساءلون)

أبو عبيد : ما هذا الهتاف والضجيج ؟

المثنى : لعلهم جماعة من أهل هذه القرى قد خرجوا يهتفون ويترنمون ، تحية لنا وسرورا بعودتنا ، فهذه عادتهم فى كل مرة .

(يتضح نشيدهم شيئاً فشيئاً)

النشيد : لنأكلــنَّ النرسيـــانْ رغمـاً لكــل دِهقـــانْ
نحن الألى زرعنـــــاه لم لا نذوق جنـــــاه
(**يضحك المثنى**)

أبو عبيد : ماذا يقولون ياأبا حارثة ؟

المثنى : يقولون : لنأكلـن النرسيـانْ رغمـاً لكـل دهقـانْ

أبو عبيد : تباً لهم ، لا ينسون بطونهم حتى فى نشيدهم !

المثنى : كلا ليس الأمر كذلك ياأبا عبيد .

(**تدخل شيرين وتعود إلى مكانها مع سلمى ودومة**)

المثنى : (**يثب من مقعده صوب الباب**) لأعلمن لك علمهم .
(**يخرج ثم يعود بعد قليل**) هؤلاء جماعة من الفلاحين يريدون أن يتقدموا بمظلمة ، وأرى أن تأذن لهم .

أبو عبيد : ائذن لهم ياأبا حارثة .

(**يخرج المثنى ، ثم يعود وخلفه سبعة من الفلاحين منهم ثلاثة يبكون**)

أبو عبيد : ما خطبهم ؟

المثنى : تكلموا اذكروا مظلمتكم للأمير .

لسانهم : هؤلاء الثلاثة من إخواننا ، جُلدوا بالسياط حتى تقطعت فى ظهورهم .

(**يكشف الثلاثة عن ظهورهم ، فإذا هى دامية من أثر السياط**) .

أبو عبيد : من الذى فعل بكم ذلك ؟

لسانهم : الدهاقين يا سيدى الأمير .

أبو عبيد : دهاقين هذه القرية ؟

لسانهم : نعم .

أبو عبيد : أحضروا الدهاقين فى الحال .

المثنى : قد بعثت فى إحضارهم أيها الأمير .

أبو عبيد : أحسنت ياأبا حارثة .

(يقترب من أبى عبيد فيساره بحديث ، فيكاد أبو عبيد يضحك)

(يدخل المعنى فيعجب مما يرى)

أبو عبيد : هل أنفذت الأمر يا معنى ؟

المعنى : نعم على خير وجه .

(يقترب من شيرين كأنه يستفهمها ، فيتناجيان)

(يدخل أحد الجنود يسوق الدهاقين الخمسة)

أبو عبيد : أنتم ضربتم هؤلاء الثلاثة ؟

الدهاقين : نعم يا سيدى الأمير . إنهم استخفوا بنا وأساءوا أدبهم معنا ، فأدبناهم .

أبو عبيد : وماذا فعلوا ؟

الدهاقين : سلهم يا سيدى الأمير يخبروك ماذا فعلوا .

أبو عبيد : (**للفلاحين**) ماذا فعلتم ؟

الفلاحون : لا ذنب لنا إلا أننا أكلنا من النرسيان .

الدهاقين : أكلوه أمامنا يا سيدى الأمير تحديا لنا واستفزازا .

أبو عبيد : وأى بأس فى أن يأكلوه أمامكم ؟

الدهاقين : ياسيدى الأمير ، إن هذا النوع من التمر كنا نرسله إلى كسرى ، فما كان يؤكل إلا على مائدة كسرى لندرته ونفاسته. حتى نحن معشر الدهاقين لا يصح لنا أن نأكل منه، وإذا نحن بهؤلاء الفلاحين قد سرقوه من نخله ، ثم أكلوه أمامنا ليغيظونا .

الفلاحون : كلا ياسيدى الأمير نحن ما سرقنا شيئا ، ولكن بعض جنودكم أعطونا منه .

المعنى : هذا حق ، فإنا لما اقتسمناه بيننا جعل الفلاحون ينظرون إلينا فجعلنا نعطيهم منه ، فيفرحون أشد الفرح .

الدهاقين : ما كان لكم أن تعطوهم من هذا ، فإن ذلك يبطرهم فلا يصلحون للعمل بعد ذلك .

أبو عبيد : إننا نعمل بديننا ، وديننا لا يجعل لأحد فضلا على أحد إلا بالتقوى والعمل النافع . ولا نكران أن هؤلاء الفلاحين قوم نافعون ، فلولاهم ما أكل كسرى النرسيان ، ولا أكلتم أنتم الثمكسود والنارسوذ .

(يخفى المثنى ضحكه وتعجبه من معرفة أبى عبيد لهذين اللونين من طعامهم)

الدهاقين : ياسيدى الأمير ، وهل يصح أن يستهزئوا بنا ويسخروا منا ؟

أبو عبيد : بأكل النرسيان أمامكم ؟

الدهاقين : نعم.

أبو عبيد : هذا ليس سخرية .. أنتم الذين جعلتموه سخرية .

الدهاقين : ألم تسمع ماذا كانوا ينشدون فى الطرقات ؟

لنأكلن النرسيان رغما لكل دهقان

إنهم ما أكلوه إلا إرغاما لنا .

الفلاحون : يا سيدى الأمير ، نحن ما قلنا ذلك إلا بعد ما جلدوا إخواننا الثلاثة . دعهم ينكروا هذا إن استطاعوا .

أبو عبيد : ماذا ترى يا أبا حارثة ؟

المثنى : القصاص إن لم يعفُ الفلاحون .

أبو عبيد : (**لكل واحد من الثلاثة**) من الذى ضربك ؟

الثلاثة : (**واحدا بعد واحد**) هذا الذى ضربنى . (**مشيرا إلى الدهقان الذى ضربه**)

أبو عبيد : أعطوهم السياط . (**تعطى للفلاجين الثلاثة السياط**)

الدهاقين : (**يحتجون**) رويدك يا سيدى الأمير . القتل أهون علينا من ذلك ، فاقتلنا إن شئت .

أبو عبيد : نقتلكم لو قتلتموهم ، ولكنكم إنما جلدتموهم .

الدهاقين : فدعنا يا سيدى الأمير نقتلهم ، ثم اقتلنا بهم .

أبو عبيد : ما أعجبكم من قوم ! تريدون أن نمكنكم من قتل هؤلاء الأبرياء ، ليحق لنا بعد ذلك قتلكم ؟

(يركع الدهاقين ويسجدون ، فينهرهم أبو عبيد فيقومون . ثم يعودون للركوع والسجود ، فينهرهم أشد من الأول فيقومون)

الدهاقين : بحق دينكم وبحق نبيكم وبحق ملككم الذى بالحجاز ، إلا ما أعفيتنا من هذا القصاص وإلا فاقتلنا .

أبو عبيد : لا مناص من القصاص . (**للفلاحين**) هيا تقدموا فاضربوهم .

الفلاحون : لا يا سيدى الأمير لا نضرب دهاقيننا .

أبو عبيد : ويلكم .. اضربوهم . هذا حق لكم .

الفلاحون : إن كان حقا لنا فقد نزلنا عنه .

أبو عبيد : انصرفوا إذن . (**يخرجون .. الدهاقين أولا ثم الفلاحون**) ما رأيت كاليوم عجبا . ما أحسبهم إلا خافوا أن يقتصوا من الدهاقين .

المثنى : أجل . هذا دأبهم ، يخافون الغد دائما ويحسبون حسابه .

أصوات : (**تسمع من الخارج**) هذا جابان ! هذا جابان ! هذا جابان .

الجميع : (**يتمتمون فى دهش**) جابان ؟

المعنى : (**قريبا من الباب يخرج ثم يعود**) جابان حقا ، وقوم يريدون قتله ، ومطر بن فضة التميمى يحتضنه ويحميه .

أبو عبيد : (**بأعلى صوته**) ادخلوا يا قوم ، ادخلوا بجابان .

(يدخل مطر بن فضة وهو يحتضن شيخا كبيرا فى زى فلاحى السواد ، وخلفهما جماعة من جند المسلمين من ربيعة ، بينهم رجل يقال له أبَىّ)

أبى : (**يصيح متظلما**) أيها الأمير أنصفنى من هذا الظالم مطر بن فضة ، فقد ضربنى وكسر سيفى لما أردت قتل عدو الله جابان .

مطر : أراد أن يقتله أيها الأمير بعد ما أجرتهُ أنا وأمّنته .



إنه جابان حقا ، وقوم يريدون قتله ومطر بن فضة يحتضنه ويحميه !

أبى : إنما أمّنه طمعا فى ماله .

مطر : وأى بأس علىّ فى ذلك ؟ عرض علىّ فداء حسنا إن أمّنته ، فأمّنته وأنا لا أعلم أنه جابان .

أبى : بل كان يعلم ذلك أيها الأمير .

مطر : والذى نفسى بيده ما علمت أنه جابان إلا بعد ما أمّنته . سل هؤلاء القوم من ربيعة يخبروك .

القوم : أجل أيها الأمير . مررنا عليهما فى الطريق ومعهما هذا الأسير فعرفناه ، وقلنا لهما هذا عدو الله جابان ، فوثب أبَىّ فاخترط سيفه ، فصاح به مطر : « كف عنه فقد أجرته وأمنته » ، فلم يشأ أبَىّ أن يكف ، فلكزه مطر ثم انتزع منه سيفه فكسره .

أبو عبيد : وكيف أسرتماه ؟

مطر : أنا الذى أسرته .

أبى : إنما تركت هذا له ، وانطلقت أطارد الفارس الآخر الذى كان أسرع .

أبو عبيد : ومن الفارس الآخر ؟

أبى : لا أدرى من هو .

أبو عبيد : وأدركته ؟

أبى : لا .. دخل فى غيضة فانقطع عنى أثره .

أبو عبيد : (**للقوم من ربيعة**) ألا تعرفون من ذلك الفارس ؟

القوم : لو رأيناه لربما عرفناه ، ولكنا لم نره .

المثنى : (**لأبى**) انعته لنا يا أُبَىّ .

أبى : رجل طُوال أسود أثطُّ ليس فى وجهه شعر .

المثنى : قد عرفته ، هذا مردنشاه الخصى ، كان مع جابان فى النمارق فاختفى معه .

أبو عبيد : (لمطر) وما منعك يا مطر من قتل هذا حين أدركته ؟

مطر : استأسر لى أيها الأمير ، فكيف أقتله ؟

أبو عبيد : ومتى عرض عليك الفداء ؟

مطر : حين نزلنا فى بعض الطريق نستريح ، ثم لحقنا أبَىّ فجلس معنا ، ولم ينكر شيئا حتى علم أنه جابان فكان منه ومنى ما كان .

أبو عبيد : أنت أخطأت يا أبَىّ إذ حاولت قتله وقد أمَّنه صاحبك .

أبى : إنما أمنه لأنه يطمع فى ...

أبو عبيد : أو ليس قد أمّنه ؟

القوم : (من ربيعة) أتريد أن تبقى على عدو الله جابان بعد ما أمكنك الله من عنقه ؟ اقتله أيها الأمير فإنه رأس الفتنة .

أبو عبيد : ويحكم ، ما ترونى فاعلا يا معشر ربيعة ؟ أأقتله وقد أمنه رجل من المسلمين ؟

القوم : أمّنه وهو لا يعلم أنه جابان .

أبو عبيد : يعلم أو لا يعلم ، أو ليس قد أمنه ؟

القوم : فقد لزمه هو ولا يلزمك أنت .

أبو عبيد : بلى . المسلمون كالجسد الواحد ، ما لزم بعضهم فقد لزم كلُّهم .

القوم : (**للمثنى**) راجع الأمير يا مثنى بن حارثة ، فليس من الرأى أن يُترك جابان .

المثنى : لا والله لا أراجعه فقد قضى بالحق . ويلكم ، إنا ما كنا فى الجاهلية ننقض عهدنا إذا أعطيناه ، فكيف بالإسلام ؟

أبو عبيد : أحسنت يا أبا حارثة .

المثنى : (**يتنهد**) آه يا بن فضة ! لولا كلمتك لكفيتنا شرا كبيرا . فليت شعرى بكم افتدى نفسه منك ؟

مطر : بخمسة آلاف وعبدين جلدين .

المثنى : قاتله الله ، لقد اشترى نفسه بثمن بخس . (**يلتفت إلى جابان**) خبرنى يا جابان ؛ أين كنت مختبئا منذ وقعة النمارق ؟

جابان : ما كنت مختبئا يا مثنى ، فقد اشتركت فى قتالكم بكسكر .

المثنى : لا تكذب .

جابان : ما يحوجنى إلى الكذب ؟

المثنى : أنت إذن كنت السبب فى هزيمة نرسى وجيشه .

جابان : الأيام دول يا مثنى .

المثنى : وأين اختبأت بعد يوم كسكر ؟ أم تراك انضممت إلى الجالينوس أيضا فقاتلتنا معه ؟

جابان : كلا .

المثنى : فأين كنت مختبئا منذ يوم كسكر ؟

جابان : أتطمع يا مثنى أن أخبرك ؟ والله لو قطعت عنقي ما أخبرتك .

المثنى : إنما قلت هذا لعلمك أننا لا نغدر . والله لولا أمان ابن فضة لاستخرجت السر من بين جنبيك .

جابان : هل لى أن أنصرف فأقضى هذا العربى حقه ؟

المثنى : خير لك يا جابان أن تعود إلى عهدنا الذى نقضته .

جابان : الساعة والسيف مصلت على رأسى ؟

المثنى : كلا ، إنك مؤمَّن وسنوصلك إلى مأمنك .

جابان : إذن فلا .

المثنى : لا يغرنك رستم ، فلن ينفعك .

جابان : رستم بطلنا هو الذى سيطردكم ، ويغزوكم فى عقر داركم .

المثنى : لتندمنَّ غداً يا جابان .

جابان : هيهات ! إنما انتصرتم علينا يوم كانت كلمتنا مختلفة وأحوالنا مضطربة . أما اليوم وقد اجتمعت كلمتنا على بطلنا رستم ، فارجعوا إلى بلادكم خيرا لكم ، وليس يعجبنى أن أسدى إليكم هذا النصح ، لولا هذا الفضل الذى أسديتموه إلىَّ اليوم .

المثنى : أتعرف هرقل ملك الروم يا جابان ؟

جابان : ما باله ؟

المثنى : إن إخواننا قد غلبوه بالشام فهرب منهم إلى أقصى الشمال ، وهرقل هذا هو الذى غلبكم منذ بضع سنين ، أفلا نغلبكم أنتم ؟

جابان : يا مثنى بنى شيبان ، إنك تتكلم الساعة وأنت منتصر وأنا أسير ، ولا غرو أن تغلبنى بالكلام ، ولكنك سترى غدا أننى سأغلبك بالفعل لا بالقول .

المثنى : (**غاضبا**) يا عدو الله ، والله إن خرجت لقتالنا مرة أخرى فنجوتَ منى ، فلا كنتُ ابن حارثة !

(ستــار)

المشهد الثالث

مقصورة فى إيوان كسرى بالمدائن ، يتصل بها عن يمين المسرح مخدع بوران الملكة .

يرفع الستار فنرى رستما واقفا لا يحول عينيه عن باب المخدع ، وهى فى حالة وجد وهيام واضحين . ثم يفتح الباب فإذا الوصائف يسرن إلى الوراء وهن يفرشن على الأرض سجادة طويلة ، حتى تصل إلى الأريكة التى ستجلس عليها الملكة ، وإذا الملكة بوران تدخل فى كمال زينتها ، والجوارى من خلفها يحملن ذيل حلتها الطويل فتبدو كأنها الطاووس ، حتى تجلس على الأريكة .

رستم : (**يتقدم نحوها ويركع**) صُبِّحت بالخير يا طلعة الشمس !

بوران : (**تنظر إلى الوصائف والجوارى فينسحبن ، ويسمع صوت تغليق الأبواب من جهات مختلفة**) صُبِّحت بالخير يارستم . ما جاء بك فى الصباح الباكر ؟

رستم : جابان يا مولاتى أطلق العرب سراحه ، وعاد إلينا سالما .

بوران : جابان قد عرفنا خبره من مردانشاه ، أفمن أجل هذا تطرق بابى من أول الصباح ؟

رستم : إنما هو عذر أعتل به ، والحقيقة يا مولاتى أنى اشتهيت أن أكون اليوم أول من يراك .

بوران : ألا تقتصد يا رستم ؟ فالخير فى القصد .

رستم : إنما يُقتصد فيما يُخشى نفاده ، وليس كذلك حسنك وليس كذلك حبى . (**يقترب منها متوددا**)

بوران : مكانك يا رستم ، لا تجعلنى أغضب منك .

رستم : واحيرتى .. لسانك ينهانى وزينتك تدعونى .

بوران : أتريد منى ألا أتزين لئلا يفتن بى رستم ؟

رستم : وهل فى الإمكان يا مولاتى ألا يفتن بك ؟ أنت فتنته بالزينة وبغير الزينة . بل إنه ليفتن بك أكثر حين يراك كما خلقك الله .

بوران : (**متغاضبة**) رستم لا تنس أنك بين يدى بنت كسرى !

رستم : أنا لم أرد سوءا يا مولاتى . إنما قصدت أنك حين تكونين على الطبيعة دون تطرية ولا تجميل ، تكونين أجمل وأفتن .

بوران : كذبت .. بل قصدت معنى آخر .

رستم : أى معنى يا بوران ؟

بوران : لا تتجاهل يا رستم ، أتظننى غبية ؟

رستم : غبية ! أنت أذكى امرأة رأيتها فى حياتى ... وأجمل امرأة وأشهى امرأة .

بوران : (**متغاضبة**) رويدك يا رستم الزم حدك .

رستم : والله لا أدرى أين يبتدئ حدى معك يا بوران وأين ينتهى . أنت حينا كريمة كالربيع الذى ينثر ألوان الزهر فى المروج نثرا دون حساب ، وحينا بخيلة كالشمس فى أيام الشتاء المجللة بالسحب .

بوران : يخيل إلىّ يا رستم أنك نسيت لماذا جئت بك من خراسان .

رستم : (**مداعبا**) لنصل ما قطعته يد الأيام من غرامنا القديم .

بوران : هيهات .. ذاك عهد قد طويناه فليس لنا أن ننشره .

رستم : وطفلنا فيروز أنسيته يا بوران ؟

بوران : (**متجلدة تحاول أن تكتم تأثرها**) رستم .. ألسنا قد تعاهدنا على اعتباره كأن لم يكن ؟

رستم : ابنك يا بوران .. والأم لا تنسى ابنها أبدا .

بوران : ابن الخطيئة يا رستم ، لو تسرب خبره إلى الناس ليكونن فيه سقوطى وسقوطك فلا نقوم بعدها أبدا .

رستم : صدقت يا مليكتى ، فلنهل على الماضى التراب ، ولنستأنف عهدا جديدا من الحب لا صلة له بعهدنا القديم .

بوران : على أن نلزم القصد .

رستم : دلينى يا مولاتى كيف ألزم القصد ؟

بوران : يجب أن تتذكر دائما أننى دعوتك من خراسان لتنقذ البلاد من هؤلاء الغزاة ، لا لتسمعنى كلمات الغزل .

رستم : أتحبين أن أريحك من كلمات الغزل فلا تسمعينها منى ؟

بوران : (**فى دلال**) كيف ؟

رستم : تتزوجينى يا بوران .

بوران : (**تضحك ضحكة رقيقة**) هأنتذا قد نهيتنى عن الزواج وكرّهته إلىّ .

رستم : فيم يا بوران ؟

بوران : كيف لا أكرهه وهو يقطع عنى نسيبك وغزلك ؟

رستم : الغزل زهر الحب ، ولن ينقطع إذا تزوجنا ؛ بل يتحول إلى ثمر .

بوران : إنى أفضل الزهر على الثمر .. الزهر غذاء الروح لا تشبع منه أبدا ، والثمر غذاء البدن سرعان ما تضيق به حين تشبع منه .

رستم : غلبتنى يا بوران بحجتك ، ولكن الألسنة بدأت تلوك صلتنا ، ولا يقطع الألسنة غير الزواج .

بوران : الزواج سيؤكد ما لغطت به الألسنة .

رستم : لكنه سيقطعها ويجعلها تبحث عن حديث آخر تخوض فيه .

بوران : لا تتجاهل يا رستم ما دون الزواج من عقبات .

رستم : الفرق بين مقامى ومقامك ؟

بوران : هذه واحدة ..

رستم : إذن فستظلين الدهر دون زواج إذ لم يبق من بيت كسرى أحد من الرجال .

بوران : وأنا لا أبالى .

رستم : أصغى إلىّ يا بوران . يوجد نوعان من الحسب : حسب يصنعه الرجال ، وحسب يصنع الرجال ؛ فأيهما أفضل عندك ؟

بوران : (**فى دلال كأنها تتحداه**) الحسب الذى يصنع الرجال .

رستم : إذن فهو مزد الخامس أو كسرى الرابع أفضل عندك من مؤسس الأسرة الساسانية أردشير الأول ؟

بوران : (**فى شىءٍ من الصرامة**) أفأنت يا رستم صانع حسب ؟

رستم : أرجو ذلك يا بوران ، فإن تزوجتنى جمعنا الحسبين ، وأطلعنا من الحسبين نجما جديدا لإيران ، وأسسنا أسرة جديدة .

بوران : كلا يا رستم ، ما لهذا جئت بك من خراسان . جئت بك لتنقذ أسرة ساسان لا لتهدمها وتبنى على أنقاضها أسرتك .

رستم : يجب أن ننقذ فارس يا بوران بأى سبيل . تزوجينى وليبق اسم الأسرة الساسانية كما هو .

بوران : كيف يا رستم وأولادك هم الذين سيحكمون من بعدى ؟

رستم : إن لم تتزوجى فستنقرض أسرة ساسان .

بوران : يا رستم إنى أحبك وبودى لو أتزوجك ، ولكن حسادك وحسادى لن يسكتوا لو تزوجتك . أختى آزرميدخت التى سملت عينيها لن تسكت ولن يسكت أنصارها ، والفيرزان الذى يحسدك وينافسك لن يسكت ولن يسكت أنصاره .

رستم : دعيهم لى فإنى كفيل بهم جميعاً .

بوران : رستم لا تكن طفلا ، أتريد أن تشعل فتنة فى البلاد تشغلها عن مقاومة الغزاة فتقع فريسة فى أيديهم ؟

(تسمع ضجة من الخارج ، ثم تدخل إحدى الوصائف)

بوران : ما هذه الضجة يا مشكدانه ؟

مشكدانه : هذا الفيرزان يا مولاتى يريد مقابلتك ، فلما قيل له انتظر قليلا هاج وزمجر وهدد وتوعد .

بوران : قولى للحاجب يأذن له بالدخول ، وافتحوا الأبواب جميعاً . **(تخرج الوصيفة)** ألم أقل لك يا رستم ؟ إنه علم أنك عندى من أول الصباح فغار .

(يبتعد رستم عن بوران ويجلس على الأريكة المقابلة)

(يدخل الفيرزان وهو عابس الوجه)

بوران : مرحبا بالفيرزان .

الفيرازن : **(يركع أمامها)** عبدك يا مولاتى يحييك ويفديك بحياته .

بوران : كنت تصيح وتزمجر فى الفناء ، فأى شيء أغضبك ؟

الفيرازن : قالوا لى انتظر ، وعندى نبأ عظيم لا يحتمل الانتظار .

بوران : فهلا بلغته إلى الديوان ؟

الفيرازن : ذهبت إلى الديوان فلم أجد رستم هناك . إنه هنا عندك !

بوران : وما ذلك النبأ العظيم يا فيرزان ؟

الفيرزان : بلغنى أن جابان قدم المدينة اليوم .

بوران : **(تقهقه ضاحكة)** أهذا هو النبأ العظيم ؟

الفيرزان : **(يعلو صوته غضبا)** أجل . إن رجوع هؤلاء القواد إلى المدائن واحدا بعد واحد ، فارين من وجه العرب ، قد ملأ أهلها ذعرا ، وأفقدهم الثقة فى جيش البلاد ، وهذه جريمة ترتكب فى حق الوطن .

رستم : **(يكظم غيظه)** صدقت يا فيرزان ، ولذلك قررت أن أحاكمهم جميعا على فرارهم من وجه العرب : جابان ونرسى والجالينوس ومردانشاه .

الفيرزان : تحاكمهم ؟

رستم : نعم .. إن أحداً منهم لم يمت فى الميدان ، ولكنهم أماتوا ألوفا من الجنود كأنما مهمتهم أن يقبروا جنودهم هناك ويعودوا هم سالمين .

الفيرزان : كلا أنا لا أوافق على محاكمتهم . إن الخطأ ليس خطأهم فإنما كانوا ينفذون خطة مرسومة لهم . فالجالينوس مثلا كان ينبغي أن يُرسل قبل الوقت الذى أرسل فيه لكي يدرك نرسى فى كسكر ، ولكنه لم يُرسل إلا متأخرا ، فلم يكد يصل إلى بارُسْما حتى كان العدو قد نازلوا نرسى فى السقاطية فمزقوا جيشه ، ثم ساروا إلى الجالينوس فى بارُسْما فهزموه . وكذلك جابان تُرك وحده يلقى العدو فى النمارق ، ولو كان نرسى انضم إليه يومئذ ولم يبق فى كسكر ، لربما استطاعوا أن يهزموا العدو .

بوران : (**تدرك أنه يوجه التهمة إلى رستم**) إن شئت يا فيرزان جمعنا لك جيشا كبيرا فلقيت بهم العرب ، وتكون التبعة كلها عليك .

الفيرازن : ليس هذا يا مولاتى ماأريد ، ولكن ولّينى القيادة العامة مكان رستم ، وسترين ماذا أصنع ؟

بوران : يا فيرزان إن الناس سيفقدون ثقتهم بنا إن ولينا كل يوم شخصا جديدا للقيادة العامة ، ونحن اليوم فى وقت ينبغى أن ننكر ذواتنا ولا نذكر إلا مصلحة الوطن . خذ جيشا كبيرا فقاتل به العرب ، ولتكن التبعة كلها عليك .

الفيرازن : وهل يوافق رستم على ذلك ؟

رستم : (**لينقذ الفيرزان من الورطة**) إنى أرى يا مولاتى أن نستبقى الفيرزان ليوم أكبر من هذا وأشد . (**يُسرى عن الفيرزان**)

بوران : فمن تختار ؟

رستم : لأختارن رجلا تعرفه العرب وتخشاه ..

بوران : من يكون ؟

رستم : مرى حاجبك يا مولاتى أن يأذن له ، فهوَ ينتظر أسفل .

بوران : أهو هنا ؟

رستم : نعم قد أمرته أن يحضر فى هذه الساعة .

(تشد بوران حبل الجرس فيدخل الحاجب)

بوران : من ينتظر بالباب ؟

الحاجب : القائد بهمن جاذويه يا مولاتى .

بوران : **(تنظر إلى رستم فيومئ رستم أن نعم)** ائذن له .

(يدخل رجل كبير ، ضخم الجثة ، طويل عريض ، أشمط الشعر ، يتهدل حاجباه على جفنيه ، له أنف كبير وعينان كأنهما نائمتان وليستا بنائمتين ، وفى وجهه صرامة وغلظة كأنما قُدَّ وجهه من جلد خرتيت ، ويركع أمام الملكة)

رستم : هذا يا مولاتى ذو الحاجب بهمن جاذويه ، أشد العجم على العرب .

(ستار)

المشهد الرابع

في المروحة حيث يعسكر المسلمون بالضفة الغربية من الفرات ، وتواجهها فى الضفة الأخرى قرية قس الناطف حيث نزلت جموع الفرس .

رحبة بين خيام المسلمين . يرى سليط بن قيس والمثنى والمعنى وبشير بين الخصاصية واقفين يتحدثون فى اهتمام .

سليط : (**للمثنى**) ماذا نصنع ياأبا حارثة فى هذا الأمير الذى ركب رأسه ، وأراد أن يُلقى بالمسلمين إلى الهلكة ؟

المثنى : والله ماأدرى ماذا أصنع .

سليط : ألا تحاول أن تنصحه مرة أخرى لعله يسمع منك ، فأنت قاتل هذه البلاد معرفة ، وأنت الرائد والمشير ؟

المثنى : قد كلمته غير مرة ياأبا قيس فأبى وأصر على رأيه . ولكن كلمه أنت لعله يسمع لرجل من الأنصار ومن أهل بدر .

سليط : ياأبا حارثة إنه لا يكره رأى أحد كما يكره رأيى . لقد ظن أننى كنت أطمع فى إمارة هذا الجيش ، وإذ لم يولّنيها عمر أغضبنى ذلك فجعلت أناوئه فى كل شىء .

بشير : إنى لأعجب لهذا الرجل ، لقد كان يستشيرنا ويعمل برأينا ولا يقطع أمرادوننا حتى يوم السقاطية ، فكيف تغير وانقلب؟

سليط : وأنا والله ما عجبت من شيء قط عجبي كيف لم تصدق فراسة عمر بن الخطاب فيه .

المثنى : أنا أعلم ماذا غيَّر أبا عبيد . دومة امرأته !

الآخرون : دومة امرأته ؟

المثنى : نعم .. ظلت تعيّره بأنه رجل لا رأى له ، حتى حمى أنفه وركبه العناد .

سليط : وكيف عرفت ذلك يا مثنى ؟

المثنى : من سلمى بنت أبي خصفة .

سليط : قبح الله رجلا تتسلط عليه امرأة .

المثنى : بعض لومك يا أبا قيس . إنها محنة كل امرئ يحب امرأته ، إلا من عصنم الله .

المعنى : فما بالنا يا أخي نحب نساءنا ولا ننقاد لهن ؟

المثنى : قد قلت : إلا من عصم الله . وما يدريك يا معنى ماذا تفعل بنا نساؤنا !

سليط : وما المخرج يا قوم ؟

المعنى : عندى أنا المخرج .

سليط : هات يا معنى .

المعنى : (**لسليط والمثنى**) نشدتكما الله يا سليط ويا مثنى ، هل تعلمان أن أمير المؤمنين قد أمر أبا عبيد بأن يسمع من أصحاب النبي ويشركهم في الأمر ؟

الإثنان : اللهم نعم .

المعنى : وأنه نهاه عن التسرع حتى يتبين ، فإن الحرب لا يصلحها إلا الرجل المكيث ؟

الإثنان : اللهم نعم .

المعنى : فقد خالف أبو عبيد اليوم عن أمر أمير المؤمنين ، فلم لا نعزله ونولى مكانه غيره قبل أن يرمى بنا فى الهلكة ؟

بشير : هذا والله الرأى .

المثنى : كلا يا قوم ليس هذا برأى . إن الذى ولاه أمير المؤمنين لا يعزله غير أمير المؤمنين .

المعنى : وإن خالف عن أمره ؟

المثنى : وإن خالف عن أمره ؛ إن علينا أن ننصحه ما استطعنا ، والتبعة عليه .

بشير : ها هو ذا قد أقبل ، فدعونا ننصحه مجتمعين .

(**يظهر أبو عبيد**) .

أبو عبيد : أراكم نجيا ، فليت شعرى فيم تتناجون ؟

المعنى : فيما يصلح المسلمين يا أبا عبيد ، وفى هذه المعركة التى نحن خائضوها مع هؤلاء الأعاجم ، فقد اجتمع رأينا على أن نلزم مكاننا ولا نعبر إليهم بل ندعهم يعبرون إلينا .

بشير : أجل يا أبا عبيد . إن الأعاجم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزُهاء والعُدة بما لم يلقنا به أحد . وقد نزلت بنا منزلا لنا فيه مجال وملجأ ، ومرجع من فرَّة إلى كرّة .

أبو عبيد : أو قد هالتكم جموع الأعاجم ؟ أو قد هالكم أنهم أخرجوا راية كسرى التى يسمونها الدرفش كاويان ؟ أو قد هالكم

أن قائدهم هو بهمن جاذويه الذى يزعمون أنه أشد العجم على العرب ؟ إذن والله ليكونُن أجرأ عليكم إذا عبروا إليكم النهر ؟

سليط : ياأبا عبيد إنك لتعلم ما هال أحدا منا جموعهم ولا رايتهم ولا قائدهم ، ولكننا لا نقاتل رياء ولا سمعة ؛ بل لتكون كلمة الله هى العليا ، وقد أشرنا عليك بالرأى .

أبو عبيد : عجباً لك ، إن أمير المؤمنين ظن بك التسرع فإذا أنت أمكث من المكيث !

سليط : بل أنت والله عجباً لك ، إن أمير المؤمنين ظن بك الأناة والتبصر ، فإذا أنت أرعن أهوج . اتق الله فى المسلمين ولا تلق بهم إلى الهلكة .

أبو عبيد : ما كنت أعلم ياابن قيس أنك جبان .

سليط : أنا والله أجرأ منك نفسا ، ولكنى لا أعاند ولا أتحدى رأى ذوى الرأى .

أبو عبيد : (للمثنى) ياأبا حارثة ، آأنت أوعزت إلى هؤلاء بما قالوا ؟

المثنى : معاذ الله أيها الأمير ليس ذلك من خُلقى ، وقد صارحتك برأيى من قبل وأنا على رأيى . لا تقطع هذه اللجة فتجعل نفسك ومن معك غرضا لأهل فارس .

أبو عبيد : المثنى مثنى بنى شيبان ينهانى عن العبور إلى العدو ؟!

سليط : لأنه أعرف منك بالحرب ، وأعرف منك بالأرض ، وأعرف منك بالعدو ، وأحسن منك نية وأكرم منك طوية . وهل نصرنا فيما سبق من المعارك إلا برأى المثنى وشجاعة المثنى ؟

المثنى : رويدك ياابن قيس ، نشدتك الله إلا ما خليت بينى وبين أميرنا أبى عبيد . أيها الأمير إنى سائلك فأجبنى . ماذا حملنا على عبور النهر من قبل حتى نزلنا هذا المنزل ؟

أبو عبيد : أنتم أشرتم علىَّ بذلك وزعمتم أنه أحصن .

المثنى : فكيف نتركه اليوم ونعود إلى حيث كنا من الشط الآخر ، وقد احتلته جموع الأعاجم ؟

أبو عبيد : لنريهم أننا لا نهاب جموعهم ، وأنهم ليسوا بأجرأ على الموت منا .

المثنى : إننا قد أريناهم ذلك غير مرة من قبل ، وسنريهم ذلك غير مرة من بعد ، دون أن نعبر إليهم اليوم .

أبو عبيد : ياأخا بكر ، إن بهمن جاذويه قد قطع الفراسخ حتى وصل إلى هذا المكان ، أفلا نخطو نحن إليهم هذه النُّطيفة ؟ لقد جَبُنّا والله إذن .

المثنى : هذا ما قاله لك مردانشاه الخصى إذ بعثه جاذويه رسولا إليك .

أبو عبيد : نعم ، ولقد صدق العلج وما قال غير الحق .

سليط : لا حولا ولا قوة إلا بالله . تصدّق العلج وتكذّبنا ؟

أبو عبيد : (يعرض عنه ويمضى) إنى ماض لأحرض النـــاس ، فاستعدوا وأعدوا (يخرج) .

سليط : فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون .

المثنى : يا قوم إن ذا الحاجب قد غلبنا فى المكيدة والرأى ، فلا يغلبّننا فى القراع والمصاع .

المعنى : والله يا مثنى لكأنى بالكارثة تحل بالمسلمين .

المثنى : صه لا تقل ذلك ، وإياك ثم إياك أن تقول ذلك لأحد من الجيش .

بشير : الحق يامثنى أن هذه أول مرة أقاتل فيها وكأنى معصوب العينين .

سليط : قد قضى الأمر ، فعلينا الاجتهاد والصبر .

المثنى : صدقت ياأبا قيس . انسوا أبا عبيد إلى حين ، واذكروا ربكم وانصروه ينصركم فهو خير الناصرين .

(ستار)



يا قوم إن ذا الحاجب قد غلبنا في المكيدة
والرأى فلا يغلبنا في القراع والمصاع !

المشهد الخامس

الحجرة الأمامية من بيت عمر .

عمر وعنده جماعة من أهل الشورى ، وعبد الله بن زيد .

ابن عوف : ويحك يا عبد الله بن زيد ، هلا اختصرت فى وصف النكبة فقد روّعت الناس ؟

عبد الله : أمرنى أمير المؤمنين أن أحكى المعركة كما وقعت ففعلت .

عمر : أجل يا ابن عوف ، ينبغى أن يعرف المسلمون كل شىء وألا يجزعوا من حادث وإن جل . ﴿ وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون * ﴾

الزبير : إنا لله وإنا إليه راجعون . أربعة آلاف من المسلمين تهافتوا فى الفرات !

عمر : بل أربعة آلاف من المسلمين رُزقوا الشهادة يا زبير .

الزبير : كلا يا أمير المؤمنين ، لقد فروا من وجه العدو فتهافتوا فى النهر .

عمر : صه يا ابن العوام لا تقل ما ليس لك به علم .

الزبير : سمعت وصف المعركة من عبد الله بن زيد ، فكأنني شهدتها .

عمر : كلا إنهم مافروا ، ولكنهم انحازوا .

الزبير : انحازوا إلى من ياأمير المؤمنين ؟

عمر : انحازوا إلىّ . أنا فئة كل مسلم .

طلحة : ياأمير المؤمنين إن سار قولك هذا فى الناس ، فليستخفُنَّ بالفرار يوم الزحف .

عمر : كلا ياأبا محمد ، ما هذا بالفِرار وإنما هو التحيز إلى فئة . إنهم قوم خرجوا احتسابا لله ، فلا يفرون إلا إذا اضطروا ليكروا بعد ذلك . رحم الله أبا عبيد ، لو كان عبر فاعتصم بالخيف ولم يستقتل ، لكنا له فئة .

طلحة : بل قاتل الله أبا عبيد ولا رحمة !

عمر : مهلا ياطلحة ، لا تُسبّنَّ امرءًا باع نفسه لله فأكرمه الله بالشهادة .

طلحة : ياأمير المؤمنين إنه هو الذى جلب عليهم الكارثة بخرقه وسوء رأيه، ولو كان عليهم سليط بن قيس أو المثنى بن حارثة ماوقع الذى وقع .

عمر : أئنك لتحمّلنى تبعة ذلك ياطلحة ؟

طلحة : نعم ياأمير المؤمنين ، فقد أشرنا عليك أن تؤمّر عليهم أحد السابقين من المهاجرين والأنصار ، فأبيت إلا أبا عبيد .

عمر : (محتدا) أين كان السابقون من المهاجرين والأنصار ، إذ ظللت ثلاثة أيام أندب الناس للمسير مع المثنى فلا ينتدب

أحد ؟ فكيف لا أؤمّر أبا عبيد وكان هو أول من انتدب ؟ ولقد عرفته مكيثاً ذا أناة وحلم وثبات وشجاعة ، وأمرته على ذلك أن يستشير أصحاب رسول الله ويشركهم فى الأمر .

طلحة : فقد تهور وركب رأسه ولم يقبل رأى أحد .

عمر : سبحان الله ، وهل كنت أعلم الغيب يا طلحة ؟ لقد هممت أن أولى سليط بن قيس ، فما منعنى من ذلك إلا أنه رجل عجل إلى الحرب ، فإذا الآية تنقلب . اللهم إنك ولى التدبير ، بيدك الأمر كله والتدبير كله .

الزبير : لو كنت أبقيت المثنى يا أمير المؤمنين ولم تعزله ...

عمر : والله يا قوم إنى قد اجتهدت وتوخيت ما فيه صلاح المسلمين . والله ما عزلت المثنى مثنى بنى شيبان إلا أن الناس فتنوا به كما فتنوا بخالد ، فخشيت أن يوكلوا إليه أو أن يفتن بهم وهو فى تلك الناحية من ديار قومه من بنى بكر بن وائل ، وكان بين قومه وبين الأعاجم فى الجاهلية ما تعرفون ، فأشفقت والله أن يعيدها جاهلية !

عبد الله : والله يا أمير المؤمنين ما رأيت مثل المثنى إخلاصاً لله ، ولا حدباً على المسلمين ، ولا صدقاً فى لقاء العدو ، ولا ثباتاً حين تتزلزل الأقدام . لقد ظل يقاتل من وراء الناس ويحميهم ، ويحول بين العجم وبين الجسر وينادى : أيها الناس أنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تعجلوا ولا تدهشوا فإنى ومن معى لن نزايل حتى تعبروا جميعا

ونراكم من ذلك الجانب . والله ياأمير المؤمنين لولا المثنى لما بقى منا مخبر ..

عمر : جزى الله المثنى عن المسلمين خيراً . لئن أكذب الله ظنى فيه بما أبلى وأبدى من الخير والنصح لجماعة المسلمين ، إنى بذلك لأسعد .

الزبير : ليت شعرى ماذا فعل المسلمون فى تلك التى ساروا لها من دمشق ؟

الجميع : (**بصوت واحد**) فِحْل .

الزبير : أجل فِحْل .

عمر : أرجو أن يأتينا نبأ عنها اليوم أو غدا .

طلحة : اللهم لا تجمع علينا مصابين فى وقت واحد .

على : هلا قلت ياأبا محمد : اللهم أسمعنا عنها خيرا ؟

طلحة : هذه ياأبا الحسن أول وقعة يشهدونها بعد عزل خالد .

عمر : (**محتدا**) لم لا تصرح بما فى نفسك ؟ إنك تخشى أن يُهزم المسلمون فى فِحْل إذ ليس عليهم خالد بن الوليد ، كما هُزم إخوانهم فى الجسر إذ ليس عليهم المثنى بن حارثة . أليس هذا ما فى نفسك يا طلحة ؟

طلحة : بلى ياأمير المؤمنين ، وفى نفوس كثير من المسلمين غيرى .

عمر : غفرَ الله لك ولهم . هبوا خالدا لم تلده أمه ، وهبوا المثنى لم تلده أمه ؛ أفلا ينصر الله دينه والذين آمنوا به ؟

(**يدخل أسلم**) .

أسلم : ياأمير المؤمنين هذا مُعاذ القارى قد أحضرته لك .

(يدخل معاذ القارى منكسا رأسه خجلان) .

معاذ : **(بصوت يخالطه البكاء)** السلام عليك ياأمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ياأخا الأنصار ورحمة الله . **(يقوم فيأخذ بيده ويجلسه إلى جانبه)** ويحك يامعاذ ، هلا جئتنى فسلّمت علىَّ يوم قدمت المدينة ؟

معاذ : ياأمير المؤمنين ، ماكنت أحسبك تطيق أن ترى وجهى ، ولا كنت أحسبنى أستطيع أن أرى وجهك بعد الذى كان .

عمر : ماكان إلا خيرا يامعاذ ، فهوّن عليك .

معاذ : مَن مجيرى ياأمير المؤمنين من قوله تعالى : ﴿ ومن يولّهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لِقتال أو متحيزا إلى فئة ، فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ ؟

عمر : أنا مجيرك يامعاذ . أنا فئتك ، وإنما انحزت إلىّ .

معاذ : وأين كنت منى يومئذ ياأمير المؤمنين ؟

عمر : أنا معكم فى كل حين يامعاذ وفى كل مكان . اللهم كل مسلم فى حل منى .. أنا فئة كل مسلم .. من لقى العدو ففظع بشىء من أمره فأنا له فئة .

معاذ : ليت أصحابى الذين كانوا معى سمعوا هذا منك ياأمير المؤمنين ، فإنهم لم يرقأ لهم دمع منذ يوم الجسر .

عمر : وأين نزلوا من دونك ؟

معاذ : نزلوا البوادى ياأمير المؤمنين حياء أن يلقوا الناس فيعيّروهم .

عمر : والله لا يعيرهم أحد إلا أدّبته وأوجعته . اذهب إليهم يا معاذ فقل لهم : إن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام ، ويقول لكم لا بأس أن يهزم المسلمون مرة أو مرتين ، فتلك سنة الله نَغْلب ونُغْلب ، ولكن الغلبة فى آخر الأمر للحق . وكنا فى عهد رسول الله ﷺ لا ننكر من أمرنا شيئا إذا غُلبنا ، فقد وقع ذلك فى أُحُد ، ثم وقع أعظم منه فى حُنين . ويحكم ألا تذكرون موقف رسول الله ﷺ من جند مؤتة الذين أحيط بهم وقتل أمراؤهم الثلاثة ، فداور بهم خالد حتى نجا بهم ، وكيف جعل أهل المدينة يحثون التراب فى وجوههم ويقولون : يا فُرّار فررتم فى سبيل الله ، فيقول رسولُ الله ﷺ : ليسوا بالفُرّار ، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله .

معاذ : (**يتهلل وجهه**) والله يا أمير المؤمنين لأنطلقن إليهم الساعة ، فلأبشرنهم بما قلت .

عمر : انطلق إليهم وقل لهم يرجعوا إلى المثنى لتجاهدوا معه ، وأرجوا أن يجعلكم غدا أشد المسلمين على المشركين .

(**يخرج معاذ القارى**) .

أسلم : (**يدخل**) يا أمير المؤمنين ، هذا جرير بن عبد الله البجليّ قد حضر .

عمر : دعه يدخل .

(**يدخل جرير بن عبد الله البجليّ**)

جرير : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله . مرحبا بيوسف هذه الأمة . اجلس .

جرير : استدعيتنى ياأمير المؤمنين ؟ (يجلس)

عمر : انظروا ماأجمل هذا الرجل ، وأجدره أن يكون رئيس قومه .

جرير : قد صرت رئيس قومى بفضلك ياأمير المؤمنين ، إذ جمعت لى بجيلة فى صعيد واحد بعد أن كانت مشتتة فى القبائل ، فأنجزت بذلك العِدَة التى وعدنيها رسول الله ﷺ .

عمر : أفلا تشكرون الله على ذلك ؟

جرير : نشكره ياأمير المؤمنين ونحمده .

عمر : فاخرج بهم يا جرير حتى تلحق بالمثنى .

جرير : بل الشام ياأمير المؤمنين ، فإن أسلافنا بها .

عمر : بل العراق ، فإن الشام فى كفاية .

جرير : إنهم لا يريدون غير الشام .

عمر : أولست رئيسهم ؟

جرير : تقاسموا ليعودُنّ كما كانوا متفرقين فى القبائل ، إذا أبيت عليهم إلّا العراق . ياأمير المؤمنين إنهم سمعوا أخبار الجسر فرعبتهم ، وقد رأوا الناس يكرهون هذا الوجه فكرهوه حتى قالوا لى : ويلك أجمعتنا فى صعيد واحد لتقبرنا فى العراق ؟

عمر : فما الرأى يا جرير ؟

جرير : إنهم ياأمير المؤمنين حديثو عهد بالتجمع ، والرأى أن ترغبهم بشىء من المال .

عمر : من أين أعطيهم ؟ ما عندى مال .

على : ياأمير المؤمنين كُفيت . اجعل لهم شيئا من خُمس ما يفىء الله على المسلمين ، يضاف إلى نصيبهم فى الفىء .

عمر : وهل يحل لى ذلك ياأبا الحسن ؟

على : نعم ياأمير المؤمنين ، إن رأيت أن تجعله فيمن سمى الله جعلته ، وإن رأيت أفضل للمسلمين وأردَّ عليهم أن تصرفه إلى غيرهم صرفته .

عمر : فقل لهم يا جرير إنى قد جعلت لهم الرُبع من خُمس ما يُفىء الله على المسلمين ، فوق نصيبهم من الفىء .

جرير : جزيت خيرا ياأمير المؤمنين . الآن يرضون إن شاء الله .

عمر : بل اشكر أباالحسن ، فهو الذى أرشدنا إلى ذلك .

جرير : جزيت خيرا ياأباالحسن .

(**يخرج**)

عمر : ياعبد الله بن زيد .

عبدالله : نعم ياأمير المؤمنين .

على : ارجع عودك على بدئك فبشّر المثنى بأنى ممده بالرجال تلو الرجال .. بجموع من بجيلة والأزد وكنانة وخثعم وبنى ضبة وعبد القيس .

أسلم : (**يدخل فرحا**) ياأمير المؤمنين هذا رسول أبى عبيدة من الشام !

عمر : اللهم خيرا . (**يدخل سعيد بن عامر بن حِذْيم الجُمحى**) سعيد بن عامر ، ماذا وراءك ؟

سعيد : أبشر يا أمير المؤمنين ، قد نصر الله المسلمين فى فِحْل .

عمر : الله أكبر ! الله أكبر ! الله أكبر ! رب قائل لو كان خالد !
حمدا لك اللهم ، رزقتنا النصر ، وشرحت منا الصدر ،
بيدك الأمر ولا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين .

(ستــار)

المشهد السادس

بالبُوَيب حيث نزل المثنى بجيشه على الضفة الغربية من نهر الفرات ، ويواجههم جيش الفرس فى الضفة الأخرى يقودهم مهران الهمذانى .

فى خيمة المعنى بن حارثة .

(ترى شيرين وحدها تصلى فى خشوع ، ثم تسلم من صلاتها) .

شيرين : **(تتلفت حولها كأنها تخشى أن يسمعها أحد ، ثم تقول رافعة يديها إلى السماء مبتهلة)** اللهمِ تُب علىّ ! اللهم اغفر لى ما جنيت ! اللهم اشرح صدرى لدينك الحق وأذهب عنى وساوس الشيطان ! ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إلـٰه الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس . من الجنة والناس ﴾

(يظهر رجل أمامها بغتة كأنه انسل إلى الخيمة فى غفلة من الناس)

شيرين : ويلك من تكون ؟ وماذا تريد ؟

الرجل : **(يركع أمامها)** شيرين أيتها الأميرة بنت الأمير باذان . أنا

عبدك وخادمك . أرسلنى القائد مهران بن مهروية الهمذانى إليك .

شيرين : (**تحار قليلا ثم تستجمع شجاعتها**) اخرج قبل أن أصيح بهم فيقتلوك .

الرجل : لو كنت أخاف الموت ما بعثنى مهران . كيف أخرج يا مولاتى الأميرة قبل أن أؤدى رسالتى إليك ؟

شيرين : ماذا عندك ؟ أسرع !

الرجل : لا تخافى يا مولاتى . إنهم الساعة مشغولون جميعا عنا بعرض الخيل .

شيرين : هات ما عندك .

الرجل : القائد مهران يهديك التحية والتبجيل .

شيرين : أنا لا أعرف مهران .

الرجل : لكنه هو يعرفك ، ويعرف ما قدمت لفارس من خدمات .

شيرين : كلا أنا ما قدمت لفارس أى خدمة ! أنا مُسلمة .

الرجل : ما خطبك يا أميرتى ؟ لعلك لا تثقين بعبدك . فهناك هذا كتاب لك من ملكتنا بوران بنت كسرى .

شيرين : بوران بنت كسرى ؟

الرجل : نعم .. بعثت به مع القائد مهران فكلفنى القائد مهران بتسليمه إليك ، خذيه يا مولاتى الأميرة .

شيرين : كلا لا آخذه .. لا أعرف بوران ولا تعرفنى .

الرجل : بهمن جاذويه قص على الملكة كل شىء عنك .

شيرين : ولا أعرف بهمن جاذويه ولا صلة لى به .

الرجل : بهمن جاذويه كان صديق أبيك الحميم .

شيرين : ربما كان صديق والدى ، ولكننى لا صلة لى به ولا أعرفه .

الرجل : إنه نوّه للملكة بفضلك الكبير عليه فى معركة الجسر .

شيرين : كلا كلا ..

الرجل : أنت التى دفعت أمير العرب إلى عبور النهر .

شيرين : اسكت .. اخرج من عندى قبل أن يجدوك فيقتلوك .

الرجل : قلت لك ياأميرتى إنى لا أخاف القتل .

شيرين : (**تنظر إليه ملياً ثم تقول**) هات كتاب الملكة .

الرجل : (**فرحاً**) هاك اقرأيه ثم رديه إلىّ .

شيرين : (**تأخذ الكتاب**) لماذا أرده إليك ؟

الرجل : تمزيقه لا يصح ، وبقاؤه عندك خطر عليك .

شيرين : اطمئن ، فسأصونه عندى فى حرز حريز .
(**تخفيه بين ثيابها**) ، اخرج الآن .

الرجل : ورسالة شفوية من القائد مهران .

شيرين : قلها وأسرع .

الرجل : يرجو منك بحق فارس أن تكفيه المثنى بن حارثة .

شيرين : المثنى بن حارثة ؟

الرجل : نعم . ولا يريد منك بعدها شيئاً .

شيرين : قل له إنى سأفعل ..

الرجل : شكراً يا مولاتى الأميرة .. شكراً . (**يركع لها محييا**) .

شيرين : اخرج . أسرع .

(**يخرج الرجل ، وتتناول شيرين قوسا لها فترميه بسهم**)

الرجل : (**يصرخ من الخارج**) آه .

شيرين : (**ترميه بسهم ثان وهي تتمتم**) يجب أن تموت .
(**تصيح بأعلى صوتها**) يا معشر المسلمين ! يا معشر المسلمين ! (**تفتح باب خبائها**) النجدة ! النجدة !
(**تدخل جهدمة ثم سلمى**) .

جهدمة : ما خطبك يا شيرين ؟ ماذا دهاك ؟

شيرين : (**ترتمي عليهما باكية دون أن تجيب**) ...؟

(يدخل المعنى والمثنى وبشير بن الخصاصية فزعين مدهوشين)

المعنى : (**يحتضن شيرين مواسيا**) ماذا دهاك يا شيرين ؟

صوت : (**من الخارج**) انظروا يا قوم . هذا رجل قتيل .

شيرين : (**ماضية فى بكائها**) أنا التى قتلته .

الصوت : أصابه سهمان فى ظهره .

شيرين : أنا التى رميته . إنه جاسوس للعدو .

الجماعة : جاسوس ؟

شيرين : جاسوس بعثه مهران إلىّ .

المعنى : إليك أنت ؟

شيرين : (**باكية**) نعم . أتدرون ماذا طلب منى ؟

الجماعة : ماذا طلب منك ؟

شيرين : (**فى بكائها**) أن أغتال له أخى وسيدى المثنى بن حارثة .

بشير : قاتلهم الله .

المثنى : علام تبكين يا شيرين ؟ هذه آية على أن مهرانهم هذا يخاف منى .

سلمى : وقد أمكنك الله من الجاسوس فقتلته ، فاحمدى الله .

المثنى : وغدا إن شاء الله أقتل الذى أرسله .

شيرين : (باكية) ياليتنى ما كنت فارسية ، إذن لا طمأن قلبى .

بشير : كلا لا تقولى ذلك يا شيرين . إن الإسلام لا يميز بين فارسى وعربى .

شيرين : لكنى سأظل الدهر مرتابا فى دينها متّهمة .

جهدمة : معاذ الله أن يرتاب فى دينك أحد ، أو يتهمك أحد . إنك والله لمؤمنة صالحة .

سلمى : أنت خير منى يا شيرين . لقد حفظت عن جهدمة ما عندها من القرآن ، وأنا لم أحفظ عنها شيئا .

المعنى : وخير منى أنا أيضا .

المثنى : ومنى أنا كذلك والله . لقد شغلنى الجهاد عن القرآن .

شيرين : جزيتم خيرا . أنا لا أعنيكم أنتم ، وإنما أعنى هؤلاء الفُرس ، فهم يعرفوننى لمكان أبى ، فما برحوا يطمعون فى خيانتى للمسلمين حتى اليوم . هذا ما يحز فى نفسى .

المثنى : دعيهم فى غيهم يعمهون ، ولا تبالى بهم .

المعنى : إذا رضيت عنى كرام عشيرتى

فلا زال غضبانا علىّ لئامُهـا

(فى تدليل) بحياتى عليك ابتسمى يا حلوة !

شيرين : (تبتسم) اسمى شيرين !

المعنى : معناه حلوة !

شيرين : آه منك يا مستهام !

(**يضحك الجميع**)

المثنى : (**لزوجته**) أتأذنين لى يا سلمى فأسرج الشّموس ؟

سلمى : خارج أنت الساعة للقتال ؟

المثنى : إن الفرس قد آذنونا بأنهم سيعبرون إلينا ، فأريد أن أرقب أصحابى .

سلمى : لا والله لا يسرجها غيرى ، ولا يخرجها من مربطها غيرى . هلمى معى يا شيرين لتساعدينى فى إسراج أكرم فرس لأكرم فارس !

شيرين : (**تنهض**) حبا يا سلمى وكرامة .

(**تخرجان**)

(**ستـــار**)

المشهد السابع

بالبويب . فى الخلاء الواقع أمام الخيام .

فى جانب من الخلاء يرى هلال بن علفة وقرط بن جمّاح وعروة بن زيد الخيل واقفين أمام صفوف رجالهم يتحادثون .

هلال : انظروا إلى تلك الفرس ما أكرم وما أجمل ! إنها لتسير كأنها ترقص !

قرط : أجل ، مارأيت فى حياتى كاليوم فرساً .

عروة : تلك الشموس فرس المثنى بن حارثة .

قرط : أهو المثنى ذاك الذى عليها ؟

عروة : ومن سواه ؟

هلال : ما أجمله فوقها وما أجملها تحته !

عروة : هذه الشموس لا يركبها المثنى إلا لقتال .

قرط : لا يركبها إلا لقتال ؟

عروة : نعم .

هلال : لذلك تراها كأنها تريد أن تطير . (**يسمع صهيل الفرس من بعيد**)

انظروا .. انظروا كيف شبت على قائمتيها كأنها تريد أن تنقلب على ظهرها .

عروة : إنما فعلت ذلك حين شد عنانها لتقف .

قرط : إنه يريد أن يقول شيئاً .

عروة : يريد أن يرتبنا فاستمعوا إليه .

المثنى : (**يسمع صوته**) يا معشر المسلمين ويا سادة العرب . إنى مناد بأسمائكم فلبونى . يا جرير بن عبد الله البجلى !

صوت : لبيك !

المثنى : (**صوته**) يا حسان بن المنذر الضبى !

صوت : لبيك !

المثنى : (**صوته**) يا عرفجة بن هرثمة البارقى !

صوت : لبيك !

المثنى : (**صوته**) يا غالب بن عبد الله الكنانى !

صوت : لبيك !

المثنى : (**صوته**) يا هلال بن علّفه التيمى !

هلال : لبيك وسعديك !

المثنى : (**صوته**) يا عدى بن حاتم الطائى !

صوت : لبيك وسعديك !

المثنى : يا حصين بن معبد بن زرارة !

صوت : لبيك !

المثنى : يا قرط بن جماح العبدى !

قرط : لبيك وسعديك !

المثنى : يا عبد الله بن ذى السهين الخثعمى !

صوت : لبيك !



هذه الشموس ، لا يركبها المثنى إلا اقتال !

المثنى : إنكم يا قوم سادات العرب ، كل واحد منكم سيد قومه ، فلا نكران لفضلكم ولا لشجاعتكم ، ولوددت لو جعلتكم على مراكز القيادة فى هذه الحرب ، ولكن قَتَل أرضاً عالِمُها ، وقَتلتْ أرضٌ جاهلَها . وهؤلاء الذين أنا مقدمهم عليكم ليسوا خيرا منكم ، ولا أنا والله ما أنا بخير منكم إلا فى معرفة العدو الذى نحاربه اليوم ، والأرض التى نحارب عليها . فلا أسمعنكم تقولون : إن المثنى قلد أخويه مسعودا والمعنى وتركنا . فوالله لو لم يكونا أخويَّ لقلدتهما كذلك . أو تقولون : إن المثنى قلد أصحابه القدامى وتركنا . فوالله مالى بينهم من صاحب ، فكلكم لى صاحب . ووالله ما يسرنى اليوم شىء إلا وهو يسرنى لكم عامة . ولكن هؤلاءِ قد عركوا الفرس منذ أيام خالد بن الوليد ، بل قبل ذلك . وغداً إن عشنا وعشتم لتكونُنَّ أنتم القادة إن شاء الله ، ونحن لكم تبع .

قرط : يا مثنى بن حارثة ، إنك والله لتنزلنا منازلنا دون حيف ، وإنا لنلقى جميعا من برك وعطفك ما جعلنا نحبك وبأرواحنا نفديك ، فَافعل ما تشاء وول من تشاء ، أرشدك الله ، فما أنت بمظنون ولا متهم .

أصوات : صدق قرط بن جماح ! صدق أخو عبد القيس !

المثنى : جزيتم خيرا . إنى مناد الآن ، فمن نودى باسمه فليتقدم نحوى حتى يراه الناس ويعرفوه . يا بشير بن الخصاصية !

بشير : (صوته) لبيك !

المثنى : ياأخا سَدوس ويا صاحب رسول الله ، أنت على الميمنة .
يا بُسر بن أبى رُهْم !

صوت : لبيك !

المثنى : أنت على الميسرة . يا معنًى بن حارثة !

المعنى : (صوته) لبيك !

المثنى : أنت على المجرّدة . يا مسعود بن حارثة !

مسعود : (صوته) لبيك !

المثنى : أنت على الرَّجل . يا نسير بن ثور العجلى !

صوته : لبيك !

المثنى : أنت على الطلائع . يا عروة بن زيد الخيل !

عروة : (يتقدم حتى يختفى من المسرح) لبيك !

المثنى : أنت على الردء . أيها المسلمون ، إنى سأطوف بكم صفا صفا وراية راية ، لترونى جميعا وتعرفوا هيئتى وهيئة فرسى الشَّموس . فوالله لتجدُنّى فى مقدمتكم من القلب . يا معشر العرب ، إنى لأرجو أن لا تؤُتى العرب اليوم من قِبَلكم . أيها الناس ، إن عدوكم يعبر النهر إليكم فدعوه حتى يعبر بجميع أثقاله وكراعه لتكون نفلا لكم إن شاء الله . أيها المسلمون ، كانت وقعة الجسر لهم علينا أمس ، فلتكن وقعة البويب اليوم لنا عليهم .

صوت : أيها الأمير اسمع . لقد أقبلوا فى فيلتهم ولهم زجل يُصمّ الآذان ليرهبونا به ، أفلا نردُّ عليهم بمثله ؟

المثنى : كلا يا يا أخا العرب . إن ما تسمعونه فشل ووهن يريدون به أن يداروا خوفهم ، فالزموا الصمت وائتمروا همسا .

صوت آخر : وأنهم لأضعافنا فى العدد والعدة أيها الأمير .

المثنى : نحن معشر المسلمين ما قاتلنا عدوا قط إلا كان أكثر منا عددا وعدة ، فنصرنا الله عليهم فى جُلّ المواطن . أما هؤلاء العجم فوالله لقد بلوتهم وبلوت العرب فى الجاهلية والإسلام ، ولمائة من العجم كانوا أشد علينا من ألف من العرب لما لهم فى نفوس العرب من الهيبة ، أما اليوم فقد انقلبت الآية . إن الله قد أذهب مصدوقتهم ووهَّن كيدهم ، فلا يروعنكم زُهاء ترونه ولا سواد ولا قِسِيٌّ ولا نِبالٌ طِوال ، فإنهم إذا أُعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم أينما وجهتموها اتجهت . ولقد أيد الله العرب ومنحهم القوة بأنهم حملة هذه الرسالة ، رسالة الحق والعدل .

صوت : أيها الأمير آن لنا أن نتحرك صوبهم .

المثنى : يرحمك الله يا معاذ بن الحارث ، فيم العجلة ؟

معاذ : (صوته) إنهم قد عبروا جميعا ولم يبق بالشاطىء الآخر إلا من لا ينوى العبور .

المثنى : يا أخا الأنصار حتى نسمع ذلك منهم هم .

معاذ : (صوته) هلا عاجلناهم قبل أن يثبّتوا أقدامهم فى ساحلنا هذا ؟

المثنى : كلا لا ننقض العهد الذى أعطيناه لهم .

معاذ : أيها الأمير ألا تذكر يوم الجسر ، فقد عاجلونا ولمّا يعبر بقية رجالنا .

أصوات : أجل فلنعاملهم بالمثل !

المثنى : أيها المسلمون نحن العرب ما كنا نجيز الغدر فى الجاهلية ، فكيف فى الإسلام ؟

صوت : (**من ناحية الفرس على يمين المسرح**) أيها العرب ! أيها العرب !

المثنى : نعم !

الصوت : قد عبرنا فهل نبدأ أم تبدأون ؟

المثنى : (**بصوته الجهورى**) يا معشر العجم ، أنا المثنى بن حارثة. أين بطلكم ذو الحاجب بهمن جاذويه ؟ أخفتم عليه منا أم هو الذى خاف ؟

الصوت : قد ذقتم من بهمن جاذويه ما يكفيكم ، فذوقوا اليوم من مهران الهمذانى أشد مما ذقتم من ذى الحاجب .

المثنى : إن كان مهران هذا كما ذكرتم ، فليبرز لى .

الصوت : يقول أميرنا مهران : إنك يا شيبانى لست أهلا لمبارزته !

المثنى : قولوا له إذن إنى سأقتله بسيفى هذا وهو بين رجاله وحرسه ! أيها المسلمون إنى مكبر ثلاثا ، فإذا كبرت الثالثة فاحملوا عليهم حملة رجل واحد ، وليكف كل واحد منكم قِرنه ومن يليه . أيها المسلمون الله أكبر ! استعدوا وتهيأوا .. مَنْ ذلك الذى ند من الصف ؟ ائتونى به . معاذ القارئ! يا أخا الأنصار ما حملك على ذلك ؟

معاذ : (**صوته**) لم أطق صبراً إذ رأيتهم أمامى أيها الأمير .

المثنى : كلا لا تفعل . الزم موقفك ، فإذا أتاك قِرنك فأغنه عن صاحبك ولا تستقتل . عد الآن إلى مكانك ياأبا حليمة .(**بأعلى صوته**) الله أكبر !.. أيها المسلمون .. استعينوا بالله وتوكلوا عليه .. أيها المسلمون إنه النصر أو الجنة !.. الله أكبر !

(يبدأ الهجوم ويلتحم القتال)

(ستار)

المشهد الثامن

بالبويب

خيمتان متجاورتان : خيمة المثنى على اليمين ، وخيمة المعنى على اليسار . عند رفع الستار نرى الخيمة اليسرى وحدها مفتوحا بابها على المسرح ، حيث نرى شيرين جالسة ترعى مسعود بن حارثة وهو جريح دنف .

مسعود : (**كأنه يهذى من الحمى**) لو كانت لك أخت يا شيرين لتزوجتها .

شيرين : غدا حين تعافى إن شاء الله أزوجك خيرا منى .

مسعود : فارسية ؟

شيرين : فارسية .

مسعود : هيهات يا امرأة أخى ، لن يطلع علىَّ غدٌ !

شيرين : بلى يا مسعود ، ستعافى وتبرأ من جرحك .

مسعود : أنصتى إلىّ يا شيرين . لا تكترثى لجرحى هذا واهتمى بجرح آخر .

شيرين : (**تجفل**) ماذا تعنى يا مسعود ؟

مسعود : أخونا المثنى يا شيرين جرحه جرح تالف .

شيرين : ياويلتا ، هل جرح المثنى اليوم ؟

مسعود : لا بل يوم الجسر!

شيرين : (**تزداد ارتياعا**) تعنى الجرح الذى أصابه يوم الجسر ؟

مسعود : نعم .

شيرين : (**تتنفس الصعداء**) ذاك جرح قد طاب يا مسعود .

مسعود : إنما يزعم هو ذلك ويتجلد حتى لا يؤسينا عليه . حتى سلمى امرأته لا تعلم .

شيرين : والمعنى ؟

مسعود : ولا المعنى . لا يعلم ذلك غيرى . اهتمى به يا شيرين .. التمسى له الأطبة فهو يسمع لك . إن المثنى يا شيرين هو حياتنا .. هو شرفنا ، هو عمادنا نحن بنى شيبان ، وأنت اليوم منا يا شيرين ، أنت من آل شيبان .فأوصيك بالمثنى خيرا . (**يسترخى جفناه**) النوم .. إنى أريد أن أنام يا شيرين .

شيرين : (**تجس وجهه**) الْحُمَّى واقدة . (**تدثره بالغطاء وتبقى قليلا كأنها تريد أن تتأكد من نومه ، ثم تقوم وتنتحى ركنا بعيدا فى الخيمة فتجهش بالبكاء ، وهى تتمتم كأنها تناجى نفسها**) آه مِنْ هذا الذى فى صدرى ! أى عذاب وأى ألم ! لكأنما أُطعَّن بخنجر ذى حدين . يا لعذابين فى قلبى يصطرعان أيهما أشد تمزيقا له : خيانتى للمسلمين يوم الجسر ، وخيانتى لقومى اليوم ! يا إلٰهى أمسلمة أنا أم فارسية؟ فارسية مسلمة ؟ مسلمة فارسية ؟ (**تسمع حس قادم فتمسح دمعها وتتجلد ، وتجلس قريبا من فراش مسعود**)

(يدخل المعنى وخلفه المثنى وبشير)

المعنى : (بصوت خافض) أنائم هو ؟

شيرين : نعم .

مسعود : (يتحرك قليلا ويهذى فى نومه) يا معشر بكر بن وائل ! ارفعوا رايتكم رفعكم الله ، لا يهولنكم مصرعى !

المعنى : استيقَظ ؟

شيرين : لا بل هو نائم يهذى .

المثنى : هذا ما قاله هناك فى المعركة ساعة صُرع .

المعنى : (يدنو من مسعود كأنما يريد أن يتأكد) أجل هو نائم .

المثنى : دعوه نائما .. النوم خير له . ترى ماذا فعل أنس بن هلال ؟

(يخرج المثنى من الخيمة اليسرى فيكشف ستار الخيمة اليمنى ، فإذا أنس بن هلال النمرى على فراشه ، وأمامه سلمى بنت أبى خصفة تسقيه الماء ومعها جهدمة زوجة بشير . يدخل المثنى وبشير ، ثم يلحقهما المعنى)

المثنى : كيف حال جريحك يا سلمى ؟

سلمى : ما أفاق من غشيته إلا منذ قليل .

أنس : (فى جذل ولهف) مثنى بنى شيبان ! كيف أنت ؟ أنت بخير ؟

المثنى : الحمد لله ، وأنت يا ابن هلال كيف تجدك ؟

أنس : بنعمة الله ونعمة السيد المسيح . حدثنى يا رجل هل قتلت مهران إذ بارزته ؟

المثنى : ويحك ، لقد كنت معنا فكيف لم تعلم أننى قتلته ؟

أنس : كل ما أذكره الساعة يا مثنى أننا خضنا إليه نحن الثلاثة حتى بلغناه، فدعوته أنت للمبارزة فأجابك ، ووقفت أنا وابن مِردى الفِهْر نحميك من غدر أصحابه ، وكانت المبارزة حامية بينك وبين مهران ، ثم أُصِبْتُ فلا أذكر شيئا بعد ذلك .

المثنى : إنما انهزموا يا أنس لما رأوا قائدهم مهران صريعا على الأرض.

أنس : بوركت . قد علمت أنك ستكفيه وإن كنت أشفقت قليلا إذ رأيت الجوال بينكما قد طال .

المثنى : أجل ، أشهدُ أن مهران كان فارسا بطلا ، وما أذكر أنني قابلت فى العجم مثله قط .

أنس : بلغنى أنك أخذت عليهم طريق الجسر فلم تبقوا منهم على أحد.

المثنى : أجل ، وإنى لنادم على ذلك أشد الندم ، وقد خطبت فى الناس آنفا فقلت لهم إنها زلة منى ، وإياكم أن تعودوا لمثلها .

أنس : كنت تخشى أن يستميتوا ويستقتلوا فتكون لهم الكرة علينا ؟

المثنى : لا والله ما كنت أخشى ذلك ، ولكن ليس من المروءة أن نأبى الفرار على قوم ارتضوا لأنفسهم الفرار .

أنس : صدقت يا ابن حارثة .. لكن خبرنى كيف حُملت أنا من ذلك المكان ؟

المثنى : حملك ابن مردى الفِهر . أنا أمرته فطار بك على فرسه .

أنس : واستطاع أن يمرق بى بين صفوف العدو ؟

المثنى : كانت قلوبهم قد طارت شعاعا لمصرع مهران ، فلم يدروا ماذا يصنعون .

أنس : أما أنا فما شعرت بشيء حتى وجدتني هنا في خيمتك ترعاني سلمى امرأتك ، جزاكم الله عني خيرا .

المثنى : بل جُزيت الخير يا أنس على ما أبليت معنا، وأنت لست على ديننا .

أنس : يا رجل قد سمعنا أن كتابكم الذى أنزل على نبيكم يكرم المسيح ابن مريم وأمه ، وينزههما من العيب .

المثنى : أجل ، ذلك حق يا أخا تغلب .

أنس : فذلك حسبي من ديني ، ويبقى بعد ذلك لحمة النسب يا أخا شيبان ووحدة الأرومة . إني والله ما سعدت يوما في حياتي ما سعدت اليوم إذ انتصفتم لنا من فارس . إن العربي لن يسجد لكسرى بعد اليوم ولا لقيصر !

بشير : بل لن يسجد لهما غداً أحد من البشر !

أنس : لا شأن لنا بمن سوى العرب ، يسجدون لهما أو لا يسجدون .

(يهم بشير أن يرد عليه ، فيومئ له المثنى أن اسكت)

المثنى : قد أطلنا عليك يا أنس ولعل الحديث يهيضك، فينبغي أن نتركك .

أنس : (**كأنه يحاول الجلوس**) كلا يا مثنى بل تحدث إليّ ، فما بقي من حياتي غير هذه الحُشاشة . (**يسعل سعلة شديدة**) هون عليك فإني أموت قرير العين يا أخا شيبان .. قرير العين . (**يموت**)

(يقبل المثنى جبينه ، ثم يسحب عليه الثوب وهو دامع العين ، والآخرون يشاركونه الأسى صامتين)

(تدخل شيرين فزعة)

شيرين : الحقوا أخاكم ، إنه يموت !

(يهرع المثنى والمعنى وبشير وسلمى وجهدمة إلى الخيمة اليسرى ، فإذا مسعود يجود بنفسه وقد تسارعت أنفاسه وقبض لسانه ، ثم ما لبث أن مات)

(تنتحب شيرين باكية ويرتفع عويلها ، وتحاول جهدمة وسلمى أن تصبراها كأنما المصاب مصابها وحدها)

(يقبل المثنى جبينه كما فعل مع أنس بن هلال ثم يسحب عليه ثوبه ، ويفعل المعنى مثله)

(ترتمى شيرين على المعنى فيضمها إلى صدره مواسيا لها فى حنان ، والدمع فى عينيه)

المثنى : **(فى أسى يتمثل)** يا معشر بكر بن وائل ارفعوا رايتكم رفعكم الله ، لا يهولنكم مصرعى !!

(ستــار)

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ ـ اخناتون ونفرتيتى .
٢ ـ سلامة القس .
٣ ـ وا إسلاماه .
٤ ـ قصر الهودج .
٥ ـ الفرعون الموعود .
٦ ـ شيلوك الجديد .
٧ ـ عودة الفردوس .
٨ ـ روميو وجوليت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ـ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ـ ليلة النهر .
١١ ـ السلسلة والغفران .
١٢ ـ الثائر الأحمر .
١٣ ـ الدكتور حازم .
١٤ ـ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ـ مسمار جحا .
١٦ ـ مأساة أوديب .
١٧ ـ سر شهر زاد .
١٨ ـ سيرة شجاع .
١٩ ـ شعب الله المختار .
٢٠ ـ امبراطورية فى المزاد .

٢١ ـ الدنيا فوضى .
٢٢ ـ أوزوريس .
٢٣ ـ فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية .
٢٤ ـ دار ابن لقمان .
٢٥ ـ قطط وفيران .
٢٦ ـ هاروت وماروت .
٢٧ ـ جلفدان هانم .
٢٨ ـ الفلاح الفصيح .
٢٩ ـ حبل الغسيل .
٣٠ ـ الشيماء (شادية الإسلام) .
٣١ ـ هكذا لقى الله عمر .
٣٢ ـ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .
٣٣ ـ إله إسرائيل .
٣٤ ـ الزعيم الأوحد .
٣٥ ـ الدودة والثعبان .
٣٦ ـ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا) .

الملحمة الإسلامية الكبرى

عمـــر

1 ــ على أسوار دمشق .
2 ــ معركة الجسر .
3 ــ كسرى وقيصر .
4 ــ أبطال اليرموك .
5 ــ تراب من أرض فارس .
6 ــ رسـتم .
7 ــ أبطال القادسية .
8 ــ مقاليد بيت المقدس .
9 ــ صلاة فى الإيوان .
10 ــ مكيدة من هرقل .
11 ــ عمر وخالد .
12 ــ سر المقوقس .
13 ــ عـام الرمادة .
14 ــ حديث الهرمزان .
15 ــ شطا وأرمانوسة .
16 ــ الولاة والرعية .
17 ــ فتح الفتوح .
18 ــ القوى الأمين .
19 ــ غروب الشمس .

كسرى وقيصر

الملحمة الإسلامية الكبرى

عمر

كسرى وقيصر

علي احمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

المشهد الأول

إيوان كسرى بالمدائن

يرفع الستار فنرى يزدجرد واقفا بجانب عرشه ، وإلى جانبه زوجته الملكة الشابة حماية ، وأمامه أمرأة جميلة الوجه لولا عيناها المسمولتان قد برزت حدقتاهما بروزا فظيعا ، وقد زادها الغضب قبحا وشناعة ..

يزدجرد : (**محاولا أن ينهى حديثها**) يا عمتاه قد سمعت هذا القول مراراً منك .

آزرميدخت : ولكن كأنك لم تسمعه منى قط . انظر إلىّ . أيرضيك ما فعلوا بى ؟ مشوهة مدى الحياة .. عمياء إلى آخر الدهر . إن كنت لا تستطيع أن تقتص لى منهم فاحذرهم على نفسك . خلص نفسك من قبضتهم .

يزدجرد : عمتاه لا تطالبينى بما ليس فى مقدورى .

آزرميدخت : أنت اليوم على عرش كسرى والجميع يطيعونك .

يزدجرد : من الذى جاء بى إلى هنا وأجلسنى على العرش ؟

آزرميدخت : حسبك ونسبك .

يزدجرد : بل عمتى بوران وقائدى رستم .

آزرميدخت : هل كان فى وسعهما ذلك لو لم تكن ابن شهريار ابن كسرى أبرويز ؟

يزدجرد : لولاهما لبقيت الدهر مختبئا عند أخوالى فى اصطخر .

آزرميدخت : إنما جاءا بك ليتخذاك سلما إلى العرش .

يزدجرد : بل لأجمع كلمة الشعب وقد فعلت . هذه البلاد قاصيها ودانيها اليوم قد اتحدت واتحد زعماؤها وأمراؤها حول عرشى لدفع الخطر الذى يتهددنا من العرب .

آزرميدخت : أنت تنظر إلى اليوم يا ابن أخى وأنا أنظر إلى الغد .

يزدجرد : ماذا تعنين ؟

آزرميدخت : إذا زال خطر العرب غدا فسيتلوث هذا العرش .

يزدجرد : يتلوث ؟

آزرميدخت : بجلوسها مع عشيقها عليه . عشيقها من عهد قديم .. من عهد جدك كسرى أبرويز .

يزدجرد : صه لا يسمعك أحد .

آزرميدخت : لست أبالى .

يزدجرد : اخرجى إذن من عندى .

آزرميدخت : أتطردنى يا ابن أخى ؟

يزدجرد : لا أريد أن يصيبك سوء .

آزرميدخت : ألا تستطيع أن تحمى عمتك العمياء وأنت شاهنشاه ؟

يزدجرد : إن لم تستطيعى أن تحفظى لسانك، فلن يستطيع أحد أن يحميك . (**تدخل بوران فجأة**)

بوران : أيتها البومة . ألا تكفين عن نعيبك ؟



آزرميدخت : هي هنا ؟ لماذا لم تخبرني يا يزدجرد ؟ إني اتخذتك بصري وما ينبغي لبصري أن يخونني .

يزدجرد : كلا يا عمة . إنما دخلت عمتي بوران الساعة ولم تكن هنا من قبل .

آزرميدخت : هذا أقبح . كانت تتسمع عليك من الأبواب .

بوران : لست بحاجة إلى ذلك . كل ما يلغط به لسانك في حقي يبلغني .

آزرميدخت : (**في سخرية**) وأبقيت عليَّ مع ذلك ؟

بوران : أنا لست ممن يرى قتل البوم .

آزرميدخت : أجل أنا البومة التي تنوح على أطلال ملك كسرى ، ولكنك أنت الأرضة التي تأكل قوائم عرشه .

بوران : (**بحدة**) اسمعي يا آزرميدخت . إني صبرت عليك حتى اليوم رعاية للقربى ، ولكن إياك ثم إياك أن تتعرضي للهدف الكبير الذي نسعى إليه ، وإلا فلا تلومِنَّ إلا نفسك .

آزرميدخت : سمعت يا ابن أخي ؟ ها هي ذي قد صرحت بما في نفسها .

يزدجرد : إنما تعني طرد الغزاة من بلادنا .

آزرميدخت : طرد الغزاة وما بعد طرد الغزاة .

بوران : اخرجي يا أختاه قبل أن يغلبني جهلي على حلمي .

آزرميدخت : كلا لا أخرج حتى يأمرني شاهنشاه ، فهو وحده صاحب الأمر .

يزدجرد : قد أمرتك بالخروج من قبل .

آزرميدخت : (**فى اكتئاب**) لا بأس . غدا تعرف صدق كلامى وتندم ولات حين مندم .

(**تتحسس طريقها بالعصا التى فى يدها لتخرج**)

بوران : (**لوصيفتها**) خذى بيدها يا مشكدانه . (**تقودها مشكدانة حتى تخرج بها**) يا ابن أخى قد رأيت كيف وفقنا إلى جمع كلمة البلاد كلها حول عرشك ، فلا ينبغى أن تأذن لمثل هذه الحاقدة العمياء أن تحبط بدسها ووقيعتها عمل المبصرين المخلصين .

يزدجرد : ماذا أصنع يا عمتاه ؟

بوران : نبهتك مراراً أن لا تأذن لها عليك حتى لا تسمع منها ما تكره . (**تنظر إلى الملكة حماية فتخفض حماية بصرها**) إنى لأعلم أن زوجتك هى التى أذنت لها اليوم .

حماية : توسلت إلى فلم يسعنى أن أردها .

بوران : بل تعطفين عليها يا حماية .

حماية : أليس لى أن أعطف على امرأة منكوبة ؟

بوران : اعطفى عليها ما شئت ، ولكن لا تأذنى لها أن توغر صدر زوجك على المخلصين له ، إن كنت حقا تحبين زوجك .

حماية : (**ينظر إليها يزدجرد كالعاتب**) حسنا يا عمة ، لن أشفع لها مرة أخرى .

بوران : تبا لها .. لقد شغلتنا عن مهمتنا اليوم . إن الزعماء والقواد قد حضروا ببابك ؛ فهل آذن لهم بالدخول ؟

يزدجرد : نعم .

بوران : (**تشد حبل الجرس فيدخل الحاجب**) قل لهم يدخلوا .

(**يخرج الحاجب**)

(**يدخل رستم ويليه الفيرزان كأنه يريد أن يسبقه ، ثم الهرمزان ثم بهمن جاذويه والجالينوس ، فيركع كل واحد منهم أمام العرش ثم يجلس**)

يزدجرد : إنى جمعتكم اليوم للتشاور فى أمر العدو ، فليدل كل منكم برأيه .

الفيرزان : (**كأنه يريد أن يسبق رستم**) لست أرى ما يدعو إلى تسيير الجيش بعد ما انسحب العدو من الحيرة والتجأوا إلى البادية . إن تولية مولانا يزدجرد على عرش فارس قد أزعج العرب ، وأقنعهم بألا سبيل إلى ما كانوا فيه يطمعون .

رستم : بل يجب تسيير الجيش اليوم ، فلم ينسحب المثنى من الحيرة إلا ليكر علينا حينما يأتيه المدد من المدينة ، كما فعل من قبل .

جاذويه : أجل . إنى أعرف هذا الثعلب العربى . يحرص دائماً على أن يختار مكان القتال وزمانه .

الفيرزان : حتى لو عادوا إلى القتال فلن يعودوا إلا بعد زمن طويل ، ريثما يأتيهم المدد .

رستم : كلا لا يصح أن نقيسهم بنا . إنهم خفاف سراع فى تجمعهم وتفرقهم كأنهم الجن . ثم إن فى وجود الجيش بأطراف السواد تأمينا لأهل السواد .

جاذويه : وتخويفاً لهم أيضاً ، فإن كثيرا منهم قد مالوا إلى العرب ومالئوهم .

يزدجرد : هؤلاء الخونة يجب عقابهم دون شفقة ولا رحمة . يجب أن يصلبوا على جذوع النخل ليكونوا عبرة لغيرهم .

رستم : مولاى شاهنشاه ، إن الرفق بأهل السواد أجمل عاقبة من العنف بهم ، فإنهم ما مالوا إلى العرب إلا لأنهم وجدوا عندهم ما لم يجدوه عندنا من الرفق وحسن المعاملة .

الفيرزان : إنى لأسمع ثناء على أعداء شاهنشاه ! فى حضرة شاهنشاه !

رستم : وإنى لأرى محاولة للوقيعة بين شاهنشاه وقائد شاهنشاه !

الفيرزان : أية وقيعة ؟ إنك أشدت الساعة بفضل أعدائنا العرب .

رستم : أجل ، إن الذى يريد أن يتغلب على عدوه لا بد أن يعرف عدوه على حقيقته ، ولا يخادع نفسه فى أمره . إنى فى الحق لا أخشى أن يغلبنا العرب من قلة فى العدد أو فى العدة ، وإنما أخشى أن ينقلب رعايانا جنودا لهم لسوء سلوكنا وحسن سلوكهم .

جاذويه : أما أنا فأخشى ما أخشاه أن يدب الخلاف بيننا وهم متحدون .

يزدجرد : أى خلاف يا بهمن ؟

جاذويه : بين زعمائنا يا شاهنشاه .

يزدجرد : والعدو على الأبواب ؟

جاذويه : نعم . هذا الثعلب العربى الذى يربض لنا اليوم فى ذى قار ، كنت سأقضى عليه عقب معركة الجسر لو لم يشتجر

الخلاف فجأة بين زعيمينا الكبيرين فى العاصمة . (**يشير إلى رستم والفيرزان**)

رستم : يا جاذوية لا ينبغى لك أن تذكر ذلك الخلاف ، دون أن تعيّن من تقع عليه التبعة .

الفيرزان : التبعة كانت عليك .

رستم : لأنك نازعتني سلطانى ؟

الفيرزان : ما اعترفت لأحد بأى سلطان على إلا لشاهنشاه .

رستم : أتظن شاهنشاه ينخدع بقولك هذا؟ إنه يعلم أن عمته بوران كانت على العرش وأنها ولتنى مقاليد الحكم ، فمن عصانى فقد عصاها ، ومن عصاها فهو حَرٍ أن يعصى ابن أخيها شاهنشاه .

الفيرزان : أتريد يارستم أن تتهمنى فى ولائى لشاهنشاه وتوغر صدره على؟

بوران : (**محتدة**) كفى ! إن شاهنشاه لم يجمعكم اليوم لتتناقروا أمامه تناقر الديكة .

الفيرزان : (**على حدة**) يا لك من دجاجة ماكرة !

بوران : قسما بالنار المقدسة لئن لم تقلعا عن هذا الخلاف لأغرينَّ بكما الشعب فليبطشنَّ بكما كما أوشك أن يفعل من قبل . تبا لكما ! أما آن لكما أن تدركا ما نحن فيه ؟ ألم تريا كيف ضحيّت أنا بكل شيء فى سبيل توحيد البلاد لدفع خطر الغزاة ؟ وإنى أشهدكم الآن أنى آليت على نفسى ألا أتزوج أبدا ، حتى تصل جيوش شاهنشاه إلى عاصمة عمر ذاتها فتدمرها تدميرا .



الحاجب : (**يدخل**) مولاى شاهنشاه . بالباب رسول من هرقل ملك الروم .

الجميع : من هرقل ملك الروم ! (**ينظر بعضهم إلى بعض فى دهش ثم فى ارتياح**) لعله بشير خير .

يزدجرد : (**ينظر إلى بوران كأنه يستشيرها**) قل له يدخل .

بوران : من سخرية الأقدار بنا أن نلتمس النجدة والعون من عدونا القديم .

الهرمزان : على عدونا الجديد .

رستم : ومن يدرى لعله هو الذى يلتمس منا النجدة والعون !

جاذويه : كل شىء جائز . أجلاف البادية صاروا يهددون ملك كسرى وقيصر .

(**يدخل الرسول فيركع أمام العرش**)

الرسول : مولاى شاهنشاه ، إن مولاى القيصر يهديكم التحية ، وقد عزم على أن يقوم بحملة كبيرة لطرد العرب من بلاد سورية فى الربيع القادم ، فهو يرجو أن تقوموا أنتم بمثلها ، حتى تتم هزيمتهم فى الميدانين معا فى وقت واحد . (**يسلمه كتابا مختوما**) .

يزدجرد : (**يفض الكتاب ويتصفحه ثم يسلمه لبوران**) ماذا ترون فى هذا الذى اقترحه صديقنا ملك الروم ؟

الفيرزان : اقتراح عظيم الأثر .

رستم : هذا هو السبيل للقضاء على قوة العرب .

الهرمزان : أجل لا ينبغى أن تعجز دولة فارس ودولة الروم عن تأديب هؤلاء الأجلاف .

جاذويه : هذا التعاون بين الدولتين كان ينبغى أن يتم من قبل .

بوران : يجب أن نكتب إلى قيصر أننا إذا ما هزمناهم ، سنواصل زحفنا فى أرضهم حتى يتصافح جيشانا على أنقاض عاصمة عمر .

(ستــار)

المشهد الثانى

فى ذى قار حيث لجأ المثنى بن حارثة بعد انسحابه من الحيرة . خيمة المعنى وشيرين .

(يرى المعنّى يقوم ويقعد فى قلق)

شيرين : ما خطبك يا حبيبى اليوم ؟

المعنى : لا أكتمك يا شيرين أننى غير مطمئن إلى هذا الطبيب الفارسى .

شيرين : قلت لك مراراً إنه ليس بفارسى . بل نسطورى من جنديسابور .

المعنى : ألا يجوز أن يكون مدسوسا علينا من قبل يزدجرد ؟

شيرين : إن بختيشوع لا يخون أمانته ، ولو خان الناس جميعا ما خاننى فقد كان طبيب والدى وصديقه ، فاطرد من نفسك هذه الأوهام .

المعنى : لو جاء ليعالجنى أنا لما باليت . ولكنه المثنى يا شيرين .

شيرين : تبا لك يا معنى . أتظن أن قيمة المثنى عندى أقل من قيمته عندك ؟

المعنى : بل تبا لك يا شيرين كيف هجس ذلك ببالك . ولكنى أعلم أن هؤلاء القوم يرون المثنى عدوهم الأول ، ويبغون التخلص منه بأى سبيل .

شيرين : وهل أجهل أنا ذلك ؟ أو تظن أنى نسيت رسول مهران الذى تسلل إلى خيمتى يوم البويب ؟

المعنى : ذلك أحرى أن ترتابى فى هؤلاء القوم .

شيرين : لست بحاجة إلى أن تحذرنى من مكرهم ، فأنا أعرف بهم منك .

المعنى : (**مداعبا**) لأنك منهم يا شيرين ؟

شيرين : ليس هذا أوان المزاح يا معنى . هذا الجرح المتقادم الذى بأخيك لا يقدر على علاجه غير بختيشوع . والله إن حضوره إلينا لمعجزة وإنه لمن ضربات الحظ السعيد .

المعنى : ذلك ما أثار شكوكى فى أمره .

شيرين : كأنك تريد أن تنكر ما بذلته من جهد طويل منذ يوم البويب ، حتى تمكنتُ من الاتصال بهذا الطبيب العظيم .

المعنى : لا والله يا شيرين .

شيرين : أو كأنك تشك فى الصلة التى كانت تربطه بوالدى من قديم .

المعنى : ولا هذا . كل ما عندى أننى شديد القلق على المثنى من هذا الجرح الذى به .

شيرين : وتريد مع ذلك أن تمنع الأطبة عنه . ويحك إنى وجدت عند المثنى من الثقة بى ما لم أجده عندك .

المعنى : (**بعد صمت يسير**) فليكن ما تشائين يا شيرين ، فعسى أن أكون واهما فى كل ما توهمت . وما دمت واثقة فى هذا الطبيب فإنى واثق به مثلك . وعسى الله أن يتم الشفاء على يديه .

شيرين : أنا على يقين أن بختيشوع سيشفيه إن شاء الله .. ها هو ذا قد أقبل .

المعنى : ما أسرع ما جاء . كنت أظن أنه سيستريح فى خبائه مدة أطول .

شيرين : إنك لا تريده بعد . حذار أن تشعره بشىء من ذلك فإنه رجل أنوف .

المعنى : اطمئنى . (**يخرج ثم يعود ومعه شيخ فى السبعين قد ابيض شعر رأسه ولحيته وعارضيه ، وهو يحمل فى يده صندوقا صغيرا من الجلد**)

شيرين : مرحبا بحكيم العصر . مرحبا ببختيشوع العظيم .

المعنى : أيها الطبيب الجليل .. أرجو أن تكون استرحت فى خبائك ولم تجد فيه ما يزعجك أو يضايقك .

بختيشوع : استرحت كثيرا ، فأحمد لكم هذه الضيافة الكريمة .

شيرين : هذا قليل فيما تجشمته فى قدومك إلينا من عناء .

بختيشوع : من أجلك يا بنيتى ومن أجل صديقى المرحوم أبيك . أرونى الآن مريضكم أين هو ؟

شيرين : (**للمعنى**) انطلق فادع أخاك المثنى .

بختيشوع : المثنى . المثنى قائد جيش العرب ؟

شيرين : نعم .. ما خطبك ؟ ألا تحب أن تعالجه ؟

بختيشوع : بلى هذا شرف عظيم أن أعالج هذا البطل العظيم ، وإن كنت أخشى أن يبلغ القوم أنى عالجت عدوهم الأكبر فيسيئوا إلى .
(**ينظر المعنى نظرة إليه ثم يخرج**) . (**يتلفت**) ما رأيك يا شيرين ؟ ألم أجد السبك والإيهام ؟



شيرين : بلى إنك لبارع فى كل شىء .

بختيشوع : سترين كيف يتم كل شىء فى هدوء وسلام .

شيرين : فى الحال ؟

بختيشوع : لا .. بل بعد بضعة أيام . لا تخافى ، سأكون حينئذ فى الإيوان عند يزدجرد .

شيرين : اسمع يا بختيشوع . لقد فكرت البارحة فى الأمر فاهتديت إلى طريقة أفضل .

بختيشوع : كيف ؟

شيرين : تعالج جرحه علاجا صحيحا حتى يبرأ منه ، فتزداد ثقة هؤلاء العرب بى وبك .

بختيشوع : لكن القوم بعثونى لنقيض ما تطلبين .

شيرين : إن هدفى وهدفهم واحد . سوف أدس السم له فيما بعد حتى لا يرتاب أحد .

بختيشوع : أنا أولى منك بذلك .

شيرين : كلا يا بختيشوع . إنه لو مات عقب رحيلك فسيرتابون بى ، وربما ينكشف لهم أمرى فلا أقدر أن أنفعكم بعد ذلك بشىء .

بختيشوع : ربما يظنون بى الظنون .

شيرين : ألم تقتنع أنت بصواب فكرتى ؟

بختيشوع : المهم ليس إقناعى أنا بل إقناع يزدجرد .

شيرين : إذا اقتنعت أنت فمن اليسير عليك أن تقنع غيرك .

بختيشوع : (**بعد صمت يسير**) والله يا شيرين إن هذا العمل لبغيض إلىّ ... فصناعتنا لإحياء الناس لا لقتلهم ، ولكن ما حيلتى فى هؤلاء القوم الذين بعثونى إليك ؟ إنى لو عصيت لعذبونى واضطهدونى واضطهدوا معى طائفة النساطرة .

شيرين : (**تصمت هنيهة كأنها تهم بأن تخبره بحقيقة ما فى نفسها ، ثم تعدل عن ذلك**) القوم معذورون يا بختيشوع ، فإنها الحرب يحل فيها ما لا يحل فى السلم . والمثنى بن حارثة هو أول من جرَّأ العرب عليهم وهو الذى قهرهم فى الميادين ، فالتخلص من حياته يعتبر كسباً كبيراً للفرس .

بختيشوع : (**ينظر إليها فى شىء من الارتياب**) إذن فسأعمل بمقتضى رأيك يا شيرين ، على أن تكون التبعة كلها عليك .

شيرين : نعم سأعطيك كتابا بذلك تحمله معك . ها هو ذا زوجى قد عاد بأخيه .

(**يدخل المثنى مع المعنى فيرحب بالطبيب الشيخ**)

بختيشوع : أرنى أين جرحك يا قائد العرب . هلم اضطجع على هذا السرير لأتمكن من رؤية الجرح جيدا .

المثنى : (**يضطجع وهو يضحك**) الطبيب كما يقولون سيد مطاع .

بختيشوع : (**يعاين الجرح**) هذا جرح قديم . عجباً كيف تركت مثل هذا الجرح دون علاج حتى اليوم ؟

المثنى : ما كان عندى وقت لذلكْ .

بختيشوع : وأعجب من ذلك كيف استطاع جسدك أن يحتمله طول هذه المدة .

المثنى : ذلك من فضل الله وبعونه وقوته .

بختيشوع : (**يفتح صندوقه ويخرج أدواته**) خذ هذا أولا .

المثنى : ما هذا ؟

بختيشوع : مخدر لتخفيف ألم المِبْضع عنك .

المثنى : لا حاجة بى إليه .

بختيشوع : إن الألم سيكون بالغ الشدة .

المثنى : لا شىء أحب إلى نفسى من الألم الشديد أن أتغلّب عليه .

بختيشوع : أخشى أن تتحرك فيضطرب المبضع فى يدى فأضرك .

المثنى : ستجدنى ساكنا لا يختلج منى عضو .

المعنى : لم لا تطاوعه يا أخى خيرا لك ؟

شيرين : ألم تقل أنت إن الطبيب سيد مطاع ؟

المثنى : سأطيعه دون حاجة إلى ما يفقدنى وعيى .

(**يعمل بختيشوع مبضعه والمعنى وشيرين يخدمان عليه**)

المعنى : (**يسند شيرين التى كادت يغمى عليها من رؤية الجرح وجراحته**) تجلدى يا شيرين .

المثنى : (**ممازحا**) لو أعطيت شيرين من ذلك المخدر لتحتمل ألم النظر إلى الجرح .

شيرين : (**متماسكة**) أليس يؤلمك يا أخى ؟

المثنى : شيئا ما كالإبرة إذ تشك طرف إصبعك .

(ينتهى بختيشوع من جراحته فيضمد موضع الجرح ويعصبه)

بختيشوع : حقا لقد كان صبرك أقوى من كل مخدر .

المثنى : انتهيت من عملك ؟

بختيشوع : نعم .. يجب أن تلزم الراحة شهرا لا تقوم فيه بأى مجهود .

المثنى : شهراً بأكمله ؟

بختيشوع : أو نصف شهر على الأقل .

المثنى : (**ممازحا**) يا هذا لعلهم أرسلوك إلى لتعطلنى عن قتالهم !

بختيشوع : (**ممازحا كذلك**) إذن فشيرين هى التى قصدت ذلك ، فهى التى استدعتنى ولولا مكانها عندى ما حضرت .

شيرين : (**مشاركة فى المزاح**) أيها الطبيب النسطورى ، أجئت لتفسد ما بينى وبين أهل زوجى ؟

المثنى : كلا يا شيرين لا يستطيع أحد أن يفسد ما بينك وبين آل حارثة أبدا .

(يغلبه نعاس مفاجئ فيسترخى جفناه ثم يستغرق فى نوم عميق)

(ينظر المعنى إلى شيرين فى قلق ، وتنظر شيرين إلى بختيشوع فى قلق كذلك)

بختيشوع : ما خطبك يا شيرين ؟ ما بالك تنظرين هكذا إلى ؟

شيرين : ما هذا الذى هبط عليه فأغمض عينيه ؟

بختيشوع : (**ينظر إليهما معا**) لا تراعا .. هذا عمل الطبيعة ، أرادت أن تريحه من الألم الشديد فأرسلت إليه هذا النعاس .

المعنى : نعاس ؟ أهذا نعاس ؟

بختيشوع : (**يضحك**) أتظنانه مات أو يموت ؟ اطمئنا .. إنه سيستيقظ بعد قليل .

الاثنان : بعد قليل ؟

بختيشوع : أجل . ما أحسبه يطول نومه لأن صاحبكم هذا لا يريد أن يستسلم لحكم الطبيعة . إنى ما رأيت فى حياتى أصبر على الألم منه . هل لك يا شيرين أن تصنعى له تلبينة فإنها تنفعه .

شيرين : عندى اللبن والعسل ولكن ما عندى البيض .

المعنى : أنا ذاهب لآتيك بالبيض . (**يخرج**)

شيرين : اصدقنى يا بختيشوع كيف رأيت جرحه ؟

بختيشوع : جرح تالف لا يرجى شفاؤه أبداً ، فإن عظام جنبه قد تسوست .

شيرين : علام إذن آلمته بمبضعك ومشاقصك وأنت تعلم أن لا فائدة ؟

بختيشوع : بلى .. سيلتئم الجرح قليلا ، ولكنه سينغر مرة أخرى بعد حين ، وتكون القاضية .

شيرين : (**تتجلد**) اسمع يا بختيشوع . عندى قول أريد أن تعيه عنى الساعة ، فربما لا تتاح لنا فرصة النجوى مرة أخرى .

بختيشوع : أنا مصغ فهاتى ما عندك .

شيرين : (**تتلفت حولها**) إذا رجعت إلى شاهنشاه ، فقل له إن الأميرة شيرين بنت الأمير باذان تنصحك بألا تغامر بغزو المدينة ، وإلا ألقيت بصفوة جيشك فى الهلكة ؛ فإن عمر

ابن الخطاب قد أعد العدة لاستئصال الجيش الفارسى فى الصحراء ، حيث حشد الجموع ونصب المكامن .

بختيشوع : ومن أين عرفت ذلك ؟

شيرين : (**تظهر الخوف والتوجس**) من كتب عمر نفسه إلى المثنى .

بختيشوع : هل من رسالة أخرى ؟

شيرين : نعم .. تحياتى تحملها إلى بهمن جاذويه . صه هذا المعنى قد عاد . (**يدخل المعنى**) وجدت شيئاً يا معنى ؟

المعنى : وجدت ثلاث بيضات . (**يناول البيضات لها**)

شيرين : متى نعطيه التلبينة ؟

بختيشوع : بعد أن تهبط وقدة الحمى .

المثنى : (**يستيقظ فزعاً وهو يقول**) يا معشر بكر بن وائل . ارفعوا رايتكم رفعكم الله لا يهولنكم مصرعى . (**تند منه صيحة توجع ولكنه يكظمها فى الحال**)

بختيشوع : إنى لأعلم يا سيدى أن الوجع شديد ؟

المثنى : إن يكن شديدا فأنا أشد منه .

(**يغلبه النعاس مرة أخرى**)

بختيشوع : صراع بين إرادة الإنسان وطبيعته . هذا رجل جبار قلما رأيت فى حياتى مثله . أئذنا لى الآن لأستريح فى خبائى .

شيرين : ألا تبقى معنا قليلا بعد ؟

بختيشوع : لا داعى لبقائى الآن . انظروا هذه الحمى الواقدة فيه إن لم تهبط من أول الليل فأخبرونى لأعوده ، وإن هبطت فأطعموه التلبينة وسوف أعوده صباح غد . (**يخرج**)

المعنى : لا أكتمك يا شيرين أننى مازلت فى قلق عليه .
شيرين : لأنه نام هذا النوم العميق ؟
المعنى : أما سمعته يتمثل بكلمات مسعود حين مات ؟
شيرين : ذلك من حدبه على مسعود وشدة حزنه لوفاته .
المعنى : بل هو يحس قرب النهاية .
شيرين : يا حبيبى لم نخوض فيما لا نعلم ، وننكر ما قاله سيد أطباء العصر ؟
المعنى : انظرى .. هذه سلمى مقبلة .
شيرين : يا ويلتا ماذا نقول لها الآن ؟
المعنى : يجب أن نخبرها بالحقيقة .

(تدخل سلمى فتعجب إذ ترى زوجها راقدا على السرير)

سلمى : ويل لك يا مثنى . تترك امرأتك تنتظرك فى خبائها وتنام هنا عند أخيك .

(تحاول إيقاظه)

شيرين : كلا لا توقظيه يا سلمى .. دعيه يسترح قليلا فى نومه .
سلمى : ليس هذا وقت نوم المثنى ولا مكانه .
المعنى : جسى جبهته .
سلمى : (**تجس جبهته**) وى ! إنه محموم . كيف أصابته هذه الحمى وأنا لا أعلم ؟
المعنى : لا تراعى . هذه حمى عارضة وتزول .
سلمى : عارضة أو غير عارضة .. كيـــف لم تخبرونى بذلك وتركتمونى أنتظر ؟

المعنى : سأشرح لك الآن كل شيء .. لقد أجريت لزوجك جراحة .

سلمى : جراحة ؟

المعنى : نعم .. أجراها له طبيب فارس المشهور بختيشوع .

سلمى : وأنا لا أعلم ؟

المعنى : هو الذى حرج علينا أن نخبرك .

سلمى : كلا لا أصدق أن المثنى يكتم عنى شيئا .

المعنى : هل كنت تعلمين شيئا عن جرحه القديم ؟

سلمى : أى جرح ؟

المعنى : الذى جرحه يوم الجسر .

سلمى : ذاك قد اندمل من زمن بعيد .

المعنى : الجرح لم يندمل قط ، وإنما أوهمنا ذلك .

سلمى : أوهمنى أنا وحدى . أما أنتما فلم يخف عنكما أمره . والله لا أغفر للمثنى هذه السيئة أبدا . يكتم عن زوجته ما لم يكتمه عن زوجة أخيه !

شيرين : كلا يا سلمى ، بل كان قد كتم أمر هذا الجرح عنا جميعا ولم يعلم به غير مسعود رحمه الله . وهو الذى أخبرنى قبل أن يموت وأوصانى أن ألتمس له الأطبة .

سلمى : وكتمته عنى يا شيرين بعد ما علمت ؟

المعنى : قلت لك إنه حرّج علينا أن نخبرك .

شيرين : خشيةَ أن تقلقى عليه ، وهو يحتمل كل شىء إلا أن تألمى له أو تقلقى عليه . ويحك يا سلمى لقد كنت تنكرين علينا أنا

والمعنى إغراقنا فى الحب ، فإذا أنتما أشد منا إغراقا . لقد ظهر الآن أن حب المثنى لك يفوق حب المعنى لى أضعافا مضاعفة .

المعنى : (**مداعبا**) لأن حب سلمى للمثنى يفوق حبك لى أضعافا مضاعفة .

شيرين : إنك لا تكاد تشكو وجعا حتى تصدّع رأسى به ، لأواسيك وأدللك .

المعنى : لا تظلمينى يا شيرين ، فإنى أفعل ذلك لأن مذهبى ألّا يكون بين الزوجين المتحابين سر يكتمه أحدهما عن الآخر .

شيرين : لست أنكر أن هذا جميل ، ولكن أجمل منه أن تكتم شكواك عنى خشية أن تؤلمنى . هذا ما يفعله المثنى ، وأين أنت من المثنى ؟

صوت : (**ينادى من الخارج**) يا معنى بن حارثة . يا معنى بن حارثة .

المعنى : لبيك يا بشير .

بشير : هل تعلم أين ذهب المثنى أخوك ؟

المعنى : هو هنا عندى ، ادخل يا بشير .

بشير : هذا رسول من أمير المؤمنين معى .

الجميع : رسول من أمير المؤمنين .

المعنى : ادخل ومن معك .

(يدخل بشير ومعه الرسول)

المثنى : (**يفتح عينيه**) أتقولين رسول أمير المؤمنين ؟

الجميع : نعم .

المثنى : (**ينهض من فراشه كأنما نشط من عقال**) ماذا وراءك يا رسول أمير المؤمنين ؟ بشّرنا .

الرسول : أبشر يا ابن حارثة ، فقد كتب أمير المؤمنين إلى عماله فى جزيرة العرب ألا يدعوا بطلا ولا فارسا ولا شاعرا إلا أرسلوه ، وقد أخذت الوفود تنثال عليه بأبطالها وفرسانها وخطبائها وشعرائها .

المثنى : (**فرحا**) لأضربن ملوك العجم بملوك العرب . حيا الله ابن الخطاب .

الرسول : أجل لقد بر بقسمه هذا حتى ضاقت المدينة بالوفود ، فأنزلهم أمير المؤمنين فى صِرار فصارت صرار مدينة من الخيام .

المثنى : اللهم لا تمتنى حتى يجىء جيش أمير المؤمنين ، وقائد أمير المؤمنين .

(**ستار**)

المشهد الثالث

في صرار على ثلاثة أميال من المدينة في طريق العراق ، حيث أنزل بها عمر وفود العرب التي لبت نداءه من كل ناحية حتى صارت كأنها مدينة من الخيام ، ثم لحق بهم عمر فضربت له بها خيمتان متصلتان احداهما لأهله والأخرى يستقبل فيها الناس .

عند رفع الستار نرى أمام الخيمة اليمنى رجلين جالسين كأنهما ينتظران مجيء عمر ، وهما سلمان الفارسي وأبو طلحة الأنصاري وهما يتحدثان .

سلمان : ماذا أبطأ بأمير المؤمنين يا أبا طلحة ؟ لقد قال لي اسبقني يا سلمان إلى خيمتي وأنا على أثرك .

أبو طلحة : وأنا أيضاً قال لي مثل ذلك .

(يظهر من خلفهما رجل طوال أحمر ، إحدى عينيه أوسع من الأخرى وهو يتسلل في مشيته في خطوات مريبة)

سلمان : (**يلمحه**) جدّ بن قيس ! ويلك ألا تسلّم علينا يا رجل ؟

الجد : كنت أوشك أن أسلم يا أخا الفرس .

أبو طلحة : (**يلتفت إليه**) لا نريد سلامك . ماذا جاء بك هنا يا .. جد بن قيس ؟

الجد : ماذا جاء بى إلى صرار ؟

أبو طلحة : نعم .

الجد : لأجاهد .

أبو طلحة : لتجاهد ؟

الجد : سبحان الله ! هل الجهاد مقصور عليك وعلى أمثالك ؟ ألسنا نحن كذلك من المسلمين ؟ والله لأخبرن أمير المؤمنين بأنك تصد الناس عن الجهاد .

أبو طلحة : أخبره بما شئت . أتظنه يصدقك ويكذبنى ؟ بل أنتم تكرهون الجهاد فى سبيل الله وتثبطون عنه .

الجد : منذا تعنى بأنتم ؟

أبو طلحة : أعنى المنافقين .

الجد : (**كاظما غيظه**) لقد بلغ بنا الهوان معشر الأنصار أن صار أحد شرفائنا حاجبا من الحجاب .

أبو طلحة : ذلك شرف لى يا عدو الله وعدو نفسه .

الجد : والله لا خير فينا معشر الأنصار بعد سعد بن عبادة .

أبو طلحة : صه .. لا تذكر سعد بن عبادة ، فقد كان مسلما صادق الإيمان وليس منافقا مثلك .

الجد : ولذلك اهتضمت قريش حقه ثم قتلته ، وقالت قتلته الجن !

أبو طلحة : (**مغضبا**) والله لئن لم تكف عن أكاذيبك وأراجيفك لأهشمنَّ الذى فيه عيناك .

الجد : ولا تخشى أن يقتص منك عمر ؟

أبو طلحة : لا أبالى . (**يتهدده بجمع يده**)

سلمان : (**يحول بينهما**) لا تفعل يا أبا طلحة . لا يغلبن جهلك حلمك .

الجد : أرأيت أصحاب الأحلام الراجحة ؟ والله إنه لمن نكد الدنيا أن يقضى هؤلاء الأجـــلاف على ملك كسرى ومجد أردشير !!

سلمان : (**يغضب**) ويلك أتظن هذا القول يرضينى منك ؟ ألست أنت الذى نزل فيه قوله تعالى : ﴿ ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنّى ، ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾

الجد : (**يتغير وجهه**) خبرنى يا سلمان . هل بنات فارس يُخشى علىّ منهن مثل بنات بنى الأصفر ؟

سلمان : (**ساخرا**) بل هن أشد فتنة . ارجع إلى دارك بالمدينة خيرا لك .

الجد : هيهات . كان ذلك فيما مضى إذ كنت فى عنفوان الشباب . أما اليوم فلا خوف على من بنات كسرى ولا من بنات قيصر .

أبو طلحة : (**يظهر فى وجهه الجد**) أتمضى عنا يا أخا النفاق أم ... ؟

الجد : بل أمضى عنكم جميعا . لقد فتنتم هذا الفارسى حتى جعلتموه ينسى قومه وملك قومه .

سلمان : اغرب عنا .

(**يغيب الجد بن قيس خلف الخباء مظهرا الانصراف**)

أبو طلحة : آه لو لم ينهنا رسول الله عن قتل هؤلاء !



سلمان : حتى لا يقال إن محمدا كان يقتل أصحابه .

أبو طلحة : إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار .

سلمان : ذلك جزاؤهم عند ربهم والله يتولى حسابهم .

(تسمع حركة من بعيد وهتافات مختلطة)

أبو طلحة : انظر . هذا أمير المؤمنين قد أقبل ومن حوله الناس .

سلمان : ماذا يريدون منه ؟

أبو طلحة : لا أدرى .

(يدخل عمر فيقف معه أبو طلحة وسلمان أمام الخيمة يواجهون الجموع التى لا يظهر منها على المسرح إلا قليل)

أصوات : — سر يا أمير المؤمنين وسر بنا معك !

— لا يغلب جيش أنت أميره يا عمر !

— أنت أمير الجيش لا نريد غيرك !

— أيريد كسرى أن يغزو المدينة ؟ قُدنا إليه فلنفتحن إيوانه عَنوة !

عمر : **(يومئ بيديه أن اسكتوا فيسكتون)** يا معشر المسلمين ، إنى ما نزلت إليكم هنا بأهلى إلا من أجل أن أسير بكم معى . ولكن الأمر شورى بين المسلمين ، فأنا مقيم على رأيى فى المسير بنفسى إلا أن يأتينى رأى أفضل ، فانصرفوا إلى رحالكم يرحمكم الله . **(ينفض الناس وتهدأ أصواتهم)** **(لأبى طلحة وسلمان)** مكانكما سأدخل إلى أهلى ثم أعود . **(يخرج)**

(ترفع الستارة عن الخيمة الثانية فنرى عمر يدخل عند زوجته وابنته حفصة أم المؤمنين)

عمر : أنت هنا يا أم المؤمنين ؟ ماذا جاء بك ؟

حفصة : أحببت أن أراك يا أمير المؤمنين وأودعك قبل مسيرك .

عمر : مرحبا بك يا بنية . أسمعتما ماذا يقول القوم ؟

عاتكة : إنهم لا يعلمون أن بقاءك فى المدينة خير وأفضل .

عمر : عاتكة !

عاتكة : دعك من هؤلاء العامة فإنهم لا يكادون يفقهون حديثا .

عمر : **(غاضبا)** ويلك ما تقولين ؟

عاتكة : هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ قد حضروا إليك من المدينة ، فاجمعهم واستشرهم فى أمرك ، فإن أشاروا عليك جميعا بالمسير فتوكل على الله .

عمر : إنما قلت ذلك لأنك قد علمت أن جُلَّهم ينصحوننى بعدم المسير .

عاتكة : يا أمير المؤمنين . ماذا يدعونى إلى تثبيطك وأنا معك حيثما تكون ؟

عمر : ماذا تقولين أنت يا حفصة ؟

حفصة : أنت أعلم يا أبى بما ولاك الله من أمر المسلمين ، فافعل ما شرح الله له صدرك ، ولا تتردد فيتردد الناس .

عمر : **(راضيا)** أما إنك لقد نصحت يا بنية فأبلغت .

عاتكة : لو أنصفت يا ابن عم لأخذت برأيى ، فأنا التى سأسير معك لا أم المؤمنين .

عمر : من أجل ذلك اتهمت رأيك . (**يراها مكتئبة**) هونى عليك يا عاتكة فسيكتب الله لك بكل مشقة تتجشمينها حسنة . وهؤلاء العرب قد جاءوا بنسائهم معهم فستأنسين بهن وتعلّمينهم من أمور دينهن .

(**يدخل أسلم غلام عمر**)

أسلم : يا أمير المؤمنين هؤلاء صحابة رسول الله يستأذنون عليك .

عمر : ائذن لهم . (**يعود عمر إلى الخيمة الأولى ويسدل الستار على الخيمة الثانية**)

(**يدخل عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسلمان الفارسى ، ويبقى أبو طلحة حارسا على الباب**)

الجماعة : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليكم السلام ورحمة الله .. وأنت يا أبا الحسن معهم ؟ فلمن تركت المدينة وقد استخلفتك عليها ؟

على : يا أمير المؤمنين إنى عائد إليها من يومى هذا ، وإنما أقبلت مع هؤلاء لنشير جميعا عليك .

عمر : وأنت يا طلحة كيف عدت إلىّ وقد قدَّمتُك فيمن معك لتكونوا طليعة ؟

طلحة : يا أمير المؤمنين أُرسِل فى طلبى من الأعوص ، فتركتُ بها رجالى يقومون بمهمتهم وحضرت .

عمر : منذا أرسل فى طلبك ؟

ابن عوف : أنا يا أمير المؤمنين ، وقد أرسلت أيضا فى طلب سعد بن مالك من ديار نجد ، ولكنه لم يحضر بعد .

عمر : أكل هذا يا ابن عوف لتصدنى عن سبيل الله ؟

ابن عوف : يا أمير المؤمنين إنك لتجاهد فى سبيل الله أينما كنت . ولو كنت أريد أن أحملك حملا على عدم المسير لما أرسلت فى طلب طلحة فهو يرى رأيك فى ذلك ، ولكنى أردت أن نجتمع بك نحن الخمسة لتسمع منا ونسمع منك ، حتى تسير إذا سرت وأنت على بصيرة ، وتقيم إذا أقمت وأنت على بصيرة ؟

على : هذا هو الرأى يا أمير المؤمنين .

عمر : (**لغلامه**) يا أسلم ادع لى المعنى بن حارثة . (**يخرج أسلم**) ويحكم ! أبعد ما أعلنت مسيرى فى الناس واستخلفتك يا علىّ على المدينة ، وجعلت ابن عوف على ميمنة الجيش والزبير على الميسرة وطلحة على الطلائع ، تجيئون اليوم لتثبطونى ؟

عثمان : إنك انسقت يا أمير المؤمنين مع عامة الناس ، ومع هؤلاء العرب الذين وفدوا عليك من مختلف أرجاء الجزيرة ، فأخذت برأيهم وتركت رأينا .

عمر : لأنى وجدت رأيهم أصوب من رأيكم وأرجح .

الزبير : وقد فاجأتنا يا أمير المؤمنين فما شعرنا إلا وأنت فى صرار .

عمر : حتى أقطع عليكم وعلى نفسى سبيل التردد .

على : يا أمير المؤمنين إن بعض التردد من الحكمة .

عمر : ذلك قبل أن تعزم ، فإذا عزمت فتوكل على الله .

على : إن كنت قد عزمت يا أمير المؤمنين فإننا لم نعزم بعدُ فى الأمر .

(يدخل المعنى بن حارثة)

عمر : مرحبا بالمعنى بن حارثة . هلم اجلس لتسمع منا ونسمع منك . (**يجلس المعنى أمام عمر فى شىء من التهيب**) هل يرضيك يا سلمان أن تستيقظ ذات صباح ، فتجد جنود يزدجرد تهاجم مدينة رسول الله ﷺ وتقذفها بالمجانيق ؟

سلمان : لا والله يا أمير المؤمنين ، يأبى الله ذلك والمسلمون .

عثمان : ما أحسب إلا أن قد بولغ فى تهويل هذا الخطر ، فما إخال يزدجرد يريد حقا غزو المدينة .

سلمان : وما يمنعه من ذلك يا ابن عفان ؟ لقد أراد سلفه كسرى أبرويز القضاء على هذا الدين ، بالقبض على رسول الله ﷺ وسوقه أسيرا إليه ، ولم يكن بينهم وبين المسلمين إذ ذاك حرب بعدُ فكيف اليوم ؟

ابن عوف : إن أهل فارس لا قِبَل لهم بحرب الصحراء ولا صبر لهم عليها ، ولن يغامروا بذلك إلا إذا فقدوا صوابهم .

سلمان : يا ابن عفان قلما يبقى عند الحرب صواب .

عثمان : لعلهم أشاعوا هذا الخبر لترويع المسلمين .

عمر : ما كان ليخفى ذلك على المثنى بن حارثة ، وليس من مصلحتهم أن ينشروا هذا الخبر .

ابن عوف : لو كان صحيحا لبالغوا فى كتمانه ، ولما تسرب إلى المثنى .



عمر : إنكم لا تعرفون مثنى بنى شيبان . هو كخالد بن الوليد لا ينام ولا ينيم .

عثمان : هم أجبن من أن يخترقوا بادية لا كلأ فيها ولا ماء .

سلمان : إن الذى يجد العزم يجد السبيل . إياكم أن تظنوا أن لا سبيل إليه . فإن لديهم من الخيل والبغال والحمير ما يستطيعون به أن يحملوا ما يشاؤون من الماء خلال مسيرهم فى البادية ، وإذا لم يقف لهم أحد على التخوم فليس ببعيد أن يصلوا إلى المدينة فيكون لنا يوم أشد وأخطر من يوم الأحزاب .

عثمان : لو قيل لنا إن الروم ستغزونا لصدقت ، فما زالت غسان وتنوخ وعك تقاتل معهم ، ففى وسع الروم أن يغزونا بهم . أما الفرس فلن يجدوا من عرب الحيرة من ينتدب لهذا الأمر ، بعد ما قضى عليهم خالد وخضد شوكتهم وأجرى من دمائهم النهر .

عمر : ما تقول فى ذلك يا معنى بن حارثة ؟

المعنى : يا أمير المؤمنين إن يزدجرد لن يعتمد على هؤلاء العرب فى غزو المدينة ، بل على الديلم وبعض الفرس ، ولن يعجزه ذلك بعد أن يخترقوا الحدود التى نقف تجاهها على طول نهر الفرات .

عمر : أليس فى إمكان المثنى بالجند الباقى معه ، أن يثبت لهم ويصدهم ؟

المعنى : يا أمير المؤمنين لو كانوا سيأتون من وجه واحد لأمكنه ذلك ، ولكنهم ربما يأتون من وجوه مختلفة ، فكيف يقف

لهم جيشنا الصغير المتفرق على طول النهر من أعلاه إلى أسفله ؟ هذا يا أمير المؤمنين ما يكرب المثنى ويجعله يلح عليك فى التعجيل بإرسال المدد .

عمر : لبيك يا مثنى بن حارثة ، إنى سائر بالجيش وشيكا إليك !

سلمان : يا أمير المؤمنين بقاؤك فى المدينة هو الرأى .

عمر : عجبا لك . ألا تحب يا أبا عبد الله أن ترافقنى إلى ديار قومك ، وتكون أنت الداعية فى هذه الحملة ؟

سلمان : يا أمير المؤمنين إنى ماض فى هذا الجيش لفتح فارس سواء تحت إمرتك أو إمرة غيرك ، لعل الله أن يهدى قومى إلى الإسلام فأفوز فوزا عظيما . ولكنى أرى أن ترسل غيرك وتبقى أنت فى المدينة تدبر وتنجد وتغيث .

عمر : طلحة ! ألا تقول شيئا ؟

طلحة : إنهم يعرفون رأيى يا أمير المؤمنين .

عمر : فجادلهم به عنى .

طلحة : والله لأجادلنهم بهدى رسول الله ﷺ . يا قوم أليس محمد ابن عبد الله خيرا من عمر بن الخطاب ؟ (**يدهش القوم**)

عمر : ويلك يا طلحة أهذا سؤال يلقى ؟

طلحة : أجيبونى !

الجماعة : بلى .

طلحة : ألم يخرج إلى تبوك بنفسه فى حمارة القيظ لما هددتنا غسان ؟

الجماعة : بلى .

طلحة : ألم تكن تلك الغزوة أعظم غزواته مشقة على المسلمين ؟

الجماعة : بلى .

طلحة : أما كان فى وسعه أن يجد فى أصحابه من يقود الجيش مكانه ؟

الجماعة : بلى .

طلحة : وأنتم تعلمون أن هذا التهديد الذى نواجهه اليوم من الفرس أعظم من تهديد غسان .

الجماعة : نعم .

طلحة : ثم لا ترون بأسا فى أن تثبطوا أمير المؤمنين عن السير بنفسه ؟

عمر : بوركت يا طلحة ، لقد أتيتهم بحجة لا يستطيعون لها دفعا .

على : يا أمير المؤمنين ، لو شئت لقلت إن هذا شىء وما فعله رسول الله ﷺ شىء .

عمر : أبا الحسن قد شرح الله صدرى للمسير ، فلا تحاول أن تصرفنى عنه .

على : يختار الله ما يشاء .

(يدخل أسلم)

أسلم : سفيان بن عوف يا أمير المؤمنين .. رسول أبى عبيدة من الشام .

عمر : أين هو ؟ أدخله .

(يدخل سفيان بن عوف)

سفيان : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله . ما وراءك يا سفيان ؟

سفيان : بلاء وشدة يا أمير المؤمنين .

عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ أفصح .

سفيان : هرقل يا أمير المؤمنين قد جمع الجموع وحشد الحشود وأنزل الجيوش من السفن لطردنا من الشام ، ثم لغزو المدينة بعد ذلك .

(يناوله كتابا مختوما)

عمر : انطلق يا أسلم فادع لى سعيد بن عامر . **(يخرج أسلم ويفض عمر الكتاب ويتصفحه)** لا حول ولا قوة إلا بالله . كأنما تواطأ كسرى وقيصر على خطة واحدة .

(يظهر الجد بن قيس من مختبئه خلف الخيمة ، لائذا بالفرار جهة يمين المسرح)

سلمان : لا شك عندى يا أمير المؤمنين أن ذلك قد وقع .

الزبير : فأين تسير يا أمير المؤمنين ؟ إلى العراق أم إلى الشام ؟

عمر : لا إلى العراق ولا إلى الشام . الآن وجب أن أبقى فى المدينة .

الجماعة : الحمد لله .

عمر : أشيروا على الآن منذا أؤمره على جيش العراق ؟

طلحة : إن شئت يا أمير المؤمنين كفيتك ذلك .

عمر : أنت جدير بها يا طلحة لولا حدة تغلبك ، وهذه حرب لا يصلح لها إلا مُساوِر مُداور حليم مكيث .

طلحة : إذن فعليك بعبد الرحمن بن عوف .

عمر : عبد الرحمن لا أستغنى عن وجوده معى .

الزبير : ولّها ابن أبى طالب يا أمير المؤمنين .

عمر : كلا يا زبير لا أستطيع أن أستغنى عن على كذلك . وإن أهل فارس أهل كيد وخديعة . فلا يصلح لهم لا هو ولا أنت .

على : لم لا تجعل الإمرة يا أمير المؤمنين للمثنى بن حارثة ، فهو ابن بجدتها وأبو عذرتها ؟

عمر : صدقت .. لقد أبدى والله من البلاء والخير والنصح ما لا مزيد عليه .

المعنى : كلا يا أمير المؤمنين لا تفعل .

عمر : لمه ؟

المعنى : (**يغالب عبرة تريد أن تفيض**) .... ؟

عمر : ويحك إنى أراك تبكى . ما خطبك ؟

المعنى : إن به جرحا تالفا يا أمير المؤمنين أصابه يوم الجسر .

عمر : (**فى أسى**) يوم الجسر ؟

المعنى : نعم .

عمر : وبقى الجرح ممدا منذ ذلك اليوم ؟

المعنى : لقد ظل صابرا عليه زمنا طويلا يكتمه حتى عن أهله وإخوته ، فلم نعلم به إلا آخر الأمر . وإنه إنما يستحثك ويستعجلك يا أمير المؤمنين خشية أن توافيه المنية قبل أن يصل إليه جيشك وقائدك .

عمر : ألم يرشح أحدا لإمرة الجيش مكانه ؟

المعنى : لا يا أمير المؤمنين ، وإنما يرجو منك أن تختار بطلا مجربا من صحابة رسول الله ، تجتمع كلمة الجيش عليه .

عمر : (**ينظر فى وجوه الحاضرين كأنه يلتمس رأيهم فى اختيار أمير الجيش**) رب يسر وأعن .

ابن عوف : قد وجدت لك الرجل يا أمير المؤمنين .

عمر : من ؟

ابن عوف : الليث عاديا .. سعد بن أبى وقاص .

الجماعة : إى والله يا أمير المؤمنين ، ليس لها غير سعد .

عمر : صدقتم وأصبتم . هو والله الغلام الحَزوَّر !

(**يدخل أسلم**)

أسلم : يا أمير المؤمنين قد حضر سعيد بن عامر وسعد بن أبى وقاص .

عمر : (**كالمتفائل**) سعد وسعيد . نصر إن شاء الله غير بعيد .

(**يدخل سعد بن أبى وقاص وسعيد بن عامر**) (**لسعد**)

مرحبا بالغلام الحَزوَّر .

سعد : صلي الله على قائلها وسلم . أى شيء ذكّرك بها يا أمير المؤمنين الساعة ؟

عمر : التمست لجيش العراق أميرا فأجمع رأينا عليك .

الجماعة : (**ينظر إليهم سعد**) أجل أنت لها يا سعد .

سعد : ألهذا استقدمتنى يا عبد الرحمن ؟

ابن عوف : لا يا سعد ، أردتك لأمر وأراد الله لك أمراً خيراً منه .

عمر : وأنت يا سعيد بن عامر .

سعيد : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : ما فعل الجند الذين جمعتهم من مكة والطائف ؟

سعيد : هُم بأحسن حال يا أمير المؤمنين من التعبئة والأهبة .

عمر : فأدرك بهم أبا عبيدة فإنه فى محنة .

المعنى : يا أمير المؤمنين . إن العراق أولى بذلك . بحسب أهل الشام مَنْ عندهم من القواد العظام والجنود الكثر ، ويكفى أن فيهم خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبا عبيدة . أما العراق فليس به أحد غير المثنى ، والمثنى مريض ولن يطول بقاؤه .

سلمان : لقد صدق ابن حارثة فيما قال . العراق اليوم قبل الشام .

عمر : رويدك يا سلمان . إن المثنى قد خرج بالمسلمين إلى البادية مما يلى أرض العرب فلا خوف عليهم . ولكن أبا عبيدة مقيم بالشام فى أقربها من بلاد الروم فى الشمال ، فالخطر على المسلمين هناك أشد .

المعنى : يا أمير المؤمنين إن دولة الروم لم يجد فيها جديد ، فهرقل اليوم هو هرقل أمس ، أما دولة الفرس فقد انبعثت من جديد بتولية يزدجرد .

عمر : لا تخف يا معنى بن حارثة . إنى سأحبط ما عقدوا عليه عزمهم من حربنا فى وقت واحد ، وأعمل على جعل معركة الشام قبل معركة العراق ، وبذلك نرسل الأمداد من الشام إلى العراق فوق الجيش الكبير الذى سيقوده سعد بن أبى وقاص .

سعيد : متى تريدنا أن نفصل يا أمير المؤمنين ؟

عمر : غدا إن استطعتم أو بعد غد .

سعيد : فغدا إن شاء الله . ائذن لى يا أمير المؤمنين لأوذنهم بذلك .

(يخرج)

(يدخل أنس بن مالك)

عمر : ما خطبك يا أنس بن مالك ؟ دخلت دون أن تستأذن أو تسلم ؟

أنس : يا أمير المؤمنين أدرك الناس قبل أن تشيع فيهم الفتنة !

عمر : أفصح ويلك .

أنس : لقد شاع بينهم ألَّا حق لنا فى قتال فارس والروم ، وأنَّا بذلك نستعديهم على العرب ونحملهم على التحالف لإبادتنا وتخريب بلادنا .

عمر : أين سمعت ذلك يا أنس ؟ فى المدينة ؟

أنس : بل هنا يا أمير المؤمنين فى صرار .

عمر : قاتل الله المنافقين لا ينسون عداوتهم للإسلام أبدا . يا أسلم مرهم فلينادوا الصلاة جامعة .

(يخرج أسلم)

أبو طلحة : يا أمير المؤمنين هذا من عمل المنافق الجد بن قيس .

عمر : أهو هنا فى صرار ؟

أبو طلحة : أجل وكان منذ قليل يحوم حولنا يتلصص ويتجسس .

صوت : (**يسمع من بعيد**) الصلاة جامعة ! . الصلاة جامعة !

(تسمع حركة مجىء الناس إلى الرحبة التى أمام الخيمة)

أسلم : (**يدخل**) قد اجتمع الناس يا أمير المؤمنين .

(ينهض عمر ومن معه فيقفون أمام باب الخيمة يواجهون الناس)

عمر : (**صوته**) أيها الناس . ما شيء بلغني أنه ذاع فيكم وشاع بينكم مما يوجب الوهن ويورث الهلع ؟ تقولون كيف نحارب كسرى وقيصر ؟ كأنما لا تعلمون أن الله أكبر من كسرى وقيصر . ويحكم أفتظنون أنهم تاركونا لو تركناهم ؟ إن هذا الدين ليس للعرب وحدهم بل للبشر كافة . وإن ملوك الأرض ليخافون من هذا الدين أن يثلّ عروشهم ويسقط تيجانهم ، ويحرر عبيدهم المستضعفين فيهم ، فلن يقر لهم قرار حتى يقضوا عليه . وإني لأعلم أن بينكم منافقين يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلّبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . وإني والله لأعرفهم بأسمائهم ، ولولا أن النبي ﷺ امتنع عن قتلهم حتى لا يقال إن محمدا كان يقتل أصحابه لقتلتهم . فاقتلوهم يا معشر المسلمين بالإعراض عنهم وعدم الإصغاء إلى كلمات الشيطان من أفواههم ، يموتوا من الغيظ دون أن تتلوث أيديكم بدمائهم . أيها الناس . إن الله ابتعث نبيكم محمدا من بين ظهرانيكم في الحجاز لحكمة طواها في علمه ، ولو شاء لبعثه في بلاد فارس والروم عند مساقط الأمطار ومجاري الأنهار ، والله أعلم حيث يجعل رسالته . أيها الناس إن الحجاز ليس لكم بدار إلا على النُجعة . ولا يقوى عليه

أهله إلا بذلك . أين الطُرّاء المهاجرون عن موعود الله ؟ سيروا فى الأرض التــى وعــدكم الله فى الكتــاب أن يورثكموها ، فإنه قال ليظهره على الدين كله ، والله مُظهرٌ دينه ومُعِزٌّ ناصِرَه ومُول أهلَه مواريثَ الأمم . أين عباد الله الصالحون ؟

(ستــار)

المشهد الرابع

بدار الإمارة فى حمص . أبو عبيدة وخالد بن الوليد ومعاذ بن جبل .

أبو عبيدة : ماذا نكتب الآن لأمير المؤمنين ؟

خالد : لا تكتب لأمير المؤمنين شيئا حتى نتفق أولا على الخطة .

أبو عبيدة : هذا رسوله سفيان بن عوف ينتظر جوابنا ، ولا نستطيع أن نؤخره فنغضب أمير المؤمنين .

خالد : فاكتب إليه إذن بأنك اتبعت الخطة التى اقترحتها أنا .

معاذ : بالانسحاب من حمص ؟

خالد : ومن شيزر وحماة ، ومن بعلبك ودمشق ، ومن كل مدينة حتى نجتمع جميعاً فى الجنوب بالبلقاء على تخوم أرض العرب .

معاذ : كيف نخلى مدنا ما خضعت لنا إلا بعد قتال طويل ؟

خالد : يا معاذ بن جبل إننا لا نريد المدن ولكن نريد النصر .

معاذ : أبالتخلى عن مواقعنا لعدونا ننتصر عليه ؟

خالد : نعم إذا كان يرى ذلك من يعرف أسرار الحرب ، كما تعرف أنت أسرار الفقه !

أبو عبيدة : إننا لا ننازعك فى ذلك يا أبا سليمان ، ولكن جواب أمير المؤمنين كما ترى يأمرنا بمناجزة الروم والإسراع فى ذلك ما أمكن ، بغية المباعدة بين موعد هجومهم وموعد هجوم الفرس .

خالد : يا أمين هذه الأمة إنى قرأت كتاب أمير المؤمنين ففهمته ، وقد أقمت نفسى مقام من يدير الحرب فى الميدانين معا فى العراق وفى الشام ، كما فعل أمير المؤمنين ، ولذلك أشرت عليكم بهذه الخطة .

معاذ : سبحان الله ! ألا ترى أن انسحابنا إلى الجنوب سيؤخر التحامنا بالروم إلى حين ، وأمير المؤمنين يحثنا على التعجيل ؟

خالد : لا يا ابن جبل . إن ذلك سيطمع الروم فينا فيسرعون للقائنا ، فنفرغ منهم قبل أن يلتحم إخواننا فى العراق بعدوهم . إنى أعرف واديا على البلقاء لئن استطعنا أن نستدرج جموع الروم إليه ، لنقبرنهم فيه .

معاذ : أى واد تعنى ؟

خالد : عند نهر اليرموك ، إنى لأتخيله الساعة وأتصور مواقعنا ومواقعهم .

أبو عبيدة : تتخيله قبل أن يقع فيه شىء ؟

خالد : ما من مكان مررت به إلا تخيلت أننى سأقاتل فيه ذات يوم ، فأختار لنفسى أحسن موقع فيه .

معاذ : أوَقد اخترت الموقع الأحسن فيه ؟

خالد : نعم .

معاذ : وما يدريك ألا يسبقك الروم إليه ؟

خالد : إنما يسبقنا الروم إليه إذا عرفوا سر خطتنا . إن علينا أن نجعلهم يظنون أننا خشينا جموعهم ، فانسحبنا من أرض الشام فارين إلى تخوم بلادنا .

معاذ : وكيف تضمن أن يظنوا ذلك ؟

خالد : إذا رأونا نخلي هذه المدن الكبيرة التي فتحناها بشق الأنفس دون سبب ، فلا ريب أنهم سيظنون أن الخوف هو الذي حملنا على الانسحاب .

أبو عبيدة : (**معجبا**) لله أنت يا أبا سليمان ، ما أبعد نظرك !

خالد : وافقت على الخطة ؟

أبو عبيدة : وافقت يا أبا سليمان ، بيد أني أخشى ألا يوافق أمير المؤمنين على ذلك .

معاذ : لا شك عندي أن أمير المؤمنين لن يوافق .

خالد : (**محتدا**) أمير المؤمنين ! أمير المؤمنين ! فليحضر أمير المؤمنين بنفسه وليقد الحرب كما يشاء !!

معاذ : إنك تعرف شدته يا أبا سليمان .

خالد : والله لو كان أمير المؤمنين هنا عندي لكان إقناعه أيسر عليّ من إقناعكما . اكتب إليه يا أبا عبيدة هذا رأي خالد بن الوليد وخلاك ذم ، أو اكتب إليه إن شئت أني سحبت الجنود من هذه المدن ، دون علمك ورأيك ، فلن يستطيع أن يعزلني مرة ثانية !!

أبو عبيدة : (**فى رقة**) كلا يا أبا سليمان ، بل سأكتب إليه إنه رأيك ، وإننى اقتنعت به ووافقت عليه .

خالد : إذن والله يا أبا عبيدة لنضربن الروم ضربة لا يقومون بعدها أبــدا .

(ستــار)

المشهد الخامس

فى دار الإمارة بدمشق حيث ينزل أبو عبيدة .
(أبو عبيدة وعنده رومانوس)

رومانوس : كلا لا تراجعني يا أبا عبيدة . لقد والله خاب ظني فيكم .

أبو عبيدة : (**مبتسما**) يا أبا الروم أمن أجل أننا رأينا رأيا لا توافقنا أنت عليه ؟

رومانوس : (**فى حماسة**) ليته كان رأيا فحسب ، إذن لهان الأمر ؛ ولكن هذا سلوك له ما بعده. لقد أطرتم كل ما بثثموه فى قلوب الروم من الرعب ، وزعزعتم كل ما كان لكم فى نفوس أهل البلاد من ثقة وطمأنينة .

أبو عبيدة : ويحك يا أبا الروم ، أوَ كان يبقى لنا شيء من ذلك لو أحاطت بنا جموع هرقل ، فحاصرتنا فى المدن وحالت بيننا وبين كل مدد يأتينا من أمير المؤمنين ؟

رومانوس : وماذا ينفعكم المدد إذا أخليتم هذه المدن ، وهى قلاع حصينة فى أيديكم وقلوب أهلها معكم ؟

أبو عبيدة : إن كانت قلوب أهلها معنا ، فستبقى كذلك حين نعود إليها بعد النصر .

رومانوس : بعد النصر ! تتركون النصر وهو بين أيديكم اليوم ، وتطمعون فيه غدا ؟!

أبو عبيدة : سل خالد بن الوليد يا أبا الروم لعله يستطيع أن يقنعك بشيء .

رومانوس : قد سألته فلم أجد عنده شيئا . لقد خاب ظنى فيك وفيه وفيكم جميعا .

أبو عبيدة : فيم يا أخا الروم ؟

رومانوس : إنى على قرب عهدى بالإسلام لأعلم أن هذا يخالف روح الإسلام . إن الذى يقول لا إلـه إلا الله لا ينبغى أن يخاف جموع كسرى ولا جموع هرقل . وبهذه الروح جئتم أنتم فانتصرتم فى كل معركة خضتموها مع عدوكم ، فما الذى غيّركم اليوم ؟ تخشون أن يُحاط بكم ويُحال بينكم وبين مدد أمير المؤمنين ، وتخشون أن تُغزى مدينة رسول الله ﷺ .. ويحكم متى كنتم تخافون الموت أو الهزيمة ؟ أو تخافون على عشيرة أو قوم أو أرض أو وطن ؟ . ما بال عينيك تدمعان ؟

أبو عبيدة : سمعت قولك هذا فذكرت قول الرسول ﷺ فى خطبته فى حجة الوداع .. رب مُبلَّغ أوعى من سامع .

رومانوس : (فى فرح) أفتنوى يا سيدى أن تعدل عن الانسحاب ؟

أبو عبيدة : الأمر فى يد خالد بن الوليد .

رومانوس : أنت الأمير يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : هو أمير الحرب .

رومانوس : أو هذا رأيه هو من دونك ؟

أبو عبيدة : بل هو رأينا جميعا .

رومانوس : يا سيدى يا أبا عبيدة تذكَّر أننى أنا أيضا من رجال الحرب . وإنى لأعرف من حرب الروم ما لا تعرفون . لا يعقل أن يغامر الروم بغزو المدينة أبدا .

أبو عبيدة : سيوجهون إلينا أولياءهم من العرب .

رومانوس : ولن يفعلوا ذلك إلا بعد أن يغلبوكم هنا فى أرض الشام .

أبو عبيدة : لذلك نحتاط يا رومانوس خشية أن يغلبونا .

رومانوس : فقد مهدتم لهم سبيل الغلبة بتخليكم عن هذه المدن الحصينة .

يدخل خالد بن الوليد)

أبو عبيدة : هلم يا أبا سليمان اكفنى أبا الروم ، فقد ظل يحاجّنى فى أمر انسحابنا حتى كاد يغلبنى بحجته .

خالد : ولقد حاجّنى قبلك فحاولت إقناعه فلم يرد أن يقتنع .

رومانوس : كيف أقتنع وما عندك حجة مقنعة ؟

خالد : صدقت ما أنا بقادر أن أقنعك ، ولا أنت تريد أن تقتنع .

أبو عبيدة : فما المخرج يا أبا سليمان ؟

خالد : المخرج واضح . خبرنى يا أبا الروم ، ألست جنديا من جنودنا ؟

رومانوس : بلى .

خالد : فعليك السمع والطاعة لأميرك . إن أمير الجيش لا يستطيع أن يشرح لجنوده كل شىء ، وإلا فسد الأمر وبطل التدبير . إن حقا على الجنود أن يثقوا بأميرهم ولا يترددوا فى طاعته ، وغدا سيعرفون ما عسى أن يكون مطويا عنهم اليوم .

رومانوس : (**فى شىء من الرضى**) أحقا يا أبا سليمان كانت هذه خطة منكم ، ولم تكن عن فزع من جموع هرقل ؟

خالد : (**يضرب على كتف رومانوس**) يا أخى لو كنت تثق بنا ما سألت هذا السؤال .

(**يدخل الحاجب**)

الحاجب : أيها الأمير .. رسول من عمرو بن العاص .

أبو عبيدة : دعه يدخل . (**يدخل عبد الله بن عمرو بن العاص**) مرحبا بعبد الله بن عمرو ، مرحبا بالفتى الصالح . أأنت رسول أبيك ؟

عبد الله : أجل أنا رسوله وكتابه .

أبو عبيدة : أنعم وأكرم . وكيف حال أبى عبد الله ؟

عبد الله : تركته فى قلق وحيرة لا يدرى ماذا أنتم فاعلون .

أبو عبيدة : ألم يأته كتابنا ؟

عبد الله : بلى . ولكن لم يكن من الرأى عنده أن تتخلوا عن المدن الحصينة بغير قتال .

خالد : غدا سيتبين لأبيك أن ذلك هو الرأى .

عبد الله : إن انسحابكم من حمص وغيرها من مدن الشمال كان له أثر سيىء عندنا ، فما كاد الروم فى إيليا والأردن يسمعون بذلك حتى ظنوا أن المسلمين قد ذهبت ريحهم ، فنقضوا عهدنا واجترؤا على من قِبَلنا من المسلمين ، فذلك ما أوقع أبى فى الضيق والحرج .

أبو عبيدة : قل لأبيك يكايد القوم فى إيليا والأردن ريثما تصل كتائبنا إلى البلقاء على التخوم . فلتوافونا برجالكم هناك .

عبد الله : أأمر هذا يا أبا عبيدة أم مشورة ؟

خالد : بل هو أمر فلا سبيل إلى الرجوع عما أنفذناه . وإنما المشورة عندما نلتقى فى البلقاء عند نهر اليرموك إن شاء الله .

(يدخل سويد بن كلثوم الفهرى عامل أبى عبيدة على دمشق)

أبو عبيدة : ما وراءك يا سويد ؟ هل رددت إليهم الجزية والخراج ؟

سويد : إنهم يرفضون ذلك يا أبا عبيدة .

أبو عبيدة : فماذا فعلت ؟

سويد : أبقيت المال عندى حتى نتفق معهم على شىء .

أبو عبيدة : لا حق لك . عليك أن تعيد المال إليهم سواء رضوا أو لم يرضوا .

سويد : إنهم لا يرضون أن تتخلوا عنهم وتتركوهم للروم يسومونهم سوء العذاب . ثم إن الخزانة خاوية ونحن فى حاجة إلى هذا المال .

أبو عبيدة : (**غاضبا**) بئس ما وسوس الشيطان لك . ألم تفهمهم أننا إنما نستحق منهم الجزية والخراج إذا قمنا بحمايتهم ، وإذ لا حماية فلا جزية ولا خراج ؟

سويد : بلى والله لقد أفهمتهم كل شىء ، ولكنهم أبوا أن يقبلوا المال ، وقالوا إنهم سيرسلون وفدا إليك ليفاوضوك فى هذا الأمر .

الحاجب : (**يدخل**) أيها الأمير .. وفد من شيوخ دمشق ومعهم الفتى يونس بن مرقص .

أبو عبيدة : ائذن لهم .

(يدخل يونس وخلفه ثلاثة من شيوخ دمشق أحدهم مرقص والد يونس)

الشيوخ : السلام عليك يا أمير العرب .

أبو عبيدة : مرحبا بشيوخ دمشق الأجلاء .. اجلسوا على الرحب والسعة .

مرقص : أنا والد يونس يا أمير العرب .

أبو عبيدة : أنت الشيخ مرقص ؟

مرقص : نعم .

أبو عبيدة : مرحبا بك . إن يونس لفتى صالح وإنه لحبيب إلينا .

مرقص : من أجل ذلك اختارنى أهل دمشق على رأس هذا الوفد ، لأتوسل إليك أن لا تنسحب من مدينتنا وتتركنا للروم يعودون إلى ظلمهم وتجبرهم .

أبو عبيدة : وأى شيء يرهبكم من الروم ؟ إنهم لن يسيئوا إليكم ويعاقبوكم إلا إذا أظهرتم محبتكم لنا ، وقد جعلناكم فى حل من ذلك ، فاقدحوا فينا عندهم ونالوا منا ، لا حرج عليكم فى ذلك .

مرقص : يا سيدى الأمير .. أترضاها لنا حياة تلك التى نضطر فيها أن نمدح من نكره ، ونقدح فيمن نحب ؟

أبو عبيدة : لن يطول بكم ذلك . سوف نعود إليكم إن شاء الله ونخرجهم منها مدحورين .

مرقص : ما دمتم تريدون العودة فعلام الخروج ؟

أبو عبيدة : إن هرقل قد حشد لنا جموعا لم يحشد مثلها من قبل قط . ونحن عددنا قليل ، وكل طائفة منا فى أرض أو ناحية ، فإن لم نلقهم مجتمعين فى صعيد واحد فسيقضون علينا جماعة بعد جماعة ، ثم يطلقون كلاب العرب لتغزونا فى عقر دارنا .

مرقص : أما من سبيل لبقائكم يا أمير العرب ؟

أبو عبيدة : لا سبيل .

مرقص : والعهد الذى بيننا ؟

أبو عبيدة : قائم إذا شئتم ، نعود إلى العمل به حين نعود .

مرقص : دون أن تطالبونا بزيادة ؟

أبو عبيدة : ولا تطالبونا بنقصان .

مرقص : قبلنا يا أمير العرب .. بشرط واحد .

أبو عبيدة : ما هو ؟

مرقص : ألا تعيدوا إلينا مال الجزية والخراج .

أبو عبيدة : إذن تلزمونا بحمايتكم والدفع عنكم .

مرقص : كلا بل نعفيكم من ذلك .

أبو عبيدة : نحن لا نأكل أموال الناس بالباطل .

مرقص : هذا مال قد خرج من أيدينا ، فأحسبوه لنا لعام قابل .

أبو عبيدة : ليس لنا أن نأخذ منكم شيئا قبل حلول ميقاته .

مرقص : إذن فقد طابت أنفسنا لكم به .

أبو عبيدة : نحن لا نقبل صدقة .

مرقص : فهى هدية .

أبو عبيدة : الهدية من الرعية رشوة .



مرقص : فاحسبها يا أمير العرب كما تشاء .

أبو عبيدة : ليس ذلك لى ولا لك . إنه ملك أصحابه فردوه إلى أصحابه .

مرقص : نحن مفوضون من قبل أصحابه .

أبو عبيدة : ويحكم ما إصراركم على ذلك ؟ إلى أى شىء ترمون ؟

مرقص : (**لا يجيب**) ... ؟

أبو عبيدة : ماذا تقصدون من وراء ذلك ؟

يونس : إنى مخبرك يا أمير العرب . إنهم يريدون أن يستوثقوا من رجوعكم إلى العهد فيما بعد .

أبو عبيدة : أهذا هو قصدكم ؟

الشيوخ : نعم .

أبو عبيدة : إذن فاعلموا يا أهل دمشق أننا لا نعاملكم أنتم ، وإنما نعامل الله عز وجل ، وهو يعلم السر وأخفى .

الشيوخ : لعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم . والله لو كانوا هم ما ردوا علينا بل غصبونا ، وأخذوا مع هذا ما قدروا عليه من أموالنا . ردكم الله إلينا سالمين ! ردكم الله إلينا منتصرين !

(ستــار)

المشهد السادس

خيمة المثنى بن حارثة فى ذى قار .
المثنى على سرير مرضه وعنده زوجته سلمى .
(يدخل بشير بن الخصاصية عجلا)

المثنى : مرحبا بك يا بشير . كيف حال أهلك ؟

بشير : مازالت فى الطلق ..

المثنى : ويح المسكينة . ألم يفرج عنها بعد ؟

بشير : أرسلتَ فى طلبى يا مثنى ؟

المثنى : نعم إذا أنا مِتُّ يا بشير فأنت على الناس ، حتى يجىء قائد أمير المؤمنين وجيش أمير المؤمنين .

بشير : قائد أمير المؤمنين ستلقاه أنت بنفسك يا مثنى إن شاء الله .

المثنى : (**يبتسم فى أسى**) إنى قد أشهدت على ذلك خاصة رجالى ، فارجع الآن إلى أهلك يرحمك الله .

بشير : (**مترددا**) ألا أبقى قليلا عندك ؟

المثنى : بل اذهب فلا ينبغى أن تتركها وهى فى الطلق .

بشير : لديها شيرين وبعض النسوة .

المثنى : وأبو الغلام يجب أن يكون هناك ، وإلّا فمن يبشّرنّه بالغلام ؟

سلمى : معذرة يا بشير . لولا المثنى لكنت هناك معهن .

بشير : لا تثريب عليك يا سلمى .

سلمى : حيّها عنى .

المثنى : أستودعك الله يا بشير . (**يتوقف بشير قليلا ثم يخرج**)

(**يتمتم**) طارق جديد وراحل مودع !

سلمى : ما تقول يا مثنى ؟

المثنى : تلك هى الحياة . أما من نبأ عن المعنى أخى ؟ لقد قال فى كتابه لن يتأخر عن اليوم .

سلمى : لا تشغلن بالك . لعله فى طريقه إلينا الساعة .

المثنى : الساعة يا سلمى ؟

سلمى : الساعة .

المثنى : أخشى يا حبيبتى أن يتأخر قليلا فينتظرنى إلى الأبد !

سلمى : قلبى يحدثنى أنه قادم عما قريب .

المثنى : قد حدثنى قلبى بقدومه منذ أمس ولكنه لم يقدم . آه يا سلمى ، لقد كنا يفترق بعضنا عن بعض أياما كثيرة ، بل شهوراً ذوات عدد ، ولا يحس أحدنا بألم الانتظار كما أحسه الآن . لكأنما هو يجرى جاهدا إلى ، وأنا أفر جاهدا منه !!

(**يسمع صهيل فرس**)

سلمى : كذبتك أوهامك . هذا صهيل فرسه !

المثنى : حمدا لله . كُتب لنا لقاء بعد .

(**يدخل المعنى فينهض المثنى إليه متحاملا على نفسه**)

المعنى : مكانك يا أخى . لا تجهد نفسك .

المثنى : الحمد لله إذ لقيتك . كيف أنت أيها الأخ الحبيب ؟

المعنى : (**متأثرا**) تسألنى أنت يا مثنى كيف أنا ؟



المثنى : (**مبتسما**) قبل أن يحال بيني وبين السؤال عنك .

(**تدخل شيرين**)

شيرين : معنى !

المعنى : شيرين !

شيرين : الحمد لله على سلامتك . (**يتعانقان**)

المعنى : أين كنت ؟ هلا بقيت هنا عند أخيك وأختك ؟

سلمى : لا تلمها يا معنى . كانت عند جهدمة تساعدها فى الوضع .

المعنى : ماذا وضعت ؟ غلاما أم جارية ؟

شيرين : لا غلاما ولا جارية . إنها فى الطلق بعد .

المثنى : فى الطلق بعد ! أعانها الله .

شيرين : أرسلوا فى طلب قابلة عجوز من بنى النمر بن قاسط ، يقولون إنها ماهرة .

المعنى : عودى إليها يا شيرين فما ينبغى أن تتركيها وحدها .

شيرين : ليست وحدها ، عندها بعض النسوة .

المثنى : بشرنى يا أخى .. متى يجىء جيش أمير المؤمنين ؟

المعنى : قد وصل إلى زرود .

المثنى : فى كم ؟

المعنى : فى عشرين ألفا ، من نخبة أبطال الجزيرة وفرسانها وذوى الشجاعة والرأى فيها .

شيرين : عشرون ألفا لا تكفى لمواجهة الجيوش التى حشدها يزدجرد .

المثنى : يغفر الله لك يا شيرين . ليت الشّموس تقلّنى . إذن والله لأفتحن بهم المدائن .

المعنى : وسيواليها أمير المؤمنين بالمدد تلو المدد .

المثنى : الحمد لله . الآن يطيب لى الموت . لا بل تطيب لى الحياة لو كان إليها سبيل . آه من لى بنزوة على متن الشموس تخطر بى بين الصفوف ، وتحت ظلال السيوف ؟ يوما واحدا يا رب أقاتل فى سبيلك !!

المعنى : ستفعل يا أخى لا يوما واحدا بل أياما كثيرة محجلة ، حين يزول عنك ما بك .

المثنى : (**مبتسما**) هيهات يا أخى لم يبق من أخيك إلا ما به ، فإذا زال ما به زال !

سلمى : (**متجلدة**) يا حبيبى إن الله قادر على أن يزيل ما بك فى طرفة عين .

المثنى : (**فى ابتسامته التى لا تفارقه**) صدقت أيتها الحبيبة .. الله قادر سبحانه لو شاء . (**يغالب الألم**)

المعنى : هل تشعر يا أخى بوجع فى جرحك ؟

المثنى : لا يا معنى ، قد صار كل جسدى جرحا !

المعنى : لعل ذلك الطبيب الفارسى قد دس لك شيئاً فيه .

(**ينظر إلى شيرين**)

شيرين : ماذا تقول ؟ بختيشوع لا يمكن أن يخون الأمانة .

المثنى : ما خطبك يا أخى ؟ لقد اندمل الجرح بعد ما عالجنى بختيشوع .

المعنى : اندمل حينا ثم نغر !

المثنى : كما عاش حارثة أبوك حينا ثم مات . (يتجلد) والآن حدثني يا معنى عن قائد هذا الجيش . أى رجل هو ؟

المعنى : سعد بن أبى وقاص ، من السابقين الأولين ، ومن العشرة المبشرين بالجنة .

المثنى : أعلم ذلك ، ولكن أى رجل هو فى الحرب ؟

المعنى : قد علمت أنك سائلى عنه ، فاستقرأت آراء الناس فيه فوجدتهم مجمعين على أنه أصلح الناس لإمرة هذا الجيش ، وأنه يجمع بين الشجاعة والرأى ، وأنه الليث فى براثنه .

المثنى : انعته لى .

المعنى : قصير دحداح ، بعيد ما بين المنكبين ، ذو هامة ، جعد الشعر ، أشعر الجسد ، شثن الأصابع .

المثنى : كهيئة السبع ؟

المعنى : أجل كهيئة السبع .

المثنى : بوركتَ يا أخى ، الآن أثلجت صدرى .

المعنى : ومع ذلك فقد خطر لأمير المؤمنين فى أول الأمر أن يسند القيادة إليك .

المثنى : (فرحا) أحقا يا أخى خطر لأمير المؤمنين أن يسندها إلى ؟

المعنى : نعم وأثنى عليك بما أنت أهله .

المثنى : أثنى علىّ عمر بن الخطاب ؟

المعنى : وعلى بن أبى طالب وغيرهما .

المثنى : الحمد لله .

المعنى : وقد أوشك أمير المؤمنين أن يوليك إمرة الجيش ، لو لم أعترض أنا على ذلك من أجل ما بك .

المثنى : أحسنت يا أخى صنعا . لكأنما قد ولانى أمير المؤمنين !

المعنى : والله إن كنت لها لأهلا .

المثنى : فات الأوان يا معنًّى ، فات الأوان . ألست ترى أن أحدنا يرغب فى الأمر لا يبلغه ، حتى إذا بلغه زهد فيه أو حيل بينه وبينه .

المعنى : لا تبتئس يا أخى ، لقد أراد الله لك ما هو أفضل .

المثنى : إن كنت تعنى الشهادة . فأين أنا من الشهادة ولم أمت فى ساحة القتال ؟

المعنى : جُرح جُرحته فى سبيل الله ، فإن مت منه فأنت شهيد .

المثنى : سمع الله منك يا معنى .

المعني : وللشهيد الجنة فهنيئاً لك .

المثنى : ليت شعرى هل يجاهد أهل الجنة فى سبيل الله ؟

المعنى : لو كان بشير هنا لأفتاك .

شيرين : مبلغ علمى أن الآخرة دار جزاء لا دار عمل ، والجهاد من العمل .

المثنى : ويحك يا شيرين ، لقد زدتنى الآن حبا للحياة وكراهية للموت . أى لذة للعيش دون كرٍّ وفرّ ، ودون تبييت وتصبيح ؟

شيرين : ولو كان فى جنة تجرى من تحتها الأنهار ؟

المثنى : ولو كان فى جنة تجرى من تحتها الأنهار . لكن اسمعى يا شيرين ، أليس فى الجنة كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ؟

شيرين : بلى .

المثنى : اذن فالجهاد فيها موجود .

شيرين : كيف ؟

المثنى : والله إن دخلتها لأشتهين الجهاد ، فلأجاهدنّ .

صوت : (**ينادى من الخارج**) يا مثنى بن حارثة !

المثنى : هذا صوت قرط بن جمّاح العبدى ، قل له يدخل . (**يخرج المعنى ثم يعود ومعه قرط**) ما وراءك يا أخا عبد القيس ؟

قرط : قابوس بن قابوس بن المنذر قدم من المدائن ، وأخذ يطوف ببطون بكر بن وائل يوزع فيها الذهب ، ويدعوها لقتال المسلمين فى صف الفرس .

المثنى : (**مخاطبا**) بئس ما خلف آباءه من بنى المنذر بن ماء السماء . والله لو حملتنى فرسى لطلبته الساعة حتى أقتله . بكر بن وائل تكون مع العجم على العرب ؟ تلك إذن سبّة الأبد .

المعنى : لا تثورنّ يا أخى فإن هذا يهيضك .

المثنى : إن كنت تحبنى يا معنّى فانطلق الساعة مع رجالك ، لتأتينى برأس هذا اللخمى الزنيم ، وتؤلب بكر بن وائل عليه .

المعنى : الساعة يا أخى ؟

المثنى : أجل ، ما جرؤ هذا الزنيم على ذلك إلا لما سمع أننى مريض دنف ، فليعلمن وشيكا أن وراء المُثنى أخاه المُعنى !

المعنى : أقسم لك يا أخى لا يقر لى قرار حتى أظفر بهذا الخائن ، ولكن أمهلنى إلى الغد .

المثنى : بل الساعة يا أخى ، قبل أن يشترى قلوب قومنا بذهب يزدجرد .

المعنى : ألا أبقى عندك الليلة لعلك تحتاج إلى ؟

المثنى : قد فهمت ما تعنى يا معنى . كلا لست بنافعى شيئا عند الموت ، ولكنك ستنفع هناك إذا منعت تلك اليد القذرة عن العبث .. انطلق وتوكل على الله .

المعنى : حبا وكرامة . (**يهم بالخروج**)

المثنى : أستودعك الله يا أخى . أستودعك الله يا قرط بن جماح .

المعنى : (**ينظر إليه لحظة دون أن يتكلم**) ..

المثنى : (**كالمواسى**) انطلق .. يا ليتنى كنت معك . (**يخرج المعنى ويخرج معه قرط بن جماح العبدى**) (**يرى شيرين مكتئبة**) لعلك ساءك يا شيرين أن أرسلت المعنى فى هذه السرية ، قبل أن يستريح من عناء سفره ؟

شيرين : لا والله يا مثنى ، ما ساءنى إلا أنه كان يود البقاء معك فلم يُتح له ذلك .

المثنى : هكذا نحن بنى حارثة مذ كنا . لا نجزع ولا نبكى ولا نتأوه . وعلى نسائنا أن يكن مثلنا . (**يلتفت إلى زوجته**) سلمى يا بنت أبى خصفة ، هل لك أن تحضرى لى الشَّموس؟

سلمى : (فى إشفاق) لتركبها ؟

المثنى : يا ليت ! بل لأراها فحسب ، فإنى فى شوق إلى رؤيتها .

سلمى : حبا وكرامة . (تخرج)

(تجهش شيرين بالبكاء)

المثنى : ما خطبك يا أختاه ؟ ماذا يبكيك ؟ عهدى بك جلدة صبور ، فماذا دهاك ؟ أمن أجل المعنى ؟ إن سفره هذا لسفرٌ قريب .

شيرين : بل من أجلك أنت يا مثنى .

المثنى : من أجل أنى سأموت ؟ هذا مورد كلنا وارده .

شيرين : بصدد بختيشوع الطبيب .

المثنى : بختيشوع ما شأننا به بعد ؟

شيرين : والله يا مثنى ما غشك بختيشوع ولا دس لك شيئا فى جرحك ، ولقد عالجك بكل نصح وأمانة .

المثنى : أعلم ذلك يا شيرين ، وأعلم أن يزدجرد كان قد أوعز إليه بأن يقتلنى فأبى .

شيرين : من أين علمت ذلك ؟

المثنى : من بعض عيونى .

شيرين : وماذا تعلم أيضا غير ذلك ؟

المثنى : (ينظر إليها مليّا) لا أعلم شيئا فهل تعلمين أنت ؟

شيرين : نعم ، ما كان ليمتنع عن إيذائك لولا ما كان بينه وبين والدى من قديم الصداقة ومتين الود .

المثنى : وكيف عرفت ذلك يا شيرين ؟

شيرين : إنى ارتبت فى أمره لما حضر ، فما زلتُ به حتى اعترف لى بدسيسة يزدجرد .

المثنى : وكتمت عنا ذلك يا شيرين ؟

شيرين : لم أجد من الخير أن أخبركم بأمره لئلا ترتابوا به ، فيحول ذلك دون علاجك ، وقد كنت حريصة على أن يعالجك فيبرئك من جرحك .

المثنى : جزاك الله عنى خيرا يا شيرين . لو لم يكن عالجنى بختيشوع لربما قضيت نحبى قبل أن أسمع هذه البشرى بقدوم جيش أمير المؤمنين وقائد أمير المؤمنين . امسحى هذا الدمع عنك فما ينبغى لنساء بنى حارثة أن يبكين .

شيرين : (**تمسح دمعها**) الحمد لله الآن اطمأن قلبى .

المثنى : ترى ماذا فعلت امرأة بشير ؟

شيرين : لو أنها وضعت لأرسل إليك من يبشرك .

المثنى : هلا ذهبت إليها فرأيت ماذا فعلوا ؟

شيرين : لا أتركك وحدك . حتى تعود زوجتك .

المثنى : ها هى ذى قد عادت .

(تخرج شيرين) (تدخل سلمى وهى تقود الفرس ، وإذ ترى الفرس سيدها تدنو منه وتتشممه وهو يمسح عرفها بيده) لا يحزنك الله يا شموس . ترى كيف يكون حالك من بعدى ؟

سلمى : اطمئن يا بن حارثة فلن يعوزها بعدك غير وجهك ، وإن ذلك لكثير عليها وعلى سائر أحبابك .

المثنى : من تمام إكرامها أن يحوزها فارس كريم ، فلمن أوصى بها فيما ترين ؟

سلمى : لأخيك المعنى فهو بها أحق .

المثنى : كلا يا سلمى بل لمن هو خير منى ومنه .

سلمى : خير منك يا مثنى لم تلده أمه !

المثنى : ويحك ، إنى أعنى خيراً منى فى الإسلام وصحبة رسول الله ﷺ .

سلمى : من ؟

المثنى : سعد بن أبى وقاص أمير جيش المسلمين . فأوصيك يا سلمى أن تسلميها إليه .

سلمى : (**تنظر إلى الفرس**) انظر يا مثنى .. إن عينيها لتغرورقان بالدمع كأنما فهمت حديثك !

المثنى : بل ألهمت ساعة الوداع !

سلمى : (**تنظر إليه متجلدة تغالب شجنا يوشك أن ينفجر**) .. ؟

المثنى : (**فى رقة**) سلمى يا توأم النفسى ويا نوط القلب ، لطالما تجلدت وتجملت ، وقد آن لك الساعة أن ترسلى دموعك فإنى مودع .

سلمى : (**تجهش بالبكاء ، ثم تنفجر الدموع من عينيها دون نحيب**) نفسى فداؤك يا مثنى . يا خير البعولة ، يا سيد الرجال . يا ليت يومى قبل يومك !

المثنى : (**يجيل يده حول عنقها**) فيضى .. فيضى تنفى عن كربك . وتفثأى من لوعتك .



سلمى : هيهات .. هيهات ..

لمثنى : فيضى ... يا سلمى .. فيضى يا حبيبة المثنى يا زين النساء .

سلمى : يا زين الشباب واحسرتاه على شبابك !

المثنى : يا بنت أبى خصفة ، أليس خيرا لى أن ألقى الله شابا ، لم يشمط لى شعر ولم يتغضن لى وجه ولم تُرعَشْ لى يد ؟ . لقد كنت أكره المشيب والكبر والعجز ، فهأنذا قد سبقت المشيب والكبر والعجز ، فاللهم لك الحمد . هأنتذى قد سكن لاعجك فامسحى دمعك يا سلمى وابتسمى لى ، فإنى أشتاق أن أرى ثناياك تنوّر كزهر الربيع .

سلمى : يا زوجى الحبيب .. (**تمسح دمعها ثم تبتسم فى أسى**)

المثنى : قبلينى الساعة ..

(تقبله سلمى فيضمها إلى صدره فتراخى يداه وتتسارع أنفاسه)

سلمى : (**جزعة**) ما خطبك يا مثنى ؟

المثنى : (**بصوت متقطع**) لا خطب يا سلمى بعد اليوم .

صوت : (**من الخارج**) يا آل المثنى .. هل لى أن أدخل ؟

سلمى : ادخل .

(يدخل بشير بن الخصاصية)

المثنى : بشير كيف أهلك ؟

بشير : الحمد لله يا مثنى قد جاءتنى بغلام .

المثنى : سمه باسمي يا بشير .

بشير : حبا وكرامة .

المثنى : أنت على الناس يا بشير حتى يحضر سعد .. الحمد لله إذ لم أمت حتى جاء جيش أمير المؤمنين . وقائد أمير المؤمنين .

(يموت) ....

(ستـــار)

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ ــ اخناتون ونفرتيتى .
٢ ــ سلامة القس .
٣ ــ وا إسلاماه .
٤ ــ قصر الهودج .
٥ ــ الفرعون الموعود .
٦ ــ شيلوك الجديد .
٧ ــ عودة الفردوس .
٨ ــ روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ــ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ــ ليلة النهر .
١١ ــ السلسلة والغفران .
١٢ ــ الثائر الأحمر .
١٣ ــ الدكتور حازم .
١٤ ــ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ــ مسمار جحا .
١٦ ــ مأساة أوديب .
١٧ ــ سر شهر زاد .
١٨ ــ سيرة شجاع .
١٩ ــ شعب الله المختار .
٢٠ ــ امبراطورية فى المزاد .

٢١ ــ الدنيا فوضى .
٢٢ ــ أوزوريس .
٢٣ ــ فن المسرحية من خلال تجاربي الشخصية .
٢٤ ــ دار ابن لقمان .
٢٥ ــ قطط وفيران .
٢٦ ــ هاروت وماروت .
٢٧ ــ جلفدان هانم .
٢٨ ــ الفلاح الفصيح .
٢٩ ــ حبل الغسيل .
٣٠ ــ الشيماء (شادية الإسلام) .
٣١ ــ هكذا لقى الله عمر .
٣٢ ــ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .
٣٣ ــ إله إسرائيل .
٣٤ ــ الزعيم الأوحد .
٣٥ ــ الدودة والثعبان .
٣٦ ــ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (في ١٩ جزءا) .

عمـــر

١ ــ على أسوار دمشق .
٢ ــ معركة الجسر .
٣ ــ كسرى وقيصر .
٤ ــ أبطال اليرموك .
٥ ــ تراب من أرض فارس .
٦ ــ رستم .
٧ ــ أبطال القادسية .
٨ ــ مقاليد بيت المقدس .
٩ ــ صلاة فى الإيوان .
١٠ ــ مكيدة من هرقل .
١١ ــ عمر وخالد .
١٢ ــ سر المقوقس .
١٣ ــ عام الرمادة .
١٤ ــ حديث الهرمزان .
١٥ ــ شطا وأرمانوسة .
١٦ ــ الولاة والرعية .
١٧ ــ فتح الفتوح .
١٨ ــ القوى الأمين .
١٩ ــ غروب الشمس .


أبطال اليرموك

الملحمة الإسلامية الكبرى





علي احمد باكثير

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

المشهد الأول

فى البلقاء قرب نهر اليرموك حيث اجتمعت جيوش المسلمين فى صعيد واحد وقد جعلوا البرية خلف ظهورهم لتصل إليهم البرد والمدد . خيمة أبى عبيدة .. خيمة واسعة يجتمع فيها بالناس .

يرى أبو عبيدة جالسا وعنده أمراء الأجناد خالد وعمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان وشرحبيل بن حَسَنة ومعاذ بن جبل . وقد وقف أمامهم رجل من تنوخ يدعى أبا بشير ومعه فلاح من غوطة دمشق يبكى وينتحب .

الفلاح : انتقم لى منهم ياأمير العرب .. انتقموا لنا منهم .

أبو عبيدة : ماذا بك ؟

الفلاح : لا أستطيع أن أقصه عليكم . إنه فظيع ! فظيع !

أبو بشير : تأذن لى أن أقصه عليهم ؟

الفلاح : افعل .

أبو بشير : لما عاد الروم إلى دمشق بعد ما أخليتموها .. نزل بطريق منهم بأرض أخينا هذا فى الغوطة .. وكانت له مائة رأس من الغنم ، فصار البطريق يذبح منها كل يوم ، ثم لما أراد المسير

أنهب بقيتها أصحابه . وكان أخونا فى المدينة يقضى حاجة له ، فذهبت ابنته إلى البطريق ومعها أخوها الغلام تشكو إليه مما حدث وقالت : أما ما أخذت لنفسك فهو لك ، ولكن ابعث إلى أصحابك فليردوا علينا غنمنا . فما كان منه إلا أن أمر بحملها إلى خبائه حيث هتك عرضها بالقوة ، وصاح الغلام فأمر به فقُتل .

الجميع : لا حول ولا قوة إلا بالله . أى ظلم وأى جبروت !

أبو عبيدة : أليس لذلك البطريق رئيس ؟

أبو بشير : رئيسه هو باهان القائد الأكبر .

أبو عبيدة : فهلا شكا مظلمته إليه ؟

الفلاح : قد فعلت ياأمير العرب . شكوته إلى باهان فأبدى تألمه ولكنه لم يستطع أن يصنع شيئا ، إذ غضب ذلك البطريق وغضب له أناس من أصحابه ، فأقبلوا يريدون قتلى لولا أنى فررت من وجوههم .

أبو عبيدة : قاتلهم الله .. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون .

أبو بشير : ليس هذا كل ما ارتكبوه ياأمير العرب ، فقد ارتكبوا كثيراً من الفظائع فى حمص وبعلبك وحماة والمعرة وكل بلد تركتموه لهم .

أبو عبيدة : كأنك ياأخا تنوخ تلقى علينا التبعة فيما حدث .

أبو بشير : أجل ياأمير العرب . ما كان لكم أن تتركونا لهؤلاء الظلمة بعد ما أنقذنا الله بكم منهم .



معاذ : ألم أقل لكم من قبل ؟ قوم وثقوا بكم واطمأنوا إلى حمايتكم كيف تركتموهم ؟ إنى والله لأخشى أن يعاقبنا الله على هذا الظلم الذى كان فى مقدورنا أن ندفعه ، فلم ندفعه .

عمرو : وإنى والله لا أدرى ما حملكم على هذه الخطة ، ولولا وجوب طاعة أمير الجيش ما تخليت عن البلاد التى فتحناها من أرض فلسطين .

أبو عبيدة : ويحكم أكان فى وسعنا أن نواجه جموع هرقل ونحن متفرقون ؟

معاذ : لقد واجهناهم فى مواطن كثيرة فنصرنا الله عليهم .

يزيد : إن أميرنا قد انتهج هذه الخطة ، فلا سبيل إلى الرجوع عنها .

شرحبيل : إن علينا الآن أن ننظر كيف نلقى عدونا ، وقد احتشدت جموعه المقاتلة فى الوادى الذى يلينا لا يفصل بيننا وبينه سوى هذا النهر .

أبو عبيدة : ألا تقول شيئا يا أبا سليمان ؟

خالد : (**للرجلين الواقفين**) هل لديكما مزيد من الشكوى ؟

أبو بشير : لا يا سيدى .. حسبنا أن تعلموا أن الروم كلما أقبلوا على بلد تركتموه ، فعلوا بأهله الأفاعيل .

خالد : فانصرفا الآن فقد وعينا ما قلتماه . خذهما يا يونس وأكرمهما عندك ، حتى نرى ماذا نستطيع أن نصنع لهما فيما بعد .

(**يخرج أبو بشير وصاحبه مع يونس**)

خالد : يا قوم أكلما جاءكم شاكٍ من أهل هذه الديار اهتممتم بأمره ، ونسيتم أننا نخوض مع العدو اليوم معركة فاصلة ؟ أيكم يتولى تبعة هذه المعركة ؟ أنت يا معاذ بن جبل ؟

معاذ : الآن بعد ما أخلينا لهم الحصون والمُدُن ؟

خالد : أنت يا عمرو بن العاص ؟

عمرو : لا يا أبا سليمان .. شيء لم أشهد صدره لا أحتمل عاقبته .

خالد : أنت يا يزيد بن أبى سفيان ؟

يزيد : ليس لى من يتقدم على مثلك يا أبا سليمان .

خالد : أنت يا شرحبيل بن حَسَنة ؟

شرحبيل : معاذ الله أن أنازع سيف الله فى أمر .

خالد : إذن فاعلموا أن التبعة كلها على ظهرى أمام الله وأمام المسلمين ، ثم اعلموا أننى أعرف سبيلى . وقد أعددت لهذا اليوم مذ أنا فى حمص .

أبو عبيدة : إى والله يا قوم إنى لأشهد بذلك . وأنا معك يا أبا سليمان لا أستقل عنك برأى ولا تستقل عنى بتبعة .

خالد : بوركت يا أمين هذه الأمة . خلّنى والناس إذَنْ ودعنى والأمر اليوم .. ولّنى ما وراء بابك فإنى أكفيك بإذن الله أمر هذا العدو .

أبو عبيدة : شأنك بالناس يا خالد ، والله ليس لها إلا أنت . وإنى أول من يطيع أمرك ، ولو أمرتنى أن أمسك بعنان فرسك لأطعتك .

خالد : ولا كل هذا يا أبا عبيدة . إنى إنما أردت أن تجتمع كلمتنا على رأى واحد ، ثم نلقى عدونا بخطة واحدة على نظام واحد وتعبئة واحدة ، فلا ينقض بعضنا ما يعمل بعض . فليس أخطر فى الحرب من اختلاف الكلمة . وتوزع الرأى ، عندما يحمى الوطيس ، وتطيش الأحلام ، ويختلط الحابل بالنابل.

أبو عبيدة : لك منا ما تحب يا أبا سليمان وزيادة . أنت أميرنا ونحن جندك .

خالد : ابعث إلى أهل كل راية فمرهم أن يطيعونى وألزمهم بذلك .

أبو عبيدة : (مناديا) يا ضحاك بن قيس !

الضحاك : (**الذى كان يحرس على الباب**) لبيك ! (**يظهر**)

أبو عبيدة : يا ابن قيس اذهب فطف بكل راية من رايات المسلمين ، وأبلغهم أمرى لهم جميعا بطاعة خالد بن الوليد فيما يأمرهم به فى هذه المعركة .

خالد : ولو خالف رأيك .

أبو عبيدة : ولو خالف رأيى . فهمت يا ابن قيس ؟

الضحاك : نعم . (**يخرج**)

خالد : يا أمراء الأجناد ، الآن ينبغى أن تعرفوا الأمر على حقيقته : لقد استطعنا أن نخدع الروم إذ أظهرنا لهم أن الجموع التى حشدها هرقل قد ملأت قلوبنا رعبا ، فتركنا المدن هاربين إلى تخوم البرية . ولذلك أسرعوا للحاق بنا منثالين من كل فج ، حتى احتشدوا جميعا فى الوادى الذى يلينا ، لتفخر كل فرقة منهم بأنها اشتركت فى هزيمتنا وطردنا من الشام ، لعلهم يمحون بذلك معرة الضربات التى أنزلناها بهم من قبل .

أبو عبيدة : أما أنا فقد هبتُ هذه الجموع الهائلة حقا وخشيتُها على المسلمين ، فكتبت إلى أمير المؤمنين أستنجده وأستصرخه .

خالد : لا بأس بما فعلت فإنه خير .

معاذ : كم يبلغ عدد جيش العدو ياأبا سليمان ؟

خالد : بين مائتين وخمسين ألفا وثلاثمائة ألف .

معاذ : أما كان خيرا من احتشادهم لنا فى مكان واحد ، أن لو حاربناهم متفرقين فى الشمال والجنوب فانتصرنا عليهم كما عودنا الله ذلك ؟

خالد : لا يا ابن جبل ، لأن نلقاهم جميعاً فى هذا المكان ونحن جميع فنضربهم ضربة قاصمة ، أعود علينا بالخير إذا انتصرنا ، وأهون ضررا إذا انهزمنا ، ولن ننهزم إن شاء الله . ياأمراء الأجناد لا تقولوا اليوم ما أكثر الروم وأقل العرب ، فإنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان . وفى هذه المعركة خاصة لن يكون النصر بكثرة العدد ، وإنما بالمكيدة أولا ثم بالصبر .

عمرو : الصبر قد عرفناه ، فهل لنا أن نعرف المكيدة ؟

خالد : الصبر من قِبَلكم والمكيدة من قِبَلى ، وليس من الخير أن تعرفوها الآن ، ولكنكم ستعرفونها فى حينها فاصبروا يرحمكم الله . ارجعوا الآن إلى رحالكم .

(يخرج الأمراء جميعاً واحدا بعد واحد)

أبو عبيدة : ياأبا سليمان إنى باعث رسولا إلى أمير المؤمنين اليوم ، فهل لك أن تشرح له خطتك ليشرحها لأمير المؤمنين ، فإنى لا آمن أن تبلغه الخطة على غير وجهها فيظن الظنون .

خالد : أبمثلك ياأبا عبيدة يظن عمر الظنون ؟ أنت خير منه وأقدم سابقة .

أبو عبيدة : ليس ذلك ماأعنى ياأبا سليمان ، وإنما أعنى أنه قد يظن بنا الخطأ فيما ذهبنا إليه من ترك مدن الشمال دون الرجوع إليه ، وأنت تعرف ابن عمتك فى حرصه على المسلمين واهتمامه بأمرهم .

خالد : صدقت ياأبا عبيدة . والله ليفهمنها ابن الخطاب على البعد خيرا من كثير من هؤلاء الشاهدين . أين الرسول ؟

أبو عبيدة : (مناديا) يا سفيان بن عوف ! هلم !

(يدخل سفيان بن عوف)

خالد : هلم يا سفيان ادن منى .

أبو عبيدة : إنى كتبت معك رسالة إلى أمير المؤمنين . وهذا خالد بن الوليد سيفضى إليك بخطته فى هذه الحرب لتنقلها كما تسمعها إلى أمير المؤمنين ، فالفقه الفقه يا سفيان .

خالد : وإياك ثم إياك أن تذكرها لأى ناطق أو صامت ، إلا لأمير المؤمنين وحده .

سفيان : ثق ياأبا سليمان أنى سأنطلق من توى ، ولا ألقى أحدا ولا أكلم أحداً فى الطريق حتى ألقى أمير المؤمنين .

خالد : أتعرف أين الروم الآن ؟

سفيان : نعم فى الوادى الذى يلينا بين وادى الهرير ووادى العلان .

خالد : فإن خطتى أن أضعهم فى السهل المحصور بين وادى العلان ووادى الرقاد ونهر اليرموك ، فإذا دخلوه أقمنا نحن على فمه فنكون فى سعة وهم فى ضيق ، فلا يكون لهم مهرب إلا إلى الواقوصة ، تلك الأهوية الخطرة ، فسيتساقطون فيها حين يدهمهم الفزع والوهل .

سفيان : ولكن كيف تدفعهم إلى ذلك السهل ؟

خالد : أحسنت إنك للبيب .. سنسرى نحن ذات ليلة ونجتاز وادى الهرير صوب الشمال حتى نكون بإزاء السهل ، لنوهمهم أننا سنحتله ونتحصن فيه لمناعته ، فسيسبقوننا إليه ويحتلونه دوننا ، وبذلك نوقعهم فى الفخ .

أبو عبيدة : (**معجبا**) والله إنها لخطة . أتستطيع الآن يا سفيان أن تصفها لأمير المؤمنين ؟

سفيان : نعم سأصفها له كأنه يراها بين يديه .

أبو عبيدة : حذار يا ابن عوف . إنى لم أسمعها من أبى سليمان إلا الساعة معك ، فإياك أن تحدث بها أحدا .

سفيان : ولو قطع حلقومى .

أبو عبيدة . انطلق باسم الله وعلى بركة الله .

(**ستار**)

المشهد الثاني

تل مرتفع خلف ظهور المسلمين ..

النسوة المجاهدات قد اجتمعن بين الأخبية يتحدثن عند الأصيل ، وذلك فى أقصى المسرح . فى أدنى المسرح ترى هند بنت عتبة وابنتها جويرية تحملان حزمتين من الحطب على ظهريهما وتتوقلان السفح . وإذا أسماء بنت أبى بكر تهبط من أعلى التل فتلقاهما فى أدنى المسرح فتقف هند لتستريح .

هند : مرحبا .. أسماء بنت أبى بكر !

أسماء : مرحبا يا هند . هاتى هذا الحطب أحمله عنك .

هند : لا والله لا يحمله غيرى .

أسماء : أراك قعدت بحزمتك .

هند : لا بأس أن أستريح قليلا ، فإن صعود هذا التل مرهق .

جويرية : ليت شعرى لماذا وضعونا فى هذا التل ؟

هند : ويلك ألا تدرين لماذا ؟ لنكون بمأمن من هجمات العدو .

أسماء : ولنضرب من تحدثه نفسه من رجالنا بالفرار من الزحف .

هند : (**فى دعابة**) ياويل أبيك الشيخ يا جويرية . والله لأضربنه بعمود الخباء إن فر .

جويرية : كلا ياأمَّه .. ليس أبو سفيان من يفر من الزحف .

هند : يفر أو لا يفر . لا شأن لى به .

أسماء : ويحك ياأم حنظلة . إنه لأبو سفيان زعيم قريش كان .

هند : هذا الشيخ الهِمُّ يزعم أنه سيبنى بفتاة تعيد إليه شبابه .

أسماء : لا تصدقيه . أين يجد مثل هند بنت عتبة ؟

هند : يزعم أننى كبرت وذهبت أيامى .

أسماء : وهو ألم يكبر وذهبت أيامه كذلك ؟

هند : قولى له يا بنت أبى بكر ، واسأليه لماذا يقاتل اليوم بلسانه ولا يقاتل بسنانه ؟

أسماء : (**تضحك**) ماأظرفك ياأم حنظلة .

جويرية : لا تظلميه ياأمَّه .. أمير المؤمنين هو الذى أمره أن يقاتل بلسانه .

هند : ونهاه أن يقاتل بسنانه ؟

جويرية : هو الذى جعله قاصا فى الجيش ليذكرهم بأيام الله .

هند : لأنه لا يصلح لشىء غير ذلك .

أسماء : لا تغضبى يا جويرية ، فإن أمك تحبه وتغار عليه .

هند : أحبه ؟ أى شىء أحب فيه ؟ ولأى شىء أغار عليه ؟

أسماء : (**ترجع بذهنها إلى الماضى البعيد فتمثل**) :

إن تقبلوا نعانق أو تُدبروا نفارق فِراق غير وامق .

أتذكرين ذلك ياهند ؟

هند : (**فى شىء من الاستياء**) أتعييراً بعدُ ياأسماء ؟ تلك أيام قد خلت ، والحمد لله الذى أكرمنا بالإسلام .

أسماء : معاذ الله أن يكون منى ذلك يا هند ، فإنى لأعلم أن الإسلام يجُبُّ ما قبله ، وإنما ترنمت بهذه الأبيات لتعجبى معى ، كيف أن الذين كانوا يقاومونه فى مهده ذات يوم ، أصبحوا من المجاهدين لإعلاء كلمته فى الآفاق .

هند : صدقت يا أسماء . لقد كنت شابة جلدة يومذاك ، ومع ذلك كنت أخشى الموت على نفسى وعلى أولادى وأهلى . أما اليوم فإنى أتمنى لنفسى ولهم الشهادة .

جويرية : ولأبى يا أمَّه ؟

هند : (**فيما يشبه التشفى**) لأبيك فى المقدمة !!

(**تتضاحك النسوة الثلاث**)

(**تقوم هند وجويرية وتواصلان صعودهما حتى تتواريا خلف الأخبية ، بينما تنزل أسماء فى طريقها حتى تخرج من الزاوية اليمنى للمسرح**)

(**يظهر أبو عبيدة صاعدا فى السفح**)

أبو عبيدة : (**مناديا**) يا أم عبيدة . يا أم عبيدة .

صوت : لبيك يا أبا عبيدة .

(**تظهر هند بنت جابر من وراء الأخبية**)

أبو عبيدة : (**يدنو منها صاعدا**) كيف حال من قِبَلَكِ من نساء المسلمين وذراريهم ؟

هند : بعافية ولله الحمد .

أبو عبيدة : ألا يحتجن إلى شىء ؟

هند : كل شىء موفور .

أبو عبيدة : وأنت يا بنت جابر كيف حالك ؟

هند : أنا كما ترانى بحمد الله .

أبو عبيدة : وعلىَّ ذلك يا هند ؟

هند : لا أريد أن أغضبك يا صاحب رسول الله .

أبو عبيدة : مازال فى نفسك شىء من هذه الثياب التى عليك ؟

هند : (تتنهد) يا أبا عبيدة لو كان يسترنى كِنّى ، ما باليت أى ثوب أرتديه . ولكنى كما ترى بين هذه النسوة وليس فيهن امرأة واحدة لا تلبس خيرا مما ألبس ، فإلامَ أبقى فى أسمالى هذه التى قدمتُ بها من الحجاز ؟

أبو عبيدة : ويحك .. هذه بردة من صنع اليمن ، وإنها لأفضل عندى من حبر الشام .

هند : يا أبا عبيدة إنى لأستحيى منها وأنا زوج أمير القوم .

أبو عبيدة : لو لم أكن أميرا عليهم لكنت أحرى أن أجيبك إلى ما تطلبين . أما وأنا الأمير ، فعلىَّ يا هند حساب عسير يوم يقوم الناس لرب العالمين . فذرينا يا هند مُخِفّين كما نحن ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « فاز المُخِفّون » .

هند : يا أبا عبيدة أنت الذى أثرتنى بسؤالك ، فهلا تركتنى يرحمك الله ؟

أبو عبيدة : إنى أحب أن تكونى راضية من صميم فؤادك .

هند : فإنى راضية يا صاحب رسول الله ما كان فى ذلك رضاك .

أبو عبيدة : بوركتِ يا سكَنى .. لا حرمنى الله برك ورضاك ..

(يهم بالنزول)

هند : انتظر يا أبا عبيدة قليلا حتى أجيئك بالذى صنعته لك .

(تنطلق صاعدة ثم تعود بقدر صغيرة معها)

أبو عبيدة : ما هذا يا هند ؟

هند : طعام صنعته لك سيعجبك إن شاء الله .

أبو عبيدة : إنك تعلمين ألّا حاجة بى إليه . فحسبى التمر الذى عندى من أمس ..

هند : التمر يا عامر وأنت تجهد نفسك ؟ لا بد لك من لحم طيب يشدك .

أبو عبيدة : يا بنت جابر إننا لا نقاتل قتال المشركين من قريش ، إذ كانوا ينحرون الجُزُر ويشربون الخمر .

هند : كل من قِبَلى من النساء يصنعن لأزواجهن الطعام ، ويطبخن لهم اللحم .

أبو عبيدة : فليفعلوا ما بدا لهم . ولكن صاحبك أبا عبيدة لا يحب أن يخرج عما رأى عليه النبى ﷺ ، حين كان يخرج للجهاد .

هند : لِمَ تحرم على نفسك ما أحله الله لك ؟

أبو عبيدة : معاذ الله أن أحرم ما أحله الله ، ولكن الله عز وجل يقول لقوم أسرفوا فى لذاتهم : ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا ﴾

هند : ولكنه عز وجل يقول لنبيه : ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ .

أبو عبيدة : ويحك هل أتّبعُ إلا ذلك النبى الذى قال له ربه ذلك ؟

هند : لا ينبغى لك أن تشق على نفسك .

أبو عبيدة : ماذا أبغى يا هند فوق الصحة والعافية ؟ ألا ترينني صحيح البدن معافى بحمد الله ؟

هند : وماذا أصنع بهذا الذى صنعته لك ؟

أبو عبيدة : إن شئتِ أبقيتِهِ عندك لتأكلى منه وتطعمى صواحبك ، وإن شئتِ فرقتُه لكِ على الذين لا أزواج لهم من أصحابى أسفل السفح .

هند : فخذه معك لا أرب لى فيه ..

أبو عبيدة : جزاك الله خيراً يا بنت جابر .

(يهبط أبو عبيدة حتى يتوارى ، وتصعد بنت جابر حتى تتوارى)

(يظهر فى السفح خالد بن الوليد وزوجته أم تميم ومعهما رومانوس وضرار)

خالد : (**لأم تميم**) كلميها يا أم تميم مرة أخرى لعلها تقبل .

أم تميم : أعفنى يا خالد ، فقد سلكت معها كل سبيل فرفضت وأصرت على الرفض . يخيل إلىّ أنها تريد رجلا آخر !

خالد : لن تجد والله أفضل من رومانوس .

أم تميم : لو كانت تعقل !

خالد : لم لا تؤجل ذلك يا أبا الروم ؟

رومانوس : أخشى أن أقتل قبل أن أتزوج امرأة عربية مسلمة .

خالد : (**مداعبا**) إذن تنجو من أذاها وشذاها وقذاها .

رومانوس : سأحتمل كل ذلك يا أبا سليمان ، لعل الله يرزقنى منها ذرية من المسلمين .

ضرار : دعونى أنا أكلمها فى الأمر .

خالد : بوركت يا ضرار . افعل وفقك الله .

أم تميم : خذ قلنسوتك فإنى عائدة إلى رحلى . (**تناوله القلنسوة**)
خالد : مع السلامة ياأم تميم .
ضرار : بربك ياأم تميم قولى لخولة تنزل إلىّ .
أم تميم : حبا وكرامة . (**تصعد حتى تتوارى**)
خالد : لا ينبغى أن نكون هنا يارومانوس . هلم . (**يخرجان من جهة الشمال**)

(**تظهر خولة بنت الأزور هابطة**)

خولة : ضرار !
ضرار : خولة ! (**يلتقيان ويتعانقان**)
خولة : معذرة ياأخى لم أستطع أن أصنع لك شيئا اليوم .
ضرار : ما لذلك جئت يا خولة . إنما جئت لأمر آخر .
خولة : ما هو ؟
ضرار : هل تجيبيننى إليه ؟
خولة : نعم إن كان فى وسعى .
ضرار : هو فى وسعك .
خولة : (**تنظر إليه فى ارتياب**) حذار أن تكلمنى فى أمر هذا الرومى المسلم .
ضرار : لا قصد لى سوى ذلك .
خولة : وترضى لى هذا الرومى يا ضرار ؟
ضرار : ويك إنه مسلم والإسلام سوى بيننا ، وكان حاكم بصرى من قِبَل هرقل ، فأى شرف تريدين أعظم من ذلك ؟
خولة : أمهلنى حتى تنتهى هذه المعركة .



ضرار : لا أريد أن أقتل يا خولة قبل أن أراك قد تزوجت .

خولة : ولكنى أريد أن أموت شهيدة .

ضرار : تستطيعين أن تموتى شهيدة وأنت متزوجة .

خولة : لا أرب لى فى الزواج .

ضرار : بل تطمعين فى الزواج من خالد بن الوليد !

خولة : من قال لك ذلك ؟

ضرار : لذلك كنت ترفضين الخطاب الذين يتقدمون إليك .

خولة : هب ما قلت صحيحا، فأى بأس علىَّ فى ذلك؟ إنه سيد الرجال وبطل الأبطال .

ضرار : لا ينبغى أن تحبى من لا يحبك ، وله زوجة أجمل منك .

خولة : لكنى أشْبَهُ به وأقرب إلى طباعه .

ضرار : ألأنك تحاربين وتقاتلين ؟

خولة : نعم .

ضرار : فأم تميم تحارب كذلك ، فلِمَ يتركها من أجلك ؟

خولة : لا بأس أن يجمعنا نحن الاثنتين .

ضرار : اسمعى يا أختاه . لقد كان خالد يجمع بين أم تميم وابنة مُجّاعة وكانت هذه أيضا أجمل منك ، ولكنه لم يلبث أن طلق ابنة مجاعة واقتصر على أم تميم لأنه لا يطيق خلاف الضرائر .

خولة : لن يكون بينى وبينها خلاف .

ضرار : ويلك، هل فاتحتها وأخذت منها عهدا بالمسالمة وعدم الشقاق ؟

خولة : لا يا أخى ، ولكنى أنا لن أُشاقّها أبدا . سأكون لها بمنزلة أختها الصغرى .

ضرار : يا لى منكن يا معشر النساء . والله لتكونِنَّ ضرتها الكبرى !
خولة : ألا يجد هذا الرومى امرأة أخرى يتزوجها غيرى ؟
ضرار : ويحك ، إنه يرغب أن يتزوج عربية مسلمة ، وليس هنا خالية غيرك وغير أم أبان ، وهذه مازالت تلبس الحداد على زوجها فلم يبق غيرك .
خولة : إذن فهو يتزوجنى لأنه لم يجد غيرى ؟
ضرار : وأى بأس فى ذلك ؟ نحن هنا فى أرض الشام ، ولو خرج إلى أرض العرب لوجد كثيرات خيرا منك .
خولة : فليخرج إلى أرض العرب !
ضرار : ويترك الجهاد فى سبيل الله ؟
خولة : والذى يجاهد فى سبيل الله يشغل فكره بالزواج ؟
ضرار : لعل الله يرزقه ذرية من المسلمين يجاهدون فى سبيل الله .
خولة : هو الذى بعثك لتكلمنى ؟
ضرار : بل خالد بن الوليد الذى بعثنى .
خولة : (**ترتجف فى امتعاض**) خالد بن الوليد ؟
ضرار : إن كنت تُعزّينه فأعزّى رومانوس فإنه يُعزه .
خولة : (**لتتخلص من الموضوع**) وأنت ياأخى لماذا لا تتزوج ؟
ضرار : إنى على يقين أن الله سيرزقنى الشهادة وشيكا .
خولة : ذلك أحرى أن تسارع إلى الزواج .
ضرار : بل سأنتظر حتى أتزوج حورية .
خولة : فهلا انتظر صاحبك الرومى حتى يتزوج حورية مثلك ؟
ضرار : (**فى رقة**) خولة بنت الأزور عنده أفضل من الحور العين .

خولة : (فى حياء) لا تكذب . لقد قلت آنفا إنه طلبنى إذ لم يجد غيرى .

ضرار : لم يجد غيرك أهلا له .

خولة : والله لا أتزوجه حتى تنتهى هذه المعركة .

ضرار : وتتزوجينه بعدها ؟

خولة : نعم . **(تنصرف صاعدة فى التل)**

ضرار : أخشى أن يجبن عن اللقاء ويؤثر السلامة حتى يتزوجك .

خولة : **(من بعيد)** إذن لا أقبله أبدا .

(تتوارى خلف الأخبية)

(يظهر خالد بن الوليد وررومانوس فيشدان على يد ضرار ثم يهبط الثلاثة إذا هم يلقون قيس بن هبيرة)

خالد : قيس بن هبيرة ! تتفقد الذرارى ؟

قيس : نعم . أنت أمرتنى بذلك ياأبا سليمان . ما كنت أعلم أننى سأجدك هنا الساعة .

خالد : بل أحسنت ياقيس . لا ينبغى بأى حال أن تترك ماوُكِل إليك .

(يخرج خالد وررومانوس وضرار)

(يصعد قيس بن هُبيرة قليلا وإذا امرأة تنزل إليه)

المرأة : **(منادية فى دلال)** عبد الله ! عبد الله اسمع ! لقد هيأت لك طعاما طيبا .

قيس : **(يتمتم)** أستغفر الله . ماذا تريد منى هذه المرأة ؟ **(ينزل مدبرا)**

المرأة : (**تجرى خلفه**) اسمع ! بنفسى أنت ياابن قُرط ! هلم إلى الطعام الطيب .

قيس : (**يتمتم**) لا حول ولا قوة إلا بالله . ظنّتنى عبدالله بن قُرط .

المرأة : عبدالله ما خطبك ؟

قيس : ياأمة الله لعلك حسبتينى زوجك عبدالله بن قُرط .

المرأة : واسوءتاه لقد كذَبتْنى عينى !

قيس : لا تراعى . إن لك لعذرك فإنى أشبه عبدالله بن قرط حتى لكأننا توأمان .

المرأة : واسوءتاه . واخجلتاه . (**تعود إلى النسوة فوق**)

النسوة : ما خطبك ياأميمة ؟

أميمة : ظننته عبد الله زوجى فإذا هو رجل آخر .

النسوة : رجل آخر ؟

قيس : (**يتردد قليلا ثم يصعد إلى النسوة**) يا معشر نساء المسلمين أنا قيس بن هُبيرة المُرادى . لقد شبهتنى أختكن بزوجها ولها العذر ، فإنى كما ترين أشبه عبد الله بن قُرط الثُّمالى .

أميمة : واخجلتاه ما عرفت أنه غيره إلا من صوته .

قيس : اسمعى ياأخت العرب ، وإياكن جميعا أعنى . قبح الله امرأة تودد لزوجها — وهذا عدوها قد نزل بساحتها — إن لم يقاتل عنها .

إحداهن : ويلك ياابن هُبيرة ، قل ذلك للرجال فليس بيننا معشر النساء من ذكرت .

قيس : وإذا أراد رجل من امرأته ذلك فلتحثُ التراب فى وجهه ، ولتقل له : اخرج فقاتل عنى وإلا فإنى لست بامرأتك .

(**يخرج**)

إحداهن : لك الله ياأميمة يا بنت أبى بشر الأزدية ، لقد عرضتينا لتقريع هذا الرجل .

أخرى : ونحن والله لسنا بحاجة إلى نصيحته فى هذا الشأن .

أميمة : بعضَ لومكن ، فقد والله ظننته ابن قُرط .

ثالثة : ففى ذلك مانلومك . ماأردتِ ويحك من ابن قُرط الساعة ؟

أميمة : ياأخواتى إن ابن قرط قدم من المدينة برسالة أمير المؤمنين ، وهو منهوك القوة بعد أن واصل السير ذهابا وإيابا دون توقف .

الثالثة : ويلك هذا أجدر ألا تندبيه إلى ماأردت ! (**يتضاحكن**)

أميمة : (**مغضبة**) تبًّا لكن . ألا تسمعن بقية قولى ؟

النسوة : لنسمع بقية قولها !

أميمة : إن زوجى لم يتعش البارحة .

النسوة : لماذا لم تعشيه ؟

أميمة : آثر بعشائه رجلين من أصحابه تعشيا عنده ، وكنتُ قد هيأت له عشاء طيبا اليوم ، فلما رأيته على السفح قلت أعشّيه الآن .

النسوة : تعشينه قبل صلاة المغرب ؟

أميمة : لأنه هالك من الجوع .

الثالثة : لو كان هالكا من الجوع لما قرَّعنا كل ذلك التقريع !

أميمة : (**فى حدّة**) ياعدوات أنفسهن . أنا أعنى زوجى عبد الله بن قُرط !

الثالثة : احمدى الله إذ لم يأكل هذا الرجل عشاءك . إذن لبات زوجك الليلة أيضا بلا عشاء .

(يتضاحكن ولا ينقطع ضحكهن إلا حينما سمعن صوت المؤذن لصلاة المغرب)

(ستــار)

المشهد الثالث

على فم السهل الواقع بين وادى العلان ووادى الرقاد : خلاء واسع ترى على يمينه بعض أخبية المسلمين .

يرى خالد بن الوليد وأبو عبيدة وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة واقفين أمام خيمة أبي عبيدة .

خالد : (**ينادى**) يا عياضُ بن غَنْم !

صوت : لبيك !

خالد : أنت أمير على الكردوس السابع والثلاثين . يا أبا الأعور السلَمى !

صوت : لبيك !

خالد : أنت أمير على الكردوس الثامن والثلاثين . يا ذا الكُلاع الحِمْيرى !

صوت : لبيك !

خالد : أنت أمير على الكردوس التاسع والثلاثين . يا فضلُ بن عباس ابن عبد المطلب !

صوت : لبيك !

خالد : أنت أمير على الكردوس الأربعين . يا ابن عم رسول الله أنت مسك الختام . يا معشر المسلمين لقد قسمتكم كراديس



لتنافسوا فى قتال العدو ، وليُعرف لكل منكم بلاؤه أو تقصيره ، فعلى كل كردوس أن يطيع أميره ، وعلى أميره أن يطيع قائده فى الميمنة أو الميسرة أو القلب . انصرفوا يرحمكم الله إلى مواقعكم .

(تسمع حركة انصرافهم ، ويقل الضجيج شيئا فشيئا حتى يسود السكون)

خالد : **(يلتفت إلى أمراء الأجناد)** أتدرون أين نحن الآن وأين الروم ؟ الروم داخل هذا السهل المحصور بين الواديين وبين النهر والبحيرة . ونحن على فمه ، فلا مهرب لهم إن أرادوا الهرب إلا من خلالنا أو من خلال الواقوصة .

عمرو : أجل حُصِرتْ والله الروم . وقلما جاء محصور بخير .

خالد : تلك هى المكيدة يا ابن العاص .

عمرو : لله أنت يا أبا سليمان . والله لا أعترض عليك فى شىء بعدها أبدا .

خالد : هلموا إذن معى نستطلع جميعا هذه الناحية ، لنزداد بها علما إن كان كون . هلموا إلى الخيل .

أبو عبيدة : وأنا يا سليمان ألا أذهب معكم ؟

خالد : بل تبقى هنا فى خيمتك ليفىء إليك الناس .

أبو عبيدة : مطاع أمرك يا أبا سليمان .

(يخرج خالد وعمرو ويزيد وشرحبيل)

(يجلس أبو عبيدة على الأرض أمام خيمته يصقل سيفا له

ويقلب أسهما فى يده يريشها ويصلحها، وعنده معاذ بن جبل) . (يدخل رومانوس ومعه جندى رومى)

أبو عبيدة : من هذا الذى معك يارومانوس ؟

معاذ : هذا رسول من باهان قائد الروم .

أبو عبيدة : هل يحسن العربية ؟

جرجه : (**بلكنة**) نعم أحسنها .

أبو عبيدة : (**ينهض فى بشر**) مرحبا بك ياأخاالروم .

جرجه : اسمى جرجه ولست برومى ولكنى أرمنى .

أبو عبيدة : ألا تجلس يا جرجه ؟

جرجه : أين أجلس ؟

أبو عبيدة : هنا حيث أجلس .

جرجه : أنت حقا أميرهم ؟

رومانوس : ويلك أوَ تظننى قد غششتك ؟

أبو عبيدة : دعه يسأل ما بدا له . نعم أنا أميرهم يا جرجه .

جرجه : أبو عبيدة ؟

أبو عبيدة : أبو عبيدة .

جرجه : أليس لك مكان تجلس فيه خير من هذا ؟

أبو عبيدة : فى هذا الحر الشديد ليس أحسن من هذا الظل .

جرجه : هكذا على الأرض دون بساط ولا وساد ؟

أبو عبيدة : نحن عباد الله يا جرجه ، نمشى على الأرض ونجلس عليها ونأكل عليها ونضطجع عليها وليس ذلك بناقصنا عند الله شيئا ، بل تعظم به أجورنا وترفع به درجاتنا .

جرجه : لكنك أنت أميرهم ، وهـذا مجلس لا نرضاه عندنـا لغير العبد .

أبو عبيدة : الأمير والعبد عندنا سواء ، كلاهما عبد الله ، وإنما نتفاضل بالتقوى والإحسان .

جرجه : أرأيت إن كنت جالسا على وسادة أو كان تحتك بساط ، أكان ذلك مما يُنكره دينكم أو يحرمه ؟

أبو عبيدة : لا .. إن الله أحل لنا هذه الطيبات .

جرجه : فما يمنعك إذن من ذلك ؟

أبو عبيدة : أنا لا أملك البساط ولا الوساد .

جرجه : فكيف إذن تنام ؟

أبو عبيدة : أتوسد سرج جوادى وأشتمل بردائى .

جرجه : أفقير أنت ؟

أبو عبيدة : الله وحده هو الغنى . لقد احتجت أمس إلى نفقة من أجل امرأتى فاقترضت من أخى هذا . (**يشير إلى معاذ**)

جرجه : أهو أغنى منك ؟

أبو عبيدة : ليس أحد منا بأغنى من أحد ، ولكن أحدنا قد يملك اليوم ما لا يملكه أخوه ، ثم يكون عند أخيه غداً ما ليس عنده هو ، فيُقرض بعضنا بعضا .

جرجه : إذن فلو كنت تملك البساط والوساد لجلست على ذلك ؟

أبو عبيدة : كلا ، ما كنت لأتخذ البساط والوساد وفى هؤلاء المسلمين الذين معى من لا يجد غير الأرض فراشا له .

جرجه : أينكرون عليك ذلك لو فعلت ؟

أبو عبيدة : أنا أنكره على نفسى قبل أن ينكروه هم علىّ .

جرجه : لكنك أنت أميرهم .

أبو عبيدة : ذلك أحرى ألا أستأثر دونهم بشىء .

(يصمت جرجه فى دهش وتعجب)

معاذ : ياأخا الأرمن ألا ترى أنك منعت أميرنا من الجلوس ، لأنك لم ترد أن تجلس فنجلس معك ؟

أبو عبيدة : **(يخلع رداءه من كتفه ويبسطه على الأرض)** اجلس ياأخا الأرمن على هذا الرداء لنجلس معك .

جرجه : **(قد غلبه التأثر)** لا والذى يُحلف به ، لا أجلس إلا على الأرض مثلكم .

(يرفع الرداء عن الأرض ويجلس ، فينظر إليه أبو عبيدة ومعاذ متعجبين)

أبو عبيدة : إنى لأرجو أن يكون الله قذف فى قلبه الإيمان .

رومانوس : لقد صدقت فراستك ياأباعبيدة . ما جاء إلا ليعلن لكم إسلامه .

أبو عبيدة ومعاذ : **(فرحين)** الحمد لله . يهدى الله لنوره من يشاء .

رومانوس : هذا خالد بن الوليد قد أقبل .

أبو عبيدة : هلم ياأباسليمان .

خالد : **يظهر)** بلغنى أن عندك رسولا من باهان .

أبو عبيدة : اجل .. أبشر ياأباسليمان .

خالد : ما البشرى ؟

أبو عبيدة : لقد أسلم .

خالد : من ؟

أبو عبيدة : (**يضرب على كتف جرجه**) رسول باهان هذا الذى بين يديك .

خالد : خبرنى يا رسول باهان .

جرجه : أنا اسمى جرجه .

خالد : خبرنى يا جرجه ، هل أرسلك إلينا باهان لتعلن لنا إسلامك؟

جرجه : (**يبتسم**) لا يا سيدى . لو علم حقيقة ما فى قلبى لقتلنى .

خالد : فلأى شىء أرسلك ؟

جرجه : لم يعُد باهان يعنينى الآن ولا رسالته . أنا لن أعود إليه . سأبقى عندكم وأقاتل معكم .

خالد : أليس يثق بك باهان يا جرجه ؟

جرجه : بلى يا سيدى .. أنا أرمنى مثله .

خالد : فمن تمام قتالك معنا أن تعود إليه .

جرجه : (**ينظر إليه متعجبا**) صدقت .. صدقت .

خالد : ألا تعرف أبا بشير الطنوخى ؟

جرجه : بلى أعرفه . فاحذروه إن جاءكم مرة أخرى فإنه يعمل جاسوسا لباهان .

معاذ : جاسوسا لباهان ؟

جرجه : نعم .

معاذ : والفلاح الدمشقى الذى كان معه ؟ ذاك الذى كان يتظلم ويتشكى من ظلم الروم ؟

جرجه : هذا الفلاح قتلوه .

معاذ : قتلوه ؟

جرجه : جزاء اتصاله بكم وتظلمه إليكم .

معاذ : وتركوا التنوخى صاحبه ؟

جرجه : التنوخى جاسوسهم ، وقد استدرج ذلك الفلاح الموتور فاصطحبه إليكم حتى لا تداخلكم ريبة فى أمره .

معاذ : لا حول ولا قوة إلا بالله . إذن فقد تجسس علينا ذلك العربى من تنوخ . قبحه الله وقبح ما جاء من أجله .

خالد : كلا لا تشتمه يا معاذ ، فقد كان صاحب الفضل علينا .

معاذ : أى فضل ؟

خالد : نقل إلى باهان ما أردنا أن ننقله إليه وهو لا يدرى .

أبو عبيدة : كأنك كنت تعلم يومئذ أنه جاسوس ؟

خالد : كما أعلم أنك أمين هذه الأمة .

جرجه : (**معجبا**) إنى أريد أن ألزمك يا سيدى وأقاتل معك .

خالد : ذلك يسرنى منك يا جرجه . إنك صادق أمين . ولكنك لم تخبرنى فيم بعثك إلينا باهان ؟

أبو عبيدة : أجل إنك لم تخبرنا برسالة باهان .

جرجه : يا سيدى إنها رسالة سخيفة .

خالد : ما على الرسول إلا البلاغ .

جرجه : (**ينظر إلى خالد**) إنها تتعلق بك .

خالد : تتعلق بى ؟ ترى ماذا تكون ؟

جرجه : قد بلغه أن عندك قبة حمراء من الأدم ، وفرسا عتيقا لا يبارى .

خالد : أجل عندى ذلك ، فماذا يريد ؟

جرجه : يريد القبة والفرس ، ليقدمهما هديتين طريفتين إلى هرقل يوم النصر .

خالد : عد إليه يا جرجه ، وخذ معك القبة والفرس .

معاذ : ما هذا يا خالد ؟ أمن أجل أنه اشتهى قبتك وفرسك تبعث بهما إليه ؟

خالد : لأستردهما وشيكا منه فى المعركة . (**يلتفت إلى جرجه**) قل له يا جرجه : يقول لك خالد بن الوليد إن كنت حريصا على إهداء القبة والفرس إلى هرقل ، فأرسلهما إليه فى الحال ، فإنك لن تعيش حتى تقدمهما إليه .

جرجه : لقد تحداك باهان ، وهذا خير رد على تحديه .

(ستار)

المشهد الرابع

فى معسكر الروم

فسطاط باهان الفخم ، حيث يرى باهان جالسا على كرسيه وحوله قواده وخاصة رجاله ، فيهم جرير وابن قناطر والدرنجار وجبلة بن الأيهم وجرجه .

الدرنجار : وهل كنت تعلم حينئذ بأمر هذا الفخّ ؟

ابن قناطر : يكفى أننى حذرتكم .

الدرنجار : حذرتنا من أمر لم تكن تعرفه .

ابن قناطر : ألم أقل لكم إنى أخشى أن تكون حركة العرب إلى الشمّال مكيدة من قائدهم خالد ؟

الدرنجار : لكنك لم تشرح لنا ماوجه المكيدة .

ابن قناطر : وجه المكيدة ما نحن فيه الآن . محصورون بين الواديين وبين النهر والعدو .

جرير : المحذور قد وقع ، فما فائدة الجدال الآن ؟

باهان : أراكم تهوّلون من هذا الحصار ، كأنما قد أيقنتم بالهزيمة ويئستم من النصر . هذا وادى الرقاد أمامنا نستطيع أن نجتازه إلى الشمال ، وهذا وادى العلان خلفنا نستطيع أن نجتازه إلى الجنوب .

ابن قناطر : أليس فى وسع خالد أن يرسل خيله شمالا وجنوبا ، فيحول بيننا وبين الحركة ؟

الدرنجار : وكم عدد خيله حتى يبددها شمالا وجنوبا ؟ بأى خيل يقاتل بعد ذلك ؟

ابن قناطر : إنه يملك فم هذا السهل ، فلا حاجة به إلى أن يقاتلكم هنا بخيله .

جرجه : اخفضوا أصواتكم يا قوم ، فإنى لا آمن أن يُنقل هذا الرأى إلى خالد فيعمل به .

ابن قناطر : خالد ليس بحاجة إلى أن يقتبس من آرائنا .

باهان : ومنذا عسى أن ينقله إلى خالد ؟

جرجه : جاسوس من جواسيسه .

باهان : هل يوجد بيننا جاسوس ؟

جرجه : ربما .

باهان : أتعرفه ؟

جرجه : ربما .

باهان : من ؟

جرجه : أبو بشير التنوخى مثلا .

جبلة : زن كلامك يا جرجه . أبو بشير جاسوس لنا لا علينا .

جرجه : وما يمنعه أن يكون غدا علينا ؟ أليس هو عربيا مثلهم ؟

جبلة : إنى أحتج على هذا القول منك . كأنك تتهمنا جميعا نحن معشر العرب بعدم الإخلاص لقيصرنا هرقل .

جرجه : إنى لا أريد أن أتهم أحدا ، ولكنى لو كنت عربيا ورأيت هؤلاء القوم ، لما استطعت أن أحافظ على ولائى للروم !

جبلة : أنت إذن غير مخلص لقيصر .

جرجه : لماذا ؟ هل قال لك أحد إن هؤلاء المسلمين من الروم أو من الأرمن ؟

جبلة : أتسمع يا باهان ماذا يقول ؟

باهان : كفى يا جرجة . يجب أن تعلم أن أميرنا جبلة صديق قيصر الأمين .

جرجه : إنى ما اتهمته هو يا سيدى ، وإنما اتهمت أبا بشير التنوخى .

جبلة : أبو بشير هذا من رجالى .

باهان : لا تتعرض لأبى بشير ولا لغيره .

جرجه : سمعا يا سيدى . لن أتعرض لأى عربى من أتباع أميرنا جبلة ولو خاننا أو تجسس علينا .

جبلة : قسما يا باهان لقد تغير جرجه منذ رجع من عندهم .

باهان : تغير ؟ كيف ؟

جبلة : لا أدرى كيف ، ولكنه تغير لا شك .

جرجه : أجل تغيرت ، لأنى أصبحت أعرف أشياء كثيرة !

جبلة : ماذا تعنى ؟

جرجه : كلا . لا داعى لأن أغضبك مرة أخرى أيها الملك !

باهان : أراك تتكلم بالأحاجى والألغاز يا جرجه .

جرجه : من لم يسعه التصريح وسعة التلميح والتلويح .

جبلة : والله يا باهان لولا مكانه منك ، لعلمتُه كيف يحترم الملوك .

جرجه : الآن اطمأننت .

باهان : اطمأننت على ماذا ؟

جرجه : على أن أميرنا جبلة لن ينضم إلى هؤلاء الناس أبدا . أتدرى لماذا ؟

باهان : لماذا ؟

جرجه : لأن هؤلاء الناس ليس عندهم ملوك ولا سوقة . الناس عندهم سواسية .

جبلة : لو كنت تتوخى الحق لقلت إننى نصرانى ولن أغير دينى ، وإنى صديق قيصر ولن أخونه ، وإن هذه الأرض أرض آبائى وأجدادى فلن أنزل عنها لهؤلاء الغرباء .

جرجه : غرباء وهم يتكلمون بنفس اللسان الذى تتكلم به ؟ فماذا يكون الروم إذن ؟

جبلة : الروم بيننا وبينهم صلات قديمة .

جرجه : صلات الدم والنسب والقربى أقدم وأوثق !

جبلة : ويلك ماذا تريد ؟ أتريد أن تحرضنى على خيانة قيصر ؟

جرجه : كلا يا ملك العرب ؟ بل أنا حريص على ألا يُخدع قيصرنا ولا يُخان !

(يدخل الحاجب)

باهان : ماذا وراءك ؟

الحاجب : فرموس يا سيدى يستأذن .

الجميع : **(فى صوت واحد)** فرموس !!

باهان : ويله ماذا رجع به ؟ دعه يدخل .

(يخرج الحاجب ثم يدخل فرموس وعلى وجهه الحزن الشديد)



فرموس : معذرة يا سيدى القائد .

باهان : ما خطبك ؟ ماذا دهاك ؟ لماذا رجعت ؟

فرموس : هاجمونا فى الطريق .

باهان : من ؟

فرموس : العرب .

باهان : العرب ؟ أىُّ العرب ؟

جبلة : قل المسلمون ولا تقل العرب ، فإننا نحن أيضا عرب .

(يتبادل وجرجه النظرات)

فرموس : أجل .. المسلمون .

باهان : وكيف أدركوكم ؟

فرموس : وجدناهم بغتة أمامنا .

باهان : أمامكم ؟ من أين جاءوا ؟

فرموس : لا أدرى . كأنما انشقت عنهم الأرض .

باهان : وأين جماعتك ؟

فرموس : قتلوا جميعا فى الميدان .

باهان : وأنت فررت عنهم وأنت قائدهم لتنجو بحياتك ؟

فرموس : كلا يا سيدى ، وإنما أبقوا علىّ عمدا لأعود إليكم بالْخَبَر وبالقُبة والفرس .

الجميع : بالقبة والفرس ؟

فرموس : نعم .

باهان : ويل لهم ما كان قصدهم من ذلك ؟

فرموس : قال لى رئيسهم : قل لقائدك باهان إننا تمكنا من استرداد القبة والفرس قبل المعركة ، فخذها ثانية وحاول أن تمنعنا من استردادهما مرة أخرى إن استطعت !

باهان : (**مغضبا**) ويل له لأرينّه الساعة ! جرجه !

جرجه : نعم يا سيدى .

باهان : اذهب فأحرق القبة واقتل الفرس !

جرجه : (**فى استكبار**) أحرق القبة وأقتل الفرس ؟

باهان : (**فى حدة**) أجل .

ابن قناطر : كلا يا سيدى لا ينبغى أن تفعل ذلك .

باهان : لم لا ؟ حتى لا تراهما عين صاحبهما مرة أخرى .

ابن قناطر : إنه يا سيدى يتحدانا بذلك . فعلينا أن نهزمه فى الميدان لا أن نحرق قبته هنا ونقتل فرسه .

الدرنجار : بل تخلَّص منهما يا سيدى وأرح نفسك .

ابن قناطر : ليكونَنّ ذلك سُبة نُعيّر بها نحن الروم إلى الأبد .

الدرنجار : إنما السبة هى أن نمكنه من استردادهما مرة أخرى .

ابن قناطر : يا داعى الهزيمة ! من قال لك إننا سنمكنه من ذلك ؟

باهان : ماذا ترى يا جبلة ؟

جبلة : الرأى عندى ما رأى ابن قُناطر .

جرجه : أصبتَ يا ملك العرب . إن العرب تعبد الخيل العتاق ولا تقتلها أبدا .

جبلة : (**ينظر إليه شزرا دون أن يجيب**) ...؟

باهان : (**يصمت هنيهة ثم يلتفت إلى فرموس**) وكيف استطعت أن تعود بهما وحدك ؟

فرموس : كلا يا سيدى القائد ما عدت بهما وحدى . لقد رافقنى جماعة منهم حتى الجانب الذى يلينا من وادى الرقاد .

الدرنجار : لقد خدعوك يا فرموس . جعلوك تدلهم على الطريق المفتوح لنا إلى الشمال .

فرموس : وماذا كان فى وسعى أن أفعل ؟

الدرنجار : كان عليك أن ترفض ولو قتلوك .

ابن قناطر : والله إنى لفى عجب من أمركم . كيف تتوهمون أن هذا الطريق يخفى أمره على هؤلاء الشياطين ؟ ألم أقل لكم آنفا إن فى وسع هذا القائد العربى أن يبث خيله شمالا وجنوبا ليحول بيننا وبين الحركة ؟

الدرنجار : أضف الآن آية جديدة إلى قائمة انتصاراتك وتنبؤاتك !

ابن قناطر : وأضف أنت آية جديدة إلى قائمة هزائمك وتوهماتك .

باهان : (**مغضبا**) أليس لنقاركما هذا من آخر ؟ إنى أريد أن أفكر فى هذا الخطب الفادح الذى أصابنا اليوم ، فإن لم تكفا عن نقاركما فاخرجا من عندى . (**يصمت الجميع هنيهة**) خبرنى يا فرموس كم كان عدد الفرسان الذين هاجموكم ؟

فرموس : لا يقلون عن خمسمائة فارس .

باهان : خمسمائة ؟

فرموس : إن لم يكونوا أكثر .

باهان : خمسمائة من أجل عشرين ؟

ابن قناطر : لا ريب أن لهم هدفا آخر غير هؤلاء .

باهان : ماذا يكون ؟

ابن قناطر : ربما يريدون قطع الطريق بيننا وبين الشمال ، فلا يصل إلينا من قيصر بريد ولا مدد .

باهان : (**كأنما يتذكر أمرا كان قد أنسيه**) وأين الرسالة يا فرموس ؟ أين الرسالة التي كنت تحملها منى إلى قيصر ؟

فرموس : مزقتها يا سيدى القائد كيلا تقع فى أيديهم .

باهان : أحسنت يا فرموس . هم إذن لا يعرفون خطتنا حتى الآن .

ابن قناطر : إنى أرى يا سيدى القائد أن نهاجمهم فى الحال .

الدرنجار : بل الرأى أن ننتظر حتى يبادئونا هم بالقتال .

ابن قناطر : لن يبادئونا بالقتال أبدا . إنهم فى السعة ونحن فى الضيق ، فلنهاجمهم قبل أن يزدادوا سعة ونزداد نحن ضيقا .

باهان : كلا لا ينبغى أن نهاجمهم إلا بعد أن يكون لنا قوة من الفرسان تطوقهم من الخلف . هذه هى الخطة .

ابن قناطر : فلنرسل الفرسان الآن قبل أن يسد فى وجهنا أيضا طريق وادى العلان من الجنوب .

باهان : ماذا ترى يا جبلة ؟

جبلة : الرأى ما ترى .

باهان : ليس لها غير فرسانك يا جبلة ، فإنهم أخف وأسرع وأشبه بفرسان العدو .

جبلة : حبا وكرامة ، إن شئت انطلقت بهم فى الحال .

باهان : انتظر حتى تنطلق بهم تحت ستار الليل .

جبلة : ائذن لى حتى أوذنهم بذلك . (**يخرج**)

جرجه : إياك يا سيدى أن تبعث هؤلاء العرب وحدهم . أرسل معهم جماعة من الروم ليكونوا رقباء عليهم .

ابن قناطر : ما خطبك يا جرجه ؟ ما هذه النغمة الجديدة التى نسمعها منك ؟ أتريد أن تفرق بيننا وبين هؤلاء العرب ؟

جرجه : ما أريد إلا أن نأمن غدرهم وتواطؤهم مع بنى جنسهم .

ابن قناطر : ما سمعناك تقول هذا إلا بعد ما عدت من عند هؤلاء .

جرجه : أجل ، ما تبينت الخطر إلا بعد ما خالطتهم فوجدتهم لا يختلفون عن العرب الذين معنا فى أى شىء ، اللهم إلا فى إيمانهم بالرسالة العظمى التى يحملونها إلى البشر قاطبة .

ابن قناطر : أراك تتحدث عنهم كأنما تؤمن برسالتهم !

جرجه : (**يرسل قهقهة عالية**) ما بقى إلا هذا يا ابن قناطر . هكذا يزعم هؤلاء المسلمون . وأنا أحدثكم بما يزعمون .

(**يدخل الحاجب**)

الحاجب : أبو بشير التنوخى يا سيدى القائد .

باهان : دعه يدخل .

(**يدخل الحاجب ثم يدخل أبو بشير**) ماذا وراءك يا أبا بشير ؟

أبو بشير : جئتك يا سيدى القائد بأنباء جديدة عن العدو .

(**يتلفت يمنة ويسرة كأنه يخشى أن يكون بين الحاضرين من لا يؤتمن على السر**)

باهان : هات ما عندك فليس بيننا غريب .

أبو بشير : جاءهم منذ أيام مدد من المدينة يبلغ ألفى رجل ، وهم ينتظرون مددا آخر عما قريب .

باهان : وماذا أيضاً ؟

أبو بشير : قسم خالد خيله إلى أربعين كردوساً ، وجعل على كل كردوس أميراً من شجعانهم .

باهان : (**مستهولا**) أربعين كردوساً ؟

جرير : سله أولا كم فارساً فى الكردوس الواحد ؟

باهان : كم ؟

أبو بشير : من مائتين إلى ثلثمائة .

باهان : فقط ؟

أبو بشير : فقط .

باهان : لو قسمنا خيلنا على هذا النحو لكان عندنا أكثر من أربعمائة كردوس .

جرجه : لكن لا تنس يا سيدى أن فى خيلنا ستين ألف فارس من العرب !

باهان : (**فى شىء من الحدة**) من عربنا نحن !

جرجه : أجل من عربنا نحن ، ولكن خيل خالد لا روم فيها ولا أرمن !

ابن قناطر : إن جرجه لا يفتأ يمجّد المسلمين وخيلهم وقائدهم .

جرجه : لأنذركم حتى لا تستهينوا بأمرهم .

ابن قناطر : اطمئن ، فليس فينا من يستهين بأمرهم .

باهان : وماذا أيضا ياأبا بشير ؟

أبو بشير : ومنذ أيام توجه خالد صوب دمشق فى كردوسين .

فرموس : لا بد أنه رئيس الكوكبة الذين هاجمونا فى الطريق ؟

أبو بشير : صفه لى ؟

فرموس : عملاق أبيض على فرس أشقر ، يضع على رأسه قلنسوة سوداء .

أبو بشير : أجل ، ذاك خالد بعينه .

باهان : وماذا أيضا ياأبا بشير ؟

أبو بشير : هذا كل ما عندى يا سيدى القائد .

(يومئ له باهان بالانصراف فينصرف)

جرجه : ألا يحتمل يا قوم أن جاسوسكم هذا هو الذى نقل إليهم خبر سرية فرموس ؟

باهان : ويلك ماذا تقول ؟

جرجه : لا تتعجل علىَّ يا سيدى ، ألم يذهب إلى معسكرهم قبل سير السرية بيوم واحد ؟

ابن قناطر : هذا ليس بدليل قاطع .

الدرنجار : ومن لنا بالدليل القاطع فى مثل هذا الأمر ؟

ابن قناطر : لا ينبغى أن نتهم أحدا بغير دليل .

الدرنجار : القرائن تقوم أحيانا مقام الدليل .

باهان : ويلكم ، ما لنا جاسوس يثق به المسلمون غير هذا الرجل ، فإذا فقدناه لم نجد غيره .



الدرنجار : لكن يجب أن نتثبت أولا أنه جاسوس لنا لا جاسوس علينا .

جرجه : وإلا فخير لنا أن لا يكون لنا جاسوس ألبتة ، من أن يكون لنا جاسوس نرتاب فى أمره .

باهان : (**يصمت فى حيرة ثم ينفجر فى حدة**) ويلكم ، لقد جعلتمونى أشك فى كل شىء . اخرجوا من عندى ! (**ينهض الجميع ليخرجوا**) ابق أنت يا ابن قناطر . (**يخرج الجميع ما خلا ابن قناطر**) ماذا ترى يا ابن قناطر فى هذا الذى سمعت ؟

ابن قناطر : تريد رأيى حقا ؟

باهان : نعم .

ابن قناطر : ولا تغضب ؟

باهان : ماذا يغضبنى ؟

ابن قناطر : أنا لا أرتاب فى أبى بشير ، ولكن فى جرجه .

باهان : فى جرجه ؟

ابن قناطر : أجل ، يخيل إلىّ أنه باع نفسه للمسلمين .

باهان : (**غاضبا**) هيه ، إنما تطعن فيه لأنك تحسده .

ابن قناطر : أحسده ؟ علام أحسده ؟

باهان : أنتم تحسدوننا نحن الأرمن .

ابن قناطر : علام نحسدكم ؟

باهان : على مكانتنا عند قيصر ، وتقديمه إيانا عليكم ، واعتماده علينا دونكم .

ابن قناطر : بل أنتم الذين تحسدوننا معشر الروم ، لأننا قوم قيصر ، ولنا السيادة والحكم .

باهان : اخرج من عندى .

ابن قناطر : لست بحاجة إلى أن تأمرنى . (**يخرج**)

(يتلفت باهان حوله فى حيرة وغضب)

(ستـار)

المشهد الخامس

جانب من فم السهل الواقع بين وادى العلان ووادى الرقاد .

خيمة القيادة فى صدر المنظر ، ومن خلفها إلى اليمين يرى الجزء الأسفل من السفح الذى ينتهى إلى التل الذى ترابط فيه نساء المسلمين . وأمام الخيمة ساحة تتصل بميدان القتال الواقع إلى اليسار (خارج المنظر) .

يرى خالد واقفا ، وعنده عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان وسعيد بن زيد وشرحبيل بن حَسَنة وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل .

خالد : هاتوا ما عندكم فإنى مصغ إليكم .

عمرو : قد كنت جعلت لى عشرة كراديس على الميمنة ، وقد عرضتهم اليوم فلم أجد غير أربعة .

يزيد : وكذلك عندى فى الميسرة . ما بقى من كراديسها العشرة غير أربعة .

خالد : أرسلتهم ليحاربوا عنكم فى الشمال وفى الجنوب .

عمرو : هلا تركت المجنّبتين وأخذت من القلب ؟

خالد : أجبه يا أبا عبيدة ، فإنه لا يعلم أنى أخذت من عندك اثنى عشر كردوسا .

يزيد وعمرو : اثنى عشر كردوسا ؟

أبو عبيدة : نعم .. لم يبق من القلب غير ثمانية كراديس .

عمرو : المعركة هنا تدور يا أبا سليمان لا هناك .

خالد : لن نكسب المعركة هنا إلا بأولئك الذين يحمون ظهورنا هناك .

عمرو : أربعة وعشرون كردوسا من أجل حماية الظهر ؟

خالد : وددت والله لو زدت فى عددها .

عمرو : والله يا خالد لقد أسرفت .

خالد : ما خطبك يا ابن العاص ؟ ألم تقْسم لى ذلك اليوم أنك لا تعترض علىّ فى شىء بعدها أبدا ؟

عمرو : لا أسكت حتى تبيّن لى خطتك ، فأكون على بصيرة أنا ومن معى .

خالد : يا أبا عبد الله هلا سألتنى ذلك من أول الأمر ! تعلمون أننا حصَرنا الروم فى هذا السهل .

الجميع : أجل .

خالد : ولن يكمل الحصار ما بقى لهم معبر من وادى الرقاد إلى الشمال ، ومعبر من وادى العلان إلى الجنوب ؟

يزيد : أتخشى يا أبا سليمان أن يجيئهم مدد من هذين الوجهين ؟

خالد : ليس المدد ما أخشاه ولكن الهرب .

يزيد : تخشى أن يهربوا من خلالهما ؟

خالد : نعم حين يركبهم الفزع والوهل ، وحينئذ سيجدون فرساننا بالمرصاد لهم هناك يسدون عليهم كل منفذ ، فلا يجدون أمامهم غير الياقوصة يتهاوون فيها .

عمرو : هذا حسن ياأبا سليمان، ولكن أربعة وعشرين كردوسا كثير بعد .

خالد : بل قليل ياعمرو .. إنهم يحمون ظهورنا أيضا من فرسان جبلة بن الأيهم . وهم ستون ألفا .

عمرو : ربما يقاتل هؤلاء هنا فى هذا الميدان .

خالد : إن باهان قد شعر الآن بالفخ الذى وقع فيه ، ولا مخرج له إلا أن يرسل أولئك الفرسان الخفاف من العرب ليطوقونا من الخلف ، فيزحزحونا من هذا المضيق .

عمرو : وإذا لم يفعل ؟

خالد : فلن نخسر شيئاً ، ففى وسع كراديسنا الأربعة والعشرين أن توقع بهم من خلفهم ، فتكون أنكى عليهم هناك مما لو بقيت هنا .

عمرو : إنك أرسلت أكثر من نصف الخيل هناك ، فلمن عقدت عليها؟

خالد : لعبادة بن الصامت وعمير بن سعد على فرقتى الشمال ، ولسعيد بن عامر على فرقة الجنوب .

عمرو : الثلاثة جميعا من الأنصار ؟

خالد : نعم ، لأن هؤلاء الغسانيين من أتباع جبلة يمتون إلى الأوس والخزرج بنسب ، فرجوت أن يكونوا رسل سلام إليهم .. هل لديكم من سؤال بعد ؟

الجميع : جزيت خيرا ياأبا سليمان . لقد كفيت وشفيت .
خالد : فهيا ارجعوا إلى مواقعكم يرحمكم الله . (**يهمون بالانصراف ولكنه يستوقفهم**) بل انتظروا قليلا .. هذا فارس منهم قد أقبل يحمل راية السلام . هذا جرجه !
أبو عبيدة : أجل .. هذا صاحبنا جرجه .
شرحبيل : ترى ماذا يريد !
يزيد : هل تثقون بإخلاصه ؟
(ينقطع صوت حوافر جواد القادم ثم يظهر جرجه)
أبو عبيدة : مرحبا مرحبا بجرجه .
جرجه : السلام عليكم .
الجميع : وعليكم السلام ورحمة الله .
جرجه : أنارسول باهان إليكم ، فهل أستطيع أن أؤدى رسالته الآن ؟
خالد : أدها يا جرجه ، فليس دون هؤلاء سر .
جرجه : (**فى لهجة الصديق للصديق**) باهان فى كرب شديد ، ولا سيما بعد ماانهزم فرسان جبلة بن الأيهم فى الشمال والجنوب فارتدوا مدحورين ، ولم يرجع جبلة ولا يعرف أحيٌّ هو أم قُتل .
أبو عبيدة : حمدا لك اللهم .. هذه بشرى عظيمة يا جرجه .
جرجه : وقد أيقن باهان اليوم أن جيشه سيباد بأكمله إن لم يخرج به من هذا الحصار المضروب عليه . ولذلك بعثنى لأعرض عليكم هدنة ينسحب فى أثنائها جيش الروم جميعا من هذا

السهل ، على أن تعود الحال فيما بينكم وبينهم من قبل ، فيعودوا هم إلى أنطاكية وقيسارية ، وتعودوا أنتم إلى دمشق وحمص وسائر المدن التي أخليتموها فى الشمال .

خالد : (**مداعبا**) وتنصحنا بأن نقبل ؟

جرجه : أين إسلامى إذن يا خالد ؟

خالد : (**باسما**) ليت شعرى هل استطعت أن تنفذ شيئا مما اتفقنا عليه ؟

جرجه : بحذافيره . أغريت بعضهم ببعض حتى أفسدت ما بين الروم والعرب ، وما بينهم وبين الأرمن .

خالد : بوركت يا جرجه . أنت والله خير لنا من كتيبة .

جرجه : الفضل فى ذلك لك .

خالد : ارجع إلى باهان وقل له : الآن بعدما أصبحت وجيشك فى قبضتنا تطلب الهدنة ؟ اخدع رجلا غيرى .

جرجه : استعدوا إذن ، فإنه سيوجه هجمة شديدة على هذا المضيق لا يألو فيها جهدا ليفلت بجيشه من هذا الحصار .

(**يتحرك للانصراف**)

خالد : إلى لقاء قريب . تصحبك السلامة . (**يخرج جرجه**)

عمرو : لله درك يا خالد . ما من أمر إلا أعددت له عدته .

شرحبيل : كانت الكراديس تقاتل المشركين هناك وتوقع بهم ، ونحن هنا نلومك على أنك أرسلتها !

معاذ : سيف الله حقا كما سماه رسول الله ﷺ .

أبو عبيدة : (**يحتضن خالدا فى حب وإعزاز**) بخ بخ يا أبا سليمان .

خالد : (**تدركه الرقة**) يا أمين هذه الأمة ، ويا أصحاب رسول الله ، وددت والله لو سُلبتُ كل هذا ولم أكن رُعتُ به نبى الله والمسلمين فى أُحد ! (**يترقرق الدمع فى عينيه**)

أبو عبيدة : خفّض عليك فإن الإسلام يجبّ ما قبله .

خالد : أجل ، ولكنى كلما تذكرت يوم أُحد غص حلقى بمثل حسك السعدان .

خالد : (**يمسح دمعه**) هيا ارجعوا إلى مواقعكم قبل أن يدهمنا باهان . أنت يا عمرو كما أنت على الميمنة وأمامك الدرنجار ، وأنت يا يزيد كما أنت على الميسرة وأمامك ابن قناطر . أما أنت يا أبا عبيدة فكن فى مؤخرة القلب لترد المنهزم عند شدة الزحف ، وأنت معه يا معاذ بن جبل . وليكن سعيد بن زيد وشرحبيل بن حسنة فى مقدمة القلب أمامهما باهان وجرجير .

أبو عبيدة : مطاع أمرك يا أبا سليمان . (**يخرجون**)

(**تظهر من ناحية التل على اليمين أم تميم ، وخلفها جماعة من النسوة تتقدمهن أسماء بنت أبى بكر**)

أم تميم : وفد النسوة يا خالد .

خالد : مرحبا بالمسلمات المجاهدات . مرحبا بعقائل العرب .

أسماء : أرسلت فى طلبنا يا أبا سليمان ؟

خالد : نعم لترين فسطاطى هذا ، فإنى قد ضربته فى وسط هذا المضيق فلن يجوزه مهاجم من الروم ولا منهزم من المسلمين إلا على أشلائى وأشلاء رجالى . وإن التل الذى أنتن عليه

لَصِنْوُ هذا المضيق . فعليكنَّ أن تحمينه كما أحمى هذا المضيق ، فلا تدعن أحدا من الروم أو المسلمين يتوجه نحوكن إلا رميتنّه بالحجارة أو ضربتنه بالعناهر . يا معشر نساء المسلمين إنى أعتمد عليكن فى هذا اليومِ العصيب ، فلا يُؤتينَّ المسلمون من قِبلكن .

أسماء : يا أبا سليمان ترى منا ما يسرك إن شاء الله .

خالد : إن شاء الله . إلى أينِ يا أم تميم ؟

أم تميم : إلى التل معهن .

خالد : كلا ، أنت وأم حكيم تبقيان هنا عندى تحميان المضيق معى .

(تخرج النساء ما عدا أم تميم وأم حكيم) .

خالد : أليس خيرا لكما أن تكونا بقرب زوجيكما ؟

أم حكيم : وأين زوجى يا خال ؟

خالد : عكرمة ! تعال يا عكرمة !

(يدخل عكرمة من ناحية الشمال)

عكرمة : أتريد أن تبقيهما هنا يا خالد ؟

خالد : نعم ، لن أدعهما تبرحان هذا الفسطاط حتى يجىء نصر الله . انظر يا عكرمة ما ذاك ؟

عكرمة : ما أنا بأحد بصراً منك .

خالد : فارس من الروم قد أقبل لعله يريد المبارزة .

عكرمة : ومن ذاك الذى خلفه ؟

خالد : إن لم تكذبنى عينى فهو أبو بشير . أجل إنه هو .



أبو بشير : (صوته) أيها المسلمون ، من يشأ أن يذوق طعم الموت منكم فليبرز لهذا البطريق الذى لا يغلب !

صوت : دعنى أخرج إليه يا خالد .

خالد : لا يا ميسرة بن مسروق . أنت شيخ كبير وهذا الرومى شاب . فقف لنا رحمك الله فى كتيبتك ، فإنك ما علمت حسن البلاء عظيم الثناء .

صوت : إن أذنت لى كفيتكم .

خالد : عمرو بن الطفيل ! لا يا ابن أخى . أنت غلام حديث السن فابق على خيلك .

صوت : أنا يا خالد . دعنى أخرج إليه .

خالد : من أنت ؟

الصوت : أنا الحارث بن عبد الله الأزدى .

خالد : افعل منصورا إن شاء الله . على رسلك يا حارث !

الصوت : ماذا تريد ؟

خالد : هل بارزت بطريقا قط قبله ؟

الصوت : لا .

خالد : فلا تخرج إليه وليخرج إليه غيرك .

(يظهر قيس بن هبيرة أمام خالد)

قيس : يا خالد كأنك على تحوّط .

خالد : إى والله يا قيس بن هبيرة . أنت بارزت البطريقين يوم الجابية فقتلتهما ، فأرجوا أن تقتل هذا البطريق الثالث .

أبو بشير : (**صوته من بعيد**) لقد أطلتم على البطريق الانتظار ، فإن جبنتم عن لقائه فإنه سينصرف !

خالد : لأخرجن إليه يا قيس إن لم تفعل .

قيس : بل اترك لى هذا الفضل يا أبا سليمان .

(ينطلق خارجا ثم يسمع انطلاق الفرس به وصوته وهو يرتجز)

: سائـــــل نساء الحى فى حجـــــالها

ألستُ يوم الحرب من أبطـــــالها

ومقـــعص الأقـــران من رجـــالها؟

عكرمة : إنهما يتصاولان .

خالد : اللهم انصر قيس بن هبيرة !

عكرمة : أتخشى على قيس منه ؟

خالد : بل أستنصر الله له .

عكرمة : عجبا ، لقد كنت أظن أنه لا يثبت لقيس لحظة .

خالد : بل هو بطل صنديد غير هين . انظر إلى ضرباته وحيله .

عكرمة : أوَ قد عرفت ذلك من أول الأمر ؟

خالد : أجل ، قد توسمت ذلك من هيئته وسيمائه . ياليتنى أنا خرجت له .

عكرمة : الله أكبر ! خر العلج صريعا !

خالد : الحمد لله .

المسلمون : (**فى صوت واحد**) الله أكبر .. الله أكبر !

خالد : (**بصوت عال**) أيها المسلمون ، ليس بعد الذى ترون إلا الفتح والنصر . أبشروا فوالله لا يفلحون وأولهم فارس معفر فى التراب .

عكرمة : إنهم يهجمون يا خالد .

خالد : يا معشر المسلمين ، إن الروم يهجمون عليكم هجمة رجل واحد ليخلصوا إلى هذا المضيق ، فاثبتوا لهم ولا تتزحزحوا . الصبر الصبر ! فإنما ينتصر اليوم أصبر الفريقين على المكروه .

(يلتحم القتال ويسمع ضجيج الحرب وصليل السيوف وصهيل الخيل إلخ) .

عكرمة : ما أسرع ما حمى الوطيس .. ليتنى أقاتل يا خالد .. ولا أبقى هنا .

خالد : ويحك يا عكرمة .. إنك لتقاتل وأنت هنا .. هذا المضيق هو هدفهم من هذه الهجمة .

ضرار : (**صوته**) يا أبا سليمان !

خالد : ما وراءك يا ضرار ؟

ضرار : اشتد الهجوم على الميمنة حتى دخل فيها أمة كبيرة من العدو .

خالد : انطلق فقل لعمرو بن العاص يثبت فى موقعه ويُطْبق على أولئِك الداخلين ، وسنكفيه الذين أمامه من ميسرة العدو قيس بن هُبيرة !

صوت : نعم .

خالد : أنجدا الميمنة واكفياها ماأمامها .. يا قيس إن استطعت أن تقتل الدرنجار فافعل .

قيس : (**صوته**) لأقتلنه إن شاء الله .

صوت : أبا سليمان !

خالد : ماوراءك يا ضحاك بن قيس ؟

الصوت : انكشفت الميسرة وزالت عن مصافها ، وثبت أهل الرايات وأهل الحفاظ . وركبت الروم أكتاف المنهزمين .

خالد : القلنسوة يا أم تميم !. قف مكانى يا عكرمة ريثما أنجد هؤلاء .
(**تناوله أم تميم القلنسوة فيخرج مسرعا**) هلم يا قعقاع بن عمرو .. هلم يا رافع بن عُميرة .. انطلقا معى .
(**يدخل عمرو بن عكرمة فيقف بجانب أبيه**)

عمرو : انظر ياأبى .. المنهزمون يلجأون نحو التل وخلفهم جنود العدو .

عكرمة : أنت خفيف يا بنى ، فاصعد من هذا الجانب وأنذر النساء وساعدهن .

عمرو : كالبرق ياأبى . (**يخرج من ناحية التل**)

أم حكيم : ليحرسك الله يا بنى .

صوت : أبا سليمان !

عكرمة : ضرار بن الأزور .. ماوراءك ؟

الصوت : أين خالد ؟

عكرمة : خرج ينجد الميسرة وأنا مكانه ، فماوراءك ؟

الصوت : أطبقت الميمنة على من بداخلها من العدو فما نجا منهم أحد .

عكرمة : الحمد لله .

أم تميم : مره يا عكرمة يلحق بخالد ليبشره .

عكرمة : انطلق الساعة إلى خالد فى الميسرة فبشره ، وانظر ما يأمر وعد إلينا .

الصوت : سمعا يا عكرمة .

أم حكيم : انظرى يا أم تميم .. الذين صعدوا التل يهبطون فارين .

أم تميم : ووجوههم مخضبة بالدم .

عكرمة : لله در نساء المسلمين .

أم حكيم : وها هن النسوة يطاردنهم .

أم تميم : وابنك عمرو بينهن شاهرا سيفه !

أم حكيم : هلّا كنا معهن يا أم تميم !

أم تميم : خالك هو الذى أمر .

صوت : (**من ناحية التل**) يا قبّح الله امرأً يفر عن حليلته . وقبّح الله امرأً يفر عن كريمته .

صوت آخر : ردّدن معى يا نساء العرب :
يا هاربا عن نسوة تقيّات .

صوت المجموعة : يا هاربا عن نسوة تقيّات .

أم تميم : هذه خولة بنت ثعلبة .

الصوت : رُميت بالسهم وبالمنيّات .

المجموعة : رُميت بالسهم وبالمنيّات .

الصوت : أكنت ترضى أن نُرى سبيّات ؟

المجموعة : أكنت ترضى أن نرى سبيات ؟

الصوت : غير حظيّات ولا رضيّات ؟

المجموعة : غير حظيّات ولا رضيّات .

صوت : يا نساء المسلمين ، بأمر خالد بن الوليد ارجعن إلى مواقعكن برأس التل .

أم تميم : هذا صوت ضرار بن الأوز قد اتصل بخالد .

أم حكيم : وهذا هو خالى قد أقبل .

أم تميم : إنه جُرح (**تنطلق إلى داخل الخيمة ثم تعود ومعها عصائب وخرق**)

(يدخل خالد)

عكرمة : خيرا يا خالد .

خالد : نُفّس عن الميسرة وعادت إلى مصافها . وطلبت ابن قُناطر فلم أظفر به .. التف حوله صفوف من رجاله . ونازعتنى نفسى أن أغامر لأدركه فكبحتها إذ ذكرت هذا المضيق ، وليتنى ما فعلت !

(يدنو من أم تميم ويكشف لها عن جرح فى ساعده الأيسر فتعالجه وتربطه)

عكرمة : بل أحسنت صنعا يا خالد ، فما ينبغى أن تغامر من أجل رجل وأنت أمير هذا الجيش .

خالد : صدقت يا عكرمة .

(يدخل عمرو بن عكرمة)

عمرو : ما بك يا عم ؟ أجرحت ؟

خالد : جُرَيْح يسير .. خبرنى ماذا فعل النسوة فى التل ؟

عمرو : حملن العناهر والسيوف وقذفن بالحجارة ، فجرحن أربعة عشر مسلما . مات منهم واحد ، وقتلن ثلاثين روميا .

أم حكيم : وأنت ألم تقتل أحدا منهم ؟

عمرو : بلى قتلت واحدا من الروم وجرحت اثنين . وما لبث الباقون أن فروا راجعين إلى عسكرهم .

خالد : كلا ما رجعوا إلى عسكرهم يا عمرو .

عمرو : بلى يا عم .

خالد : (**ضاحكا**) تخطفتهم سيوف المسلمين قبل ذلك .

صوت : يا أبا سليمان .. يا أبا سليمان .

عمرو : هذا أبو هاشم بن عتبة ، ومعه هند أخته .

خالد : أبا هاشم بن عتبة . ما خطبك ؟ أجرحت فى عينك ؟ هلم لتطبها لك أم تميم .

عكرمة : أو أم حكيم .

أبو هاشم : (**يدخل معصوب العين اليمنى ومعه هند أخته**) ما لهذا جئت يا خالد .. فقد طبتها لى هند أختى وعصبتها كما ترى ، وإنما جئت لتجد للمسلمين مخرجا من هؤلاء الرماة رماة الأرمن ، فقد أصابوا كثيرا من المسلمين فى عيونهم .

أم تميم : (**تفرغ من ربط جرح خالد**)
هلم اجلس يأبا هاشم واسترح .

أبوهاشم : إنى عائد إلى مكانى فى الجيش .



هند : ألا تستريح قليلا حتى يبرد جرحك . هلم عندى إن شئت فى رأس التل .

أبو هاشم : دعينى الآن يا هند .. غدا نستريح . يا أبا سليمان قد بلّغتك فاللهم اشهد .

(يخرج فى قوة وعزم)

خالد : يا ضحاك بن قيس .

صوت : نعم .

خالد : انطلق إلى عمرو بن العاص وسعيد بن زيد ويزيد بن أبى سفيان وأبى عبيدة ليحضروا عندى هنا فى الحال . قل لهم أنى أريد أن أستشيرهم فى مهم عاجل .

الصوت : سمعا يا خالد .

صوت : (**يسمع من بعيد**) يا نصر الله اقترب ! يا أهل الإسلام الجهاد الجهاد ، والصبر الصبر ..

خالد : أليس هذا صوت أبى سفيان يا هند ؟

هند : بلى يا أبا سليمان ، ما بقى له غير صوته .

خالد : (**مناديا**) يا أبا سفيان .. يا أبا سفيان !

صوت : نعم .

خالد : هلم إلىّ .

هند : ماذا تصنع به ؟

خالد : نسمع منه ونستأنس برأيه .

(يدخل أبو سفيان)

أبو سفيان : وى ! ماذا تصنع هذه عندكم ؟

هند : وأنت ماذا تصنع يا شيخ السوء ؟

أبو سفيان : ألم تسمعي صوتى ؟

هند : يا نصر الله اقترب !! (**يضحك الحاضرون**)

أبو سفيان : أليس ذلك خيرا من : نحن بنات طارق .. نمشى على النمارق ؟

هند : قبحك الله ، ألا تذكر غير تلك المخازى السود ؟ أفلا تذكر أنت أيضا إذ كنت تنادى : اعلُ هُبل ! إنا لنا العُزّى ولا عُزّى لكم ؟ (**يضحكون**)

أبو سفيان : تلك أيام خلت ، وقد أكرمنا الله بالإسلام .

هند : فاشكر نعمته إذن وجاهد فى سبيله كما يجاهد المخلصون .

أبو سفيان : ويحك ، إنى لأجاهد اليوم فى سبيل الله .

هند : بطرف لسانك ؟

أبو سفيان : وددت يا هند لو عادنى الشباب ، إذن لامتطيت جوادى ، واخترقت صفوف العدو ، بيدى راية الإسلام .

هند : هيهات . راية الإسلام يحملها السابقون الأولون .

أبو سفيان : إن يفتنى ذلك فبحسبى يزيد ابنى ، فإنه أمير أمراء المسلمين اليوم . ولى من فضله وشرفه نصيب .

هند : غدا يظهر ابنى معاوية ويتفوق عليه .

أبو سفيان : ويلك ، ألا تخجلين يا امرأة من قعودك ، ونساء المسلمين يضطربن فى أرجاء المعسكر يحملن القِرَب للعطشى ويسعفن الجرحى ؟

هند : ويلك ذلك ما أصنعه . ألا ترى هذه القربة معى وهذه الخرق ؟

أبو سفيان : وأنت قاعدة هنا ؟

هند : من قال لك ؟ إنما جئت الساعة مع أبى هاشم وقد جرح فى عينه فضمدتها له ، وقُدته إلى حيث لقى أبا سليمان .

خالد : أجل .. هذا حق يا أبا سفيان ..

أبوسفيان : وأين هو الساعة ؟

هند : عاد إلى مكانه فى الجيش ليقاتل بسيفه لا بلسانه مثلك !

أبو سفيان : ويلك هذا سيفى معى إن دنا منى علج جزرته به .

هند : إن دنا منك علج ! فهلا دنوت أنت من العلج ؟!

أبو سفيان : ما خطبك يا امرأة ؟ لعلك تتمنين أن أموت عنك ؟

هند : كلا .. أنت أهون عند الله من أن يرزقك الشهادة ، ولكنى كنت أتمنى شيئا آخر ؟

أبو سفيان : ما هو ويلك ؟

هند : لو أن السهم الذى أصاب عين أبى هاشم أصاب عينيك !

أبو سفيان : لحاك الله ، ألا ترين أنى فقدت عينى فى غزوة الطائف ؟

هند : وما ضر لو تفقد الثانية ؟ (**يضحكون**)

عكرمة : ها هم أولاء قد حضروا يا خالد .

هند : اخرج يا أبا سفيان فعندهم مجلس مشورة .

أبو سفيان : وأنتِ أصبحتِ من أهل الشورى ؟ (**يضحكون**)

هند : كلا أنا أيضا سأنصرف .

خالد : دعيه يا هند لعله يشير علينا برأى سديد . مكانكما .

(يدخل أبو عبيدة وعمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان

وسعيد بن زيد والزبير بن العوام وروما نوس وعبد الرحمن ابن أبي بكر)

أبو عبيدة : جئت معي يا أبا سليمان بالزبير وروما نوس وعبد الرحمن بن أبي بكر .

خالد : أحسنت يا أبا عبيدة . مرحبا بأبي عبد الله ، ومرحبا بأبي الروم ، ومرحبا بابن أبي بكر . لن أطيل عليكم فليس في الوقت متسع . ماذا ترون في رماة الأرمن ؟

عمرو : بلاء كبير . لقد أصابوا مئات من المسلمين في عيونهم ، ومنهم الأبطال والفرسان مثل الأشتر النخعي وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص والأشعث بن قيس .

يزيد : وأبي هاشم بن عتبة .

خالد : وما تقترحون ؟

يزيد : إني أرى أن ينزل النساء من التل ليسهل حمل الجرحى إليهن ، فقد كثر عددهم .

سعيد : أما أنا فقد أمرت رجالي أن يجثوا على ركبهم حتى إذا دنا العدو منهم وثبوا عليه وثوب الليث ، فذلك أجدر أن يحميهم من سهام الأرمن .

عمرو : وأنا أمرت رجالي أن يرفعوا التروس حول وجوههم فنقص عدد المصابين .

الزبير : هذا كله لا يغني شيئا . وإنما السبيل أن تنقضّوا على هؤلاء الأرمن وتستأصلوهم .

خالد : ما تقول يا روما نوس ؟

رومانوس : هذا الذى قاله الزبير هو الصواب .. ولكن الوصول إليها صعب ، فهم محتمون بذلك التل الجنوبى تحيط به صفوف العدو من كل جانب .

الزبير : لأرينكم أن ذلك ليس بصعب على من يعقد العزم ويخلص النية لله سبحانه . ألا إنى ماض الساعة لأخترق الصفوف حتى أصل إلى ذلك التل ، ثم أعود إليكم من الجانب الآخر إن شاء الله .

عمرو : أتمضى وحدك يا أبا عبد الله ؟

الزبير : نعم .

خالد : بوركت يا حوارىّ رسول الله .. ليكونن عملك هذا أسوة حسنة لمغاوير المسلمين .. فليقتحمُنَّ بعدك الصفوف إلى رماة الأرمن !

عكرمة : أنا ماض مع الزبير .

عبدالرحمن : وأنا معكما .

أبوعبيدة : وأنا معكم .

خالد : على رسلك . أنت يا أبا عبيدة أمير جماعة المسلمين ، وأنت يا عكرمة تحرس معى هذا المضيق ، وأنت يا ابن أبى بكر ينتظرك عمل جليل آخر .

رومانوس : تأذن لى أنا يا خالد ؟

خالد : ولا أنت يا أبا الروم ، فنحن بحاجة إليك فيما لا يغنى فيه سواك .

الزبير : فلأمض وحدى .

خالد : لا بل خذ معك ضرار بن الأزور فهو فارس بطل .

الزبير : ولآخذن أخى عبد الرحمن بن العوام كذلك . (**يخرج**)

خالد : (**ينادى**) يا ضرار بن الأزور !

صوت : لبيك !

خالد : امض مع الزبير بن العوام حيث يريد .

صوت : حبا وكرامة .

خالد : (**للذين عنده**) ارجعوا الآن إلى مواقعكم يرحمكم الله .

(**يخرجون جميعا ما خلا يزيد بن أبى سفيان الذى استوقفه أبوه ، وعبد الرحمن بن أبى بكر الذى استوقفه خالد**)

يزيد : مرحبا بك يا أبى . مرحبا بك يا خالة . كيف أنتما ؟

هند : الحمد لله يا بنى .

أبو سفيان : (**يأخذ بيد ابنه**) يا بنى ، أنت وأشباهك من امراء المسلمين أحق الناس بالصبر والتضحية ، فاتق الله ولا يكونن أحد من أصحابك أرغب فى الأجر ولا أصبر فى الحرب ولا أجرأ على عدو الإسلام منك .

هند : (**تجذب يده عن يزيد**) دعه يا شيخ ، فليس بحاجة إلى وصاياك .

أبو سفيان : ويلك ما شأنك ؟ إنه ابنى وليس ابنك .

خالد : (**يضحك**) خليا عن يزيد فالميسرة تنتظره .

(**يخرج يزيد ويخرج خلفه أبو سفيان وهند**)

عبد الرحمن : وأنا ألا تخلى عنى ؟

خالد : ينشد مترنما :

تذكرتُ ليلى والسماوة بيننا .

عبدالرحمن : وما لابنة الجُودىّ ليلى وماليا ؟

خالد : تحبها بعد يا عبدالرحمن ؟

عبدالرحمن : دعنى منها الآن يا أبا سليمان .

خالد : أوَلا تعلم أن أمير المؤمنين قد أمر إن وقعت ابنة الجو دى فى أيدينا ، أن نزوجها لك ؟

عبدالرحمن : بلى قد سمعت ذلك من أمير المؤمنين نفسه .

خالد : أتدرى أين هى اليوم ؟

عبدالرحمن : فى أنطاكية .

خالد : كانت فى أنطاكية فعادت اليوم إلى دمشق .

عبدالرحمن : (**مهتزا**) أحقا يا خالد ؟

خالد : حقا وصدقا ، ونحن عائدون إلى دمشق عقب النصر .

عبدالرحمن : ونجد ليلى هناك بعد ؟

خالد : أنا كفيل لك بذلك إن كفيتنى ابن قناطر .

عبدالرحمن : قائد ميمنة العدو ؟

خالد : نعم .. أكثيرا طلبت منك ؟

عبدالرحمن : من أجل ابنة الجوادى ؟ اطلب منى رأس باهان إن شئت !

خالد : يكفينى رأس ابن قناطر .

عبدالرحمن : حبا وكرامة .

خالد : (**ضاحكا**) طوبى لك يا ابن الصدّيق . إن سلمت فلك ابنة الجُودى ، وأن قُتلت فلك الجنة .

(يخرج عبد الرحمن)

عكرمة : هلا كلفتنى أنا بذلك يا خالد ؟

خالد : (مازحا) تعالى ياأم حكيم واسمعى زوجك ماذا يقول !

أم حكيم : (تدخل) ماذا يقول ؟

خالد : ود لو تكون له ليلى بنت الجودى درة آل غسان .

عكرمة : كلا لا تصدقيه ..

أم حكيم : أأكذب خالى ؟

عكرمة : أنا أجدّ وخالك يمزح .

خالد : ألم ترد أن تقوم بقتل ابن قناطر ؟

عكرمة : بلى .

خالد : بعدما سمعتنى أجعلها جائزة لمن يقتله .

عكرمة : لا تصدقيه .. إنما ذكرها لعبد الرحمن بن أبى بكر لأنه كان يحبها من قديم .

أم حكيم : هى تلك التى استهيم بها وقال فيها الأشعار ؟

عكرمة : أجل .

أم حكيم : كلا يا خال .. عبد الرحمن بن أبى بكر أحق بها من عكرمة .

أم تميم : ومن غير عكرمة !

خالد : أنت أيضا تخافين ؟

أم حكيم : يا خالى العزيز كل امرأة تحب زوجها تخاف عليه .

عكرمة : (ينفجر ثائرا) اسمع يا خالد .. أنت لست وصيا علىّ . إنى سئمت من المرابطة هنا على المضيق .. أريد أن أقاتل . أريد أن أستشهد .

خالد : الشهادة يا ابن عمى من عند الله ، فلا تجعلنها همك .

عكرمة : بل هى غاية همى ومنتهى سؤلى .. أوَلا تعلم أنى جعلت نفسى حبيسا فى سبيل الله ؟

خالد : ويحك ، لأن تُبلى بلاء حسنا وتنتصر على عدو الله ، أفضل عند الله من أن تُستشهد .

عكرمة : فهذا أوان البلاء الحسن وأنت تحبسنى عنه .. وتحبس سائر بنى مخزوم . لا ينبغى يا خالد أن تضن بنا على الموت فى مثل هذا اليوم المشهود من أيام الإسلام .

خالد : أحقا تظن بى ذلك يا عكرمة ؟

عكرمة : إنى لأربأ بك أن تفعل ذلك ، ولكن المعركة تدور منذ حين ونحن بنى مخزوم فى نجوة منها نحرس هذا المضيق . حتى نساء المسلمين قاتلن دون نسائنا .

خالد : يا أخى إن الذى يحرس هذا المضيق ليس بنجوة منها ، بل هو فى عنقها .

عكرمة : ولكن القتال لم يصل إلى العنق فلم يُرزأ منا أحد .

خالد : لا تتعجل يا عكرمة .. فإنى إنما أنتظر لأرمى بكم أنف الجُلَّى ! والله لأكذبن ما زعم ابن حنتمة !

عكرمة : وماذا زعم ابن حنتمة ؟

خالد : أننا لا نُستشهد .

عكرمة : ما إخاله إلا صدق .

خالد : (**محتدا**) ويلك ، أتمارينى يا ابن أبى جهل ؟!

عكرمة : أما إنه لابن عمك ، وليس أبوك الوليد بخير منه !

خالد : (**فى رقة وأسف**) صدقت يا ابن عم صدقت . (**يعود لحدته**) لكن ابن حنتمة لم يصدق .. أتدرى أين أنا رام بكم ؟

عكرمة : أين ؟

خالد : رماة الأرمن هؤلاء هم أنف الجُلّى ، وأرجو أن يكون لبنى مخزوم البلاء الأول فى ذلك .

عكرمة : البلاء الأول قد جعلته للزبير بن العوام وعشيرته .

خالد : كلا .. إنما الزبير رائد يمهد لكم السبيل ، وإنما أنتم الذين ستضربون إن شاء الله .

عكرمة : تعنينا نحن بنى مخزوم ؟

خالد : نعم .

عكرمة : بوركت يا خالد ! (**يوسعه لثما**)

خالد : انطلق فادعهم إلى ذلك .

عكرمة : حبا وكرامة . (**يخرج**)

صوت : يا خالد .. يا خالد ..

خالد : من ؟ جرجه ؟ هلم إلىّ ..

جرجه : (**يدخل فيعانقه خالد**) قد أينعت يا خالد وحان قطافها .

خالد : ورماة الأرمن ؟

جرجه : حقا هم العقبة ، فلو ندبت لهم قوما يبذلون أرواحهم فى سبيل الله فهجموا على التل هجمة رجل واحد .

خالد : قد عولت على ذلك يا جرجه ، وأرسلت ابن عمى لينذب لذلك عشيرتى من بنى مخزوم .. ها هم أولاء قد أقبلوا .

صوت : أحقا يا خالد ندبتنا لرماة الأرمن فى التل ؟

خالد : نعم إن شئتم ذلك حسبة لله .

صوت : هذا الذى كنا نبغى يا خالد .. لقد والله سئمنا من المرابطة فى هذا المضيق .

أصوات : أجل أجل .

خالد : يا عياش بن أبى ربيعة . يا سلمة بن هشام بن المغيرة .. يا حارث بن هشام بن المغيرة .. يا عبد الله بن سفيان . يا هبّار بن الأسود .. يا بنى مخزوم جميعا . والله لو وجدت قوما أحب إلىّ منكم لآثرتهم بهذه المهمة دونكم . ألا إن الناس قد سبقوكم إلى الإسلام فاسبقوهم إلى الشهادة ، إن قُدّرت لكم الشهادة ، فرُبَّ مستميت يهرب منه الموت ، ورب هارب من الموت إنما يهرب إليه !

عكرمة : (صوته) يا بنى العشيرة ، لقد كان منا أمس من آذى النبى أبلغ الأذى .. فليكن منا اليوم من ينصر الإسلام أكبر النصر . ألا إن الموت فى سبيل الله ينادينا من ذلك التل ! ألا من يبايعنى على الموت ؟

أصوات : أنا أبايعك يا عكرمة !. وأنا أبايعك !. وأنا أبايعك !. نحن جميعا نبايعك !.

صوت : يا خالد بن الوليد ..

خالد : من المنادى ؟

الصوت : أنا هشام بن العاص . خبّرنى أأنت جعلت هذه وقفا على بنى مخزوم ؟

Twitter: @ketab_n

خالد : معاذ الله يا ابن العاص ، ولكن هذا الوجه قلما يرجع منه ذاهب ، فرأيت أن أندب له أبناء عشيرتى قبل غيرهم .

الصوت : إذن فإنى أبايعك يا عكرمة على الموت .

عكرمة : (**صوته**) سأرى يا خالد من ينضم إلينا من المسلمين .

(**يبتعد القوم وينقطع ضجيجهم**)

خالد : (**مناديا**) يا ضحاك بن قيس ؟

صوت : نعم .

خالد : انطلق إلى عمرو بن العاص فى الميمنة فليزحف إلى الأمام ويدفع العدو دفعا شديدا ، وكذلك يزيد بن أبى سفيان فى الميسرة . أما سعيد بن زيد وشرحبيل بن حَسَنة فليتقهقرا بالقلب رويدا رويدا ليستدرجا قلب العدو بعيدا عن التل الذى فيه رماة الأرمن .. أفهمت ؟

الصوت : نعم .

خالد : وقل لأبى عبيدة يحضر إلىّ ويجعل معاذ بن جبل مكانه . هيا انطلق .

جرجه : أردت بهذا أن تمهد السبيل لكتيبة عكرمة ؟

خالد : نعم .

جرجه : (**معجبا**) يا لك من قائد ملهم .. أتدرى يا خالد بأى شىء تذكرنى حين أراك ؟

خالد : (**ضاحكا**) بأى شىء ؟

جرجه : بمارس .

خالد : وما مارس ؟

جرجه : إلـه الحرب .

خالد : (**كالعاتب**) ويلك يا جرجه كيف يصح إسلامك وأنت تؤمن بإلـه غير الله عز وجل ؟

جرجه : كلا .. هذا إلـه من آلهة الروم فى وثنيتهم الأولى قبل أن يدينوا بالمسيحية .

خالد : أسطورة من أساطير الأولين ؟

جرجه : نعم .

(يدخل الزبير جريحا فى كتفيه)

خالد : خيرا يا أبا عبد الله .

الزبير : اقتحمت الصفوف حتى عدت من الجانب الآخر ولم يصبنى غير ضربتين واحدة هنا .. وواحدة هنا .. هل لك أن ترسل من يدعو لى أسماء ؟

خالد : يا عمرو بن عكرمة .. انطلق فقل لأسماء بنت أبى بكر تحضر فى الحال ..

الزبير : قل لها إن الزبير جريح ..

خالد : لا ينبغى أن ننتظر أسماء .. يا أم تميم ، يا أم حكيم ، هلما اعصبا لحوارى رسول الله جرحيه .

(تدخل أم تميم وأم حكيم فتعالج كل واحدة منهما كتفا من كتفيه وهو ماض فى حديثه مع خالد)

خالد : وما فعل عبد الرحمن بن العوام ؟

الزبير : آثره الله بالشهادة ولم يشأ أن يرزقنيها بعد .

خالد : بل يحييك الله يا أبا عبد الله فنحن بحاجة إلى بلائك وغنائك . وضرار بن الأزور ؟

الزبير : قاتله الله من فارس . عاد معى سليما لم يخدش !

(يعود عكرمة ومن معه ويسمع ضجيجهم)

عكرمة : (**صوته**) يا خالد قد بايعنى أربعمائة رجل .

الزبير : علام بايعوه ؟

خالد : على الموت لاقتحام التل .

الزبير : خذونى إذن معكم . إنى أبايعك يا عكرمة على الموت !

خالد : كلا يا أبا عبد الله .. حتى يرقأ الدم من جرحك .

(تدخل أسماء من ناحية التل يسبقها عمرو بن عكرمة)

الزبير : ولم لا يسيل دمى فى سبيل الله يا أبا سليمان ؟

خالد : امنعيه يا أسماء .

(تدنو أسماء من زوجها وتشترك فى تضميد جرحيه الكبيرين)

أسماء : مم أمنعه يا خالد ؟

الزبير : من الجهاد فى سبيل الله !

أسماء : أنا أمنعه من الجهاد يا خالد ؟ وهل يسمع لى هو فى ذلك ؟

خالد : يا أبا عبد الله إنما أريدك لما هو أشق من هذا الوجه .

الزبير : وماذاك يا خالد ؟..

خالد : تحرس لى هذا المضيق فإنه هدف العدو .

الزبير : فليحرسه غيرى .

خالد : لا أستطيع أن أعتمد على أحد سواك .

أسماء : تذكر يا أبا عبد الله أن أبا سليمان هو أمير الجيش ، وأن عليك أن تطيعه .

الزبير : أنا مطيع يا خالد ، فاضرب بى حيث تريد .

خالد : (**يقبل رأسه**) يا حوارىّ رسول الله إنما بكم ينصرنا الله .

(يدخل عكرمة والحارث بن هشام ، فتتنحى بهما أم حكيم ركنا وهى تغالب دمعها وتتجلد)

أم حكيم : مرحبا بأبى .. إن يشأ الله تعد أنت وعكرمة من هذا الوجه سالمين .

الحارث : يا بنيتى ، إن كنت تحبين الخير لأبيك فادعى الله له بالشهادة .

عكرمة : أم حكيم .. أنت التى هديتنى إلى الإسلام فجزاك الله خيرا ، أتذكرين تلك الرؤيا التى قصها رسول الله على أصحابه يوم استأمنتِ لى منه ؟

أم حكيم : نعم .

عكرمة : فادعى الله لى أن أكون ذلك العِذْق الذى لأبى جهل فى الجنة !

أم حكيم : يقضى الله ما يشاء .

خالد : (**للحارث**) أتذكر يا ابن عم قول ابن الفُريعة :

ترك الأحبـــة أن يقاتـــل دونهم
ومضى برأس طِمِـــــرَّة ولجام ؟

الحارث : غفر الله له .

خالد : أما إنه لو رآك اليوم لقال غير هذا فيك .. أوَ تذكر قولك أنت :

ففــررتُ عنهم والأحبـــة فيهمـــو
طمعا لهم بعقاب يوم مُرصد ؟

الحارث : عدِّ عن هذا فإنه يؤلمنى ذكره .

الزبير : علام يا حارث ؟ لقد شاء الله ألا تموت كافرا يوم أُحد ، لتقاتل فى سبيله فى هذا اليوم المشهود .

الحارث : صدقت والله لقد سرّيت عنى .

عكرمة : أنا ماض يا خالد ..

خالد : على بركة الله وفى رعايته .

جرجه : انتظر لحظة يا عكرمة . (**يلتفت إلى الزبير**) يا صاحب رسول الله ، إنى أخشى إن أنا قتلت قبل أن أتفقه فى دينكم وأصلى لله كما تصلون ، أن يُباعَد بينى وبينكم يوم القيامة .

الزبير : كلا لا تخف يا جرجه ، فإن الشهادة إن رُزقتها أغنتك عن كل شىء .

جرجه : أأدخل الجنة إن قُتلت ؟

الزبير : نعم .

جرجه : سمعتم ذلك من نبيكم ؟

الزبير : نعم .

جرجه : (**يثب فرحا**) امض بنا يا عكرمة فإنى أبايعك على الموت . (**يأخذ عكرمة بيده فرحا**) إلى اللقاء يا خالد فى الجنة !

(يخرج عكرمة والحارث وجرجه)

أم حكيم : (**تلمح ابنها عمرا ينطلق خلفهم**) عمرو .. إلى أين يا عمرو ؟

عمرو : مع العِذق الكبير يا أمّه .. أنا العِذق الصغير !

أم حكيم : (متجلدة) فى رعاية الله يا بنى .. (**يخرج عمرو والجميع ينظرون إليه**)

(**يسمع انطلاق كوكبة الخيل**)

(**يدخل أبو عبيدة**)

خالد : مرحبا بأبى عبيدة .

أبو عبيدة : لأى شىء طلبتنى يا أبا سليمان ؟

خالد : لترابط هنا مع الزبير وتقوما مكانى على حراسة هذا المضيق .

أبو عبيدة : وأنت يا أبا سليمان ؟

خالد : يوشك أن يحمى الوطيس فتضطرب خيول العدو بين الصفوف ، فتطأ رَجْل المسلمين وتلحق بهم الأذى ، فسأقود الخيول بنفسى وأطارد خيلهم من جهة واحدة وأقصف بعضها على بعض حتى تنهزم وتدور فى الميدان ، فإذا اقتربت منكم فأفسحوا لها الطريق .

أبو عبيدة : لتخرج من المضيق ؟

خالد : نعم .. ثم عودوا فسدّوه ولا تدعوا أحدا يمر بعد ذلك .

الزبير : أفلا تخشى من أولئك الفرسان أن يكروا علينا من خلفنا ؟

خالد : كلا إننا لن نتركهم .. سنرسل خلفهم خيل الطلب تطرد فى أثرهم .

صوت : يا خالد !!

خالد : قيس بن هبيرة .. أين كنت يا قيس ؟ فقد أرسلت فى طلبك منذ حين فلم يجدوك ..

قيس : كنت أعالج هذا الجرح يا أبا سليمان ..

خالد : وى .. آأصبت أيضاً فى عينك ؟ من رماة الأرمن ؟

قيس : أجل من ذلك التل اللعين .

خالد : فهلا جئتنا فعالجنا عينك ؟

قيس : إنى كنت آليت لا أعود إليك إلا بعد أن أقتل الدرنجار .

خالد : فهل قتلته ؟

قيس : نعم .. عدت إليه بعدما عصبت عينى فكان يحيص منى مرة بعد مرة .. فما تركته حتى ظفرت به .

الجميع : الحمد لله .

خالد : أنت والله فارس اليمن غير منازع .. وإن رغم أنف خالك عمرو بن معدى كرب .

قيس : ليته يسمع شهادتك هذه فلا ينازعنى بعدها أبداً ..

خالد : ويحك لو سمع ذلك منى لقاضانى ..

قيس : إن قاضاك فاجعل السيف حكما بينى وبينه .

أبو عبيدة : صه يا قيس ، أجاهليةً ونحن فى سبيل الله ؟

قيس : لا تلمنى يا أبا عبيدة ولُم الذى أثارها . (**يومئ إلى خالد**)

خالد : صدق قيس .. أنا الملوم .. اللهم غفرا لعبدك الخاطئ خالد .

صوت : أبا سليمان !

خالد : عبد الرحمن بن أبى بكر !. الجنة أخطأتها فهل أصبت الأخرى ؟

عبدالرحمن : (**يدخل**) الحمد لله قتلت ابن قناطر .

الجميع : الحمد لله .

خالد : بوركت يا ابن الصدّيق .. الآن استحققتها حقا .

عبد الرحمن : لا حاجة لى بها يا خالد ، قد نزلت عنها حسبة لله .

خالد : بيد أنى لا أنزل عن وعدى أبدا .. يا أبا عبيدة اجعل ابن ابى بكر فى خيل الطلب مع حبيب بن مسلمة الفهرى ، ليكون فى أول فوج يدخل دمشق . وليقبل حبيب من أهلها العهد الذى كان بيننا وبينهم على ألا يخرج منها أحد من ذكر أو أنثى إلا بعد أن أحضر . يا أبا عبيدة ادع الله لنا بالنصر .

أبو عبيدة : لأدعون الله بدعوة الشاب الصالح معاذ بن جبل .. اللهم زلزل أقدامهم ، وأرعب قلوبهم ، وأنزل علينا السكينة ، وألزمنا كلمة التقوى ، وحبّب إلينا اللقاء .. وأرضنا بالقضاء آمين ..

الجميع : آمين .

خالد : (**يثب من مقعده**) أم تميم !. القلنسوة يا أم تميم ! (**تناوله أم تميم القلنسوة فيقبلها ويضعها على رأسه**) هلم يا قيس .. هلم يا ابن أبى بكر . (**يخرج فيخرجان خلفه**) (**يهبط الظلام شيئا فشيئا**)

أسماء : انظروا ألا ترون إلى هذا الضباب يتكاثف فى الأفق ؟

أم تميم : أخشى أن يغشى أبصار المسلمين فلا يروا شيئا .

أبو عبيدة : اللهم اجعله سكينة لنا ونقمة عليهم .

أم حكيم : وهذه الريح أيضاً تهب سافياء .

الزبير : الله الذى أرسلها قادر أن يجعلها وبالا على المشركين ، كالريح التى هبت يوم الخندق .



(يشتد زئير الريح ثم يشتد الظلام فلا يرى فى المسرح شىء وإنما تسمع ضوضاء المعركة من بعيد : أصوات مختلطة من صليل الحديد وصهيل الخيل .. وصيحات المقاتلين ، وصار المسرح من الآن فصاعدا كأنه يتحرك فى عرض الميدان وطوله حيث يتحرك خالد . إذ يسمع صوته هو وحده واضحا بين حين وآخر) .

خالد : ياأهل المضيق .. أفسحوا الطريق لخيل العدو .

(تسمع من قريب حركة انطلاق الخيل)

خالد : يا حبيب بن مسلمة ، انطلق بخيلك فى أثرهم .

(حركة انطلاق الخيل)

خالد : عودوا الآن فسدوا المضيق . يا قعقاع بن عمرو .. يا قيس بن هُبيرة .. يا فضل بن عباس .. يا ذا الكُلاع .. يا ميسرة ابن مسروق .. يا رافع بن عميرة . إنى حامل الساعة فاحملوا معى .. كل فى جهته !

(حركة انطلاق الخيل وقعقعة السيوف)

خالد : أيها المسلمون قد قُتل الدرنجار وقُتل ابن قُناطر وقُتل جرجير ، فيرحم الله امرأ يقتل باهان !

(صفير الرياح) ..

عكرمة : يا خالد .. يا خالد ..

خالد : عكرمة !

عكرمة : أبشر يا خالد فلم يبق من رماة الأُرمن أحد يتنفس !

خالد : عكرمة .. أين أنت ؟

عكرمة : لا يهمنك أمرى .. إنى بخير ..

(صفير الرياح)

خالد : ياأهل الإسلام ! إن الصبر عز ، وإن الفشل عجز ، وإن مع الصبر تُنصرون .. وإن الصابرين هم الأعلـــون . أيها المسلمون كونوا كالبنيان المرصوص على عرض السهل . لا تدعوا أحدا من العدو يخلص من خلالكم .. وادفعوهم رويداً رويداً صوب الياقوصة !

(صفير الرياح)

صوت : أيها المسلمون .. ترحموا على قائدكم خالد بن الوليد فقد قُتل !

القعقاع : أيها المسلمون .. أنا القعقاع بن عمرو .. لا تصدقوا هذا الكاذب فإنه من عرب الروم .. هذا خالد بن الوليد إلى جوارى وسناديكم فاسمعوا صوته !

خالد : ياأهل الإسلام .. أنا خالد بن الوليد .. أناديكـم .. إن النصر لكم ولو قُتلت ، ولكـن الله لم يشأ أن يكرمنـى بالشهادة بعدُ ليجعلنى نكالا لأعدائكم .

صوت : أيها المسلمون .. أنا رافع بن عميرة الطائى قد ظفرت بالعربى الكاذب ! إنه أبو بشير التنوخى !

خالد : أين هو يا رافع ؟

رافع : قد ضربت عنقه !

(صفير الرياح)

خالد : يا أهل الإسلام .. لم يبق عند القوم من الجد والقتال والقوة إلا ما قد رأيتم ، فالشدة الشدة .. فوالذى نفس خالد بيده ليعطينكم الله الظفر عليهم .. الساعة .. الساعــة .. الساعة ..

(صفير الرياح)

(ستــار)

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ ــ اخناتون ونفرتيتى .
٢ ــ سلامة القس .
٣ ــ وا إسلاماه .
٤ ــ قصر الهودج .
٥ ــ الفرعون الموعود .
٦ ــ شيلوك الجديد .
٧ ــ عودة الفردوس .
٨ ــ روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ــ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ــ ليلة النهر .
١١ ــ السلسلة والغفران .
١٢ ــ الثائر الأحمر .
١٣ ــ الدكتور حازم .
١٤ ــ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ــ مسمار جحا .
١٦ ــ مأساة أوديب .
١٧ ــ سر شهر زاد .
١٨ ــ سيرة شجاع .
١٩ ــ شعب الله المختار .
٢٠ ــ امبراطورية فى المزاد .

٢١ ـ الدنيا فوضى .
٢٢ ـ أوزوريس .
٢٣ ـ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية .
٢٤ ـ دار ابن لقمان .
٢٥ ـ قطط وفيران .
٢٦ ـ هاروت وماروت .
٢٧ ـ جلفدان هانم .
٢٨ ـ الفلاح الفصيح .
٢٩ ـ حبل الغسيل .
٣٠ ـ الشيماء (شادية الإسلام) .
٣١ ـ هكذا لقى الله عمر .
٣٢ ـ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .
٣٣ ـ إلٰه إسرائيل .
٣٤ ـ الزعيم الأوحد .
٣٥ ـ الدودة والثعبان .
٣٦ ـ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا) .

تراب من أرض فارس

الملحمة الإسلامية الكبرى

عمر

تراب من أرض فارس

علي أحمد باكثير



« تراب من أرض فارس »

المشهد الأول

فى بيت عمر : فى الهزيع الأخير من الليل . يرفع الستار عن عمر جالسا يصلى .

عمر : (**يسلم من صلاته**) السلام عليكم ورحمة الله . السلام عليكم ورحمة الله . (**ينهض قائما ليصلى من جديد فإذا هو يتمتم**) ترى ماذا فعل المسلمون فى اليرموك ؟ وهل نجحت خطة خالد ؟ أنجِحْها اللهم ولا تخز أبا عبيدة . (**يهم بأن يكبر للصلاة فلا يستطيع**) وأْمُرْ أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا ، نحن نرزقك والعاقبة للتقوى . (**ينادى**) يا عاتكة ! عاتكة !

عاتكة : (**صوت من الداخل**) نعم .

عمر : ما خطبك الليلة ؟ إلى متى أوقظك ؟

عاتكة : قد نهضت من فراشى وأنا أتوضأ الساعة .

عمر : أتقضين الليل كله فى الوضوء ؟

عاتكة : (**تدخل**) الليل كله ؟ إنى ما أسرعت كالليلة فى وضوئى قط .

عمر : ويحك أتقولين الحق أم تعتذرين ؟

عاتكة : أعتذر ؟ من أى شيء أعتذر ؟ ما خطبك يا ابن عم ؟

عمر : خيل إلى أنك تباطأت .

عاتكة : لعلك تباطأت أنت فى إيقاظى ، أو شغلتك الصلاة فأُنسِيت أن توقظنى من أول التهجد .

عمر : (**يتنحى عن موقفه من القبلة**) هلمى إذن فصلى أنت .

عاتكة : وأنت ؟

عمر : (**يأخذ رداءه**) أنا خارج .

عاتكة : انتهيت من صلاتك ؟

عمر : ماإخالنى أكملت نصفها أو ثلثها بعد . والله ماأدرى كم صليت .

عاتكة : ما خطبك الليلة ياأمير المؤمنين ؟

عمر : لاأدرى يا عاتكة . لا أستطيع أن أصلى ولا أستطيع أن أرقد . وإنى لأفتتح السورة فما أدرى فى أولها أنا أو فى آخرها .

عاتكة : هذا من همك بالمسلمين فى الشام ، وإن همًّا شغلك عن الصلاة يا عمر لهمّ كبير .

عمر : ليتنى استطعت أن أنفعهم بشىء .. إذن لما باليت .

عاتكة : فوّض أمرهم إلى الله فهو على نصرهم قدير .

عمر : صدقت . دعينى الآن أستروح نسيم الليل لعل الله يزيل ما بى من الهم ، وأعس المدينة عسى أن أنفس عن مكروب أو أمنع جارح ليل .

عاتكة : أتريد أن تخرج وحدك ؟ لم لا تأخذ يرفأ معك ؟

عمر : يرفأ يصلى الساعة ، ولا ينبغى أن أشغله عن صلاته وتهجده .

عاتكة : (**تنادى**) يرفأ ! يا يرفأ !

يرفأ : (**صوته**) لبيك يا مولاتى .. (**يدخل**)

عاتكة : ألا تخرج مع أمير المؤمنين ؟

يرفأ : أخرج إذا شاء .

عمر : لا أحب أن أشغلك عن تهجدك يا يرفأ .

يرفأ : قد قضيت وطرى من التهجد يا أمير المؤمنين .

عمر : هلم إذن أيها المولى الصالح . (**يخرجان**)

عاتكة : (**تكبر للصلاة فتصلى**) ...

صوت : (**من الخارج**) يال أمير المؤمنين !. يال أمير المؤمنين !

عاتكة : (**تسلم من صلاتها**) من الطارق ؟

الصوت : أنا جرير بن عبد الله الحميرى ، رسول أبى عبيدة من الشام .

عاتكة : (**تفتح الباب**) أهلا ومرحبا ، ادخل يا أمير العرب . أنا عاتكة بنت زيد زوج عمر بن الخطاب .

جرير : (**يدخل**) أين أمير المؤمنين يا أُخيّة ؟

عاتكة : خرج يعس المدينة وعما قليل يعود . اجلس . جئت من اليرموك ؟

جرير : بالفتح والنصر .

عاتكة : الحمد لله . وماذا فعل سعيد بن زيد أخى ؟

جرير : سعيد بن زيد كان على الميمنة ، وقد أبلى بلاء حسنا وهو بخير .

عاتكة : الحمد لله . انتظر قليلا سآتيك بطعام . (**تخرج**)

جرير : ليتنى استأذنتها فبحثت عن أمير المؤمنين ، فما ينبغى لى أن آكل فى بيته قبل أن أبشره وأسلمه الكتاب .

عاتكة : (**تعود فتقدم له طعاما فى إناء**) كل يا أخا العرب ، فلا شك أنك جائع .

جرير : شكرا يا أُخيّة ..

عاتكة : ما بالك لا تأكل ؟ والله لو كان عندنا خير من هذا لقدمته لك .

جرير : أما إنه لطيب ، ولكنى أود لو لقيت أمير المؤمنين قبل ذلك .

عاتكة : خير لك أن تلقى أمير المؤمنين وقد اكتفيت .

جرير : ألا تأذنين لى فأبحث عنه فى طرقات المدينة ؟

عاتكة : كلا .. أنت تبقى هنا وأنا أخرج له وأبحث عنه .

جرير : هذا لا يصح .

عاتكة : لم لا يصح ؟

جرير : أنا أجدر أن أخرج فى هذا الليل .

عاتكة : لكنى أعرف بمظانّة منك ، ولو عاد فلم يجدك هنا ليغضبن غضبا شديدا فقد كان ينتظر قدومك على أحر من الجمر . كل طعامك يا أخا حِمْيَر وسأعود بأمير المؤمنين وشيكا إليك .

(تلقى عليها دثارها وتهم بالخروج ولكنها تقف أمامه كالمترددة) .

جرير : هل بدا لك يا أخية فأردت منى أن أخرج أنا من دونك ؟

عاتكة : كلا يا أخا حمير ، ولكن لى رجاء إليك ألا تذكر لأمير المؤمنين أننى سألتك عن أخى سعيد بن زيد .

جرير : وأى بأس فى ذلك ؟

عاتكة : إنك لا تعرف عمر . هل لك أن تعدنى بذلك ؟

جرير : حبا وكرامة .

(**تخرج عاتكة**) .

جرير : (**يأكل وهو يتمتم**) ما شهدت كالليلة عجبا . كيف طاوعتها فى مثل هذا الأمر ؟ تخرج امرأة أمير المؤمنين فى سواد الليل لتبحث لى عنه وأنا قاعد فى بيته آكل الطعام . لقد كان علىّ أن أخالفها فى ذلك ، ولكنها كانت من قوة العارضة بحيث لم تدع لى مجالا لغير الطاعة والموافقة . ليت شعرى ماذا أقول لأمير المؤمنين إن لامنى فى ذلك ، وحق له أن يفعل . لكن فيم يلومنى ؟ لا شك أنه يعلم عن امرأته ما يعرف به عذرى .

(**يدخل عمر وعاتكة ويرفأ فيتوقف جرير عن الأكل**)

عمر : أكمل طعامك يا أخا حمير .

جرير : قد اكتفيت يا أمير المؤمنين .

عمر : لا والله لا أسمع منك البشرى حتى تكمل طعامك . (**يجلس قريبا من جرير**) خبرنى دون أن تنقطع عن أكلك : هل سألتك عاتكة هذه عن شىء ؟

جرير : (**فى حرج**) يا أمير المؤمنين ...

عاتكة : أما وقد سألك أمير المؤمنين فلا تكتم عنه شيئا . أخبره بالحقيقة .

جرير : (**ينظر إليها متعجبا فى شىء من الحيرة**) ...

عمر : سألتك عن أخيها سعيد بن زيد ؟



ألا تأذنين لى فأبحث عنه فى طرقات المدينة ؟

جرير : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : وبشرتها بأنه بخير ؟

جرير : نعم .

عمر : (**يلحظ تعجب جرير**) لو قلت لها إنه قتل لما قدمت إليك هذا الطعام .

عاتكة : ألا تحب يا أمير المؤمنين أن أطعم هذا الرسول وأكرمه ؟

عمر : بلى يا عاتكة . وددت لو فعلت ذلك دون أن تسأليه عن أخيك .

عاتكة : وأى بأس فى ذلك ؟

عمر : أى بأس فى ذلك ؟ عمدت إلى بشير المسلمين كافة ، فاتخذته كأنه بشير لك خاصة .

عاتكة : ما كنت لأسأله عن أخى ، لو لم يطرق بابك فلم يجد أحدا غيرى .

عمر : تعلّمى يا عاتكة أنه ما جاء لزوجك عمر بن الخطاب ، بل جاء لأمير المؤمنين .

عاتكة : قد علمت أنك ستحاسبنى على ذلك حسابا عسيرا .

عمر : ومع ذلك ما تحرجت ولا تأثمت .

عاتكة : وهل رزأت المسلمين شيئاً حتى أتحرج أو أتأثم ؟

عمر : تلك حجة النفس الأمارة بالسوء . يوشك من لا يتحرج اليوم من هذا القليل ألا يتحرج غدا من الكثير .

(**يلتفت إلى جرير**) انتهيت من طعامك يا أخا حمير ؟

جرير : نعم يا أمير المؤمنين . هاك هذا كتاب أبى عبيدة .

عمر : (**يفض الكتاب ويتصفحه بسرعة**) ثلاثة آلاف من المسلمين . لا حول ولا قوة إلا بالله .

جرير : لكن قتل من العدو مائة ألف وأربعون ألفا .

عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله .. لو أسلموا أو صالحوا لكان خيرا لنا ولهم . لكنّ مائة ألف وأربعين ألفا عدد كبير .

جرير : ربما كانوا أكثر من ذلك فى حقيقة الأمر .

عمر : هل لك أن تصف لى كيف تم ذلك ؟

جرير : لما رأى خالد بن الوليد أن القتال قد طال ، قاد هو خيل المسلمين فشد بها على خيل الروم : فلما رآها قد توجهت للعرب ، أمر المسلمين فأفرجوا لها المضيق ولم يحرجوها ، فتفرقت فى الصحارى شذر مذر . وفرغ المسلمون لرجالة الروم فضيقوا عليهم ، وكان فيهم مقترنون ومسلسلون ، وكان اليوم مُضِبًّا ، وثارت الرياح الهوج تسفى سوافيها فى وجه الروم ، والمسلمون يقتفون أثرهم ويضيّقون عليهم ؛ فأخذ الروم يتساقطون فى اليرموك وفى الواقوصة ، فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من جشعت نفسه ، فيهوى الواحد بالعشرة لا يطيقونه ، وكلما هوى اثنان كانت البقية أضعف حتى قُتل منهم بهذه الصورة أكثر ممن قتل بسيوف المسلمين .

(يسمع صوت المؤذن لصلاة الفجر فيصغى الجميع خاشعين)

عمر : (**بعد انتهاء الأذان**) هل تستطيع يا جرير أن تقص هذا للناس من على المنبر ؟

جرير : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : (فى أسى) مساكين !

جرير : من يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أولٰئك الذين وصفتهم .. أولٰئك الذين حُشروا للقتال كرها وبأيديهم السلاسل .. جنود مستعبدون وقوم مستعبدون فلا غرو أن ينصرنا الله على هرقل .

(ستار)

المشهد الثاني

القصر الملكى بأنطاكية .

عند منتصف الليل .

هرقل : ما كان ينبغى لنا يا مارتينا أن نرسل فى طلب البطريق أثناسيوس .

مارتينا : لم لا ؟

هرقل : فى هذه الساعة من الليل ؟

مارتينا : إن يكن بريئا فسيسره أن تثبت لنا براءته ، وإلا فلينقطع وتين قلبه من الروع .

هرقل : إنه مخلص لى لا شك فى إخلاصه .

مارتينا : لا تأمن لرجال الدين أبدا . إنهم ينافقونك ما خافوك ، حتى إذا أمِنوا غدروا بك .

هرقل : لا ينبغى يا مارتينا أن نأخذ المحسن بالمسىء ، والبرىء بالمذنب .

مارتينا : ثق يا مولاى أنهم جميعا مثل صفرونيوس ، إلا أن صفرونيوس كان أشجع منهم ، فصارحك بما فى نفسه من دون الآخرين . إنهم جميعا متواطئون مع أنصار قسطنطين ، يعملون سرا لإسقاطى وإسقاطك عن طريق التنديد بزواجنا ، والإشاعة فى الناس أنه إثم لا يرضى عنه الله .

هرقل : لقد تزوجنا من زمن بعيد ، فما الذى أسكتهم حتى اليوم إن صح ما تقولين ؟

مارتينا : أسكتهم الخوف من بطشك فيما مضى ، فلما رأوا هزائمنا المتوالية أمام المسلمين ظنوا أن الفرصة سانحة .

هرقل : وما تقولين فى البطريق سرجيوس ؟ أليس هو صديقك المخلص الأمين ؟

مارتينا : بلى هو الصديق الوحيد الذى أطمئن إليه من رجال الدين

هرقل : فكيف تخافين من وقوع مؤامرة فى العاصمة وهو بطريقها ؟

مارتينا : إنى لا آمن أن يغلبوه على أمره إذا تركناه وحده .

(يدخل الحاجب)

الحاجب : البطريق أثناسيوس يا مولاى القيصر .

هرقل : دعه يدخل .. (**يخرج الحاجب**) والله لا أدرى ماذا أقول له .

مارتينا : دعنى أنا أتولَّ مناقشته .

هرقل : ارفقى به يا مارتينا . لا ينبغى أن نحول أصدقاءنا إلى أعداء

مارتينا : اطمئن من هذه الناحية .

(يدخل أثناسيوس فيحنى رأسه محييا للملكين)

هرقل : مرحبا بالبطريق الصديق . (**يومئ له بالجلوس فيجلس أمامهما**) نرجو ألا نكون قد روعناك بهذه الدعوة المفاجئة .

أثناسيوس : لا أكتم عنك يا مولاى القيصر أنها روعتنى حقا .

مارتينا : أنا التى اخترت هذا الوقت بالليل ، حتى يكون اجتماعنا سرا لا يعلم به أحد .

أثناسيوس : يا مولاتى القيصرة ، لو اجتمعنا نهارا لكان ذلك أصون للسر .

مارتينا : أحقا ؟ أنت أعلم منا يا سيدى البطريق بهذه الشؤون !!

أثناسيوس : (**يتجلد**) أقصد يا مولاتى أن الدعوة ليلا جعلت أتباعى يتساءلون عن السر فى ذلك .

مارتينا : إذن فلن يطول غيابك عنهم . خبرنى يا سيدى البطريق هل اتصل بك أحد من أنصار الأمير قسطنطين فى العاصمة ؟

أثناسيوس : (**مدهوشا**) من أنصار الأمير قسطنـــطين ... متـــى يا مولاتى ؟

مارتينا : أنت الذى تعرف متى !!

أثناسيوس : إنما سألت متى ، لأعرف بالضبط ماذا تريدين أن تعرفيه حتى لا أخطئ الجواب عن سؤالك .

مارتينا : أريد أن أعرف هل اتصل بك أحد منهم فى شأنى أنا .

أثناسيوس : فى شأنك أنت ؟ لا يا مولاتى لم يتصل بى أحد فى شأنك .

مارتينا : ولا عن طريق صفرنيوس ؟

أثناسيوس : لست أفهم ماذا تعنين .

مارتينا : ألم يكاتبك صفرنيوس فى هذا الشأن ؟

أثناسيوس : صفرنيوس يكاتبنى وأنا أكاتبه ، ولكنه لم يكاتبنى فى هذا الشأن قط .

مارتينا : ففى أى شىء يكاتبك ؟

أثناسيوس : فى شؤوننا الدينية وما يتصل بها من أحداث . لكن فيم توجيه هذا السؤال إلىّ ؟ ألا تخبريننى يا مولاتى ماذا تقصدين لعلى أستطيع أن أرشدك .

مارتينا : كأنك لا تعلم ماذا كتب صفرنيوس إلى القيصر ؟

أثناسيوس : لا وحق العذراء — ماذا كتب ؟

مارتينا : قل له يا مولاى .

هرقل : كتب لى رسالة يزعم فيها أن هزيمة اليرموك وما سبقها من هزائم ، كان سببها غضب الله علينا وغضب السيد المسيح للإثم الذى ارتكبته .

أثناسيوس : أى إثم يا مولاى القيصر ؟

هرقل : زواجى من مارتينا .

أثناسيوس : صفرونيوس يكتب هذا ؟

هرقل : نعم صفرونيوس الذى عينته بطريقا على بيت المقدس !

مارتينا : وأنت يا سيدى البطريق ألست على هذا الرأى ؟

أثناسيوس : معاذ الله يا مولاتى أن أتهم بالإثم حامى المسيحية الأكبر ، ومنقذ الصليب الأعظم .

مارتينا : ألم تخطب فى الكنيسة يوم جاءنا نبأ اليرموك فى هذا المعنى بعينه ؟

أثناسيوس : كلا يا مولاتى .

مارتينا : فماذا قلت للناس يومئذ ؟

أثناسيوس : قلت لهم إن الله إنما سلط علينا هؤلاء المسلمين لما ارتكبنا من الذنوب والآثام ، وإن السبيل إلى رد هؤلاء على أعقابهم وطردهم إلى صحرائهم هو أن نتوب إلى الله حتى يرفع عنا غضبه ، ويعيد علينا رضاه .

مارتينا : هذا عين ما ورد فى كتاب البطريق صفرونيوس !

أثناسيوس : لكنى لم أقصد مولاى القيصر بذلك ولم أشر إليه ، إذ لا يمكن عندى أن يغضب الله على ابن المسيحية البار الذى استنقذ الصليب الأعظم ، ثم سعى لجمع كلمة المؤمنين بالمسيح على مذهب واحد .

مارتينا : علام إذن تحاول دائما أن تثنى القيصر عن الرحيل إلى العاصمة ؟

أثناسيوس : لأنى أرى فى رحيل القيصر عن أنطاكية اليوم ، توهينا لعزائم إخواننا الذين يقاومون العدو فى البلاد التى لم تستسلم له بعد ، ولا سيما فى بيت المقدس حيث الصليب الأعظم وسائر المقدسات المسيحية .

مارتينا : هذا عين ما ورد فى كتاب البطريق صفرونيوس !

أثناسيوس : هذا هو الحق يا مولاتى ولا يضيره أن يرد فى كتاب البطريق صفرونيوس أو لا يرد .

مارتينا : البطريق صفرونيوس مفهوم غرضه الخفى من تخذيل القيصر عن السفر إلى القسطنطينية ؛ فما غرضك أنت من ذلك ؟

أثناسيوس : قد ذكرت غرضى ولا غرض لى سواه .

مارتينا : هذا الغرض الذى ذكرته قد ذكره صفرونيوس أيضا فى كتابه ، ولكنى أسألك عن الغرض الخفى .

أثناسيوس : لست أفهم يا مولاتى ماذا تعنين ، وإلى أى شىء ترمين .

هرقل : اشرحى له غرض صفرونيوس الخفى !

مارتينا : إنه يعرف ذلك .

أثناسيوس : كلا يا مولاتى أنّى لى أن أعرفه ؟
مارتينا : غرضه الخفى أن يبقى القيصر بعيدا عن القسطنطينية ، ريثما يتم تنفيذ المؤامرة هناك .
أثناسيوس : أى مؤامرة يا مولاتى ؟
مارتينا : حرمان هرقلوناس ابنى من حقه فى وراثة العرش ، ليكون قسطنطين هو الوارث الوحيد .
أثناسيوس : إنى أقسم لك بطهارة مريم العذراء ، وقدس السيد المسيح ، لا علم لى بشيء مما تذكرين .
مارتينا : ففيم إذن تحرّض القيصر على البقاء فى أنطاكية ؟
أثناسيوس : مادام الأمر كذلك ، فليرحل مولاى القيصر إلى عاصمة ملكه فى حماية الله ورعايته .
مارتينا : ألست ترى أن تعجيله بالسفر أصلح له ؟
أثناسيوس : بلى .
هرقل : أم أنتظر حتى يجيء الصليب الأعظم ، فأعود به إلى القسطنطينية ؟
أثناسيوس : الصليب الأعظم ؟. هل أمرت يا مولاى بإرساله من بيت المقدس ؟
هرقل : نعم .. أمرت بذلك . ليكون بمنجاة من الوقوع فى أيدى العدو .
أثناسيوس : من طريق البحر ؟
هرقل : نعم فطريق البرّ غير مأمون .
أثناسيوس : أحسنت يا مولاى .



لست أفهم يا مولاتى ماذا تعنين وإلى أى شىء ترمين

هرقل : بودى لو أحمله معى إلى القسطنطينية لتنالنى بركته .

مارتينا : إنك لا تضمن متى يصل ، فما ضرك لو سبقت إلى خلقيدونية فانتظرته هناك ، حتى إذا وصل حملته إلى العاصمة ؟ إذن تحقق الغايتين معا : تحول دون تنفيذ المؤامرة ، وتدخل العاصمة بالصليب الأعظم معك .

(تنظر مليا إلى أثناسيوس كأنها تأمره بالموافقة على رأيها) .

أثناسيوس : أجل يا مولاى القيصر . هذا هو الرأى فيما أرى .

هرقل : **(ينظر إلى مارتينا كأنه يقول لها قد بلغت غايتك ، ثم يلتفت إلى أثناسيوس)** أليست سورية يا أثناسيوس بلدا عزيزا على النفس فراقه ؟

(ينهض فينظر إلى المروج الخضر من النافذة فى ضوء القمر)

أثناسيوس : بلى يا مولاى القيصر ، ولكنك ستعود إليها بإذن الله فتقذف بهؤلاء العرب فى البحر .

هرقل : هيهات يا أثناسيوس ما أحسبنى سأعود مرة أخرى .

أثناسيوس : بل ستعود يا مولاى القيصر .

هرقل : إن قلبى يحدثنى أننى لن أعود . **(تغيم عيناه بالدمع)** وداعا يا سورية .. وداعا لا لقاء بعده . سلام عليك يا سورية ، سلام مودع لا يعود !

(ستار)

المشهد الثالث

دار الضيافة بالمدينة .

رواق يتصل بالفناء التابع لدار الضيافة .

يرى عمر واقفا فى الرواق ينظر إلى المسلمين الذين يأكلون فى الفناء (خارج المسرح) ومعه عبد الرحمن بن عوف .

عبد الرحمن: طب بالا يا أمير المؤمنين ، فإن الطعام الذى يقدم للمسلمين هنا طعام طيب شهى .

عمر : هل ذقته يا ابن عوف ؟

عبد الرحمن: من رائحته يا أمير المؤمنين .

عمر : لن يطيب لى بال حتى يكون الذى يقدم هنا ، خيرا من الذى يأكله عبد الرحمن بن عوف فى بيته .

عبد الرحمن: فهو اليوم كذلك .

عمر : هيهات يا ابن عوف .

عبد الرحمن: إن أذنت لى أكلت معهم الساعة .

عمر : إذن يكون ذلك من شُحِّك .

(يدخل أسلم)

أسلم : يا أمير المؤمنين عمرو بن معدى كرب وصاحب له ، يستأذنان عليك .

عمر : من الصاحب ؟

أسلم : لم يشأ أن يخبرنى باسمه .

عمر : إيذن لهما يا أسلم .

أسلم : هنا يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم . إن يكونا جائعين فليأكلا مع الآكلين .

(يخرج أسلم)

عبدالرحمن: هذا فارس العرب يا أمير المؤمنين ، فامدد به سعد ابن أبى وقاص .

عمر : كل من يرد إلينا الآن نلحقه بسعد .

(يدخل عمرو بن معديكرب وحده)

عمرو : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام ورحمة الله . أين صاحبك الذى معك ؟

عمرو : رأيت ألا أدخل به حتى أستأمن له عندك .

عمر : ومن هو ويلك ؟

عمرو : لا أخبرك باسمه حتى تعطينى أمانا له .

عمر : أذو جريرة هو ؟

عمرو : ذا جريرة كان ، ولكنه تاب وأناب .

عمر : فمن تاب يا عمرو تاب الله عليه .

عمرو : أعطيته الأمان ؟

عمر : نعم .

عمرو : (**يناديه**) ادخل يا طليحة بن خويلد .

(يدخل طليحة فى استحياء)

عمر : بخ . بخ .. قاتل عكاشة بن محصن وثابت بن الأرقم !!

طليحة : ألست قد أمنتنى يا أمير المؤمنين ؟

عمرو : بلى أمنته يا أمير المؤمنين ، وأنا على ذلك شهيد .

عمر : اسكت يا أبا ثور .

عمرو : سكتّ يا أمير المؤمنين .

عمر : (**لطليحة**) أولست قد تبت ؟

طليحة : بلى يا أمير المؤمنين تبت وأنبت ؟

عمر : فالله عز وجل هو الذى أمّنك ، ولكنى لا أحبك أبدا .

طليحة : من أجل عكاشة وثابت ؟

عمر : وهل قتلهما هيّن عندك ؟

طليحة : معاذ الله يا أمير المؤمنين .

عمر : أما إنهما لمن الرعيل الأول .

طليحة : (**فى استعطاف**) يا أمير المؤمنين ما يهمك من رجلين أكرمهما الله بالشهادة على يدى ، ولم يُهِنّى بأيديهما ؟

عمر : (**ينظر إليه مليا**) صدقت يا ابن خويلد . ربنا لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم .

عمرو : جزيت الخير يا أمير المؤمنين إذ قبلت شفاعتى فى طليحة .

عمر : كلا يا أبا ثور . لا أنت شفعت له ولا أنا قبلت شفاعتك .

عمرو : كيف يا أمير المؤمنين ؟ أتنكر هذا الذى جرى بيننا الساعة ؟

عمر : (**يلتفت إلى طليحة**) ليت شعرى ما الذى دفعك إلى الاستشفاع بعمرو بن معد يكرب ؟

طليحة : ظننت يا أمير المؤمنين أنه أقرب منى إليك، وأجدر مني بتكرمتك .

عمرو : ظننت ؟ يا هذا قل أيقنت !

عمر : لماذا ويلك ؟ ألأنك استمسكت بدينك يوم ارتدت العرب؟

عمرو : لا يا أمير المؤمنين .. بل ارتددت مثله وأضلني الشيطان كما أضله، ولكن لم يبلغ بى الكفر أن أزعم أنى رسول من الله يوحى إلى !

(يضحك عمر وعبد الرحمن)

عمر : اعلم يا عمرو أن الكفر ملة واحدة ، وأنه لا تفاضل فى الكفر .

عمرو : صدقت يا أمير المؤمنين . لو كان فى الكفر تفاضل لفضلتهم أنا جميعا فإنى فارس العرب غير منازع .

عمر : لو قلت : فارس اليمن لكان ذلك أقرب .

عبد الرحمن: حتى هذه ينازعك فيها منازع .

عمرو : منذا ينازعنى فى ذلك ثكلته أمه ؟

عبد الرحمن: ابن أختك قيس بن هبيرة المرادى .

عمرو : أو قد غرك ما قاله عنى وعن نفسه ؟ والله لولا خوفى أن تثكله أختى لما عاش إلى اليوم .

عبد الرحمن: أليس هو القائل لك :

فلو لاقيتنى لاقيت قِرنا ... وودعت الأحبة بالسلام ؟

عمرو : بلى إنى لأشفق على أختى أن أفجعها فيه ، ولكنه لا يشفق على أمه أن يفجعها فى أخيها .



إني لأشفق على أخي أن أفجعها فيه
ولكنه لا يشفق على أمه أن يفجعها في أخيها

عمر : هل لك يا أبا ثور أن تنشدنى أبياتك التى تقول فيها : أريد حياته ويريد قتلى ؟

عمرو : أو قد سمعتها يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم وأحب أن أسمعها بعد منك .

عمرو أعاذل إنما أفنى شبابى إجابتىَ الصريخ إلى المنادى

عمر : (**معجبا**) لله أبوك .. أتمم .

عمرو ويبقى بعد حلم القوم حلمى ويفنى قبل زاد القوم زادى

عمر : (**يطرب للبيت فيكرره فى إعجاب**)

ويبقى بعد حلم القوم حلمى ويفنى قبل زاد القوم زادى

عمرو تمنى أن يلاقينى قُيَيْسٌ وددت وأينما منى ودادى

فمنذا عاذرى من ذى سفاه يرود بنفسه منى المرادى

أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

عمر أريد حياته ويريد قتلى عذيرك من خليلك من مراد

: لافض فوك يا عمرو ! هذا هو الشعر . والله لولا أن أسير فى سبيل الله ، أو أضع جبينى لله فى التراب ، أو أجالس قوما يلتقطون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر ؛ لأحببت أن أكون قد لحقت بالله .

(**يدخل معيقيب حاملا معه إناء صغيرا من الطعام**)

معيقيب : هذا الحساء الذى عمل اليوم يا أمير المؤمنين .

عمر : (**يذوق منه**) كثير ملحه يا معيقيب .

معيقيب : إنهم يحبونه هكذا يا أمير المؤمنين .

عمر : وقليل دهنه .

معيقيب : الشاة التى ذبحناها اليوم كانت غير سمينة .

عمر : لو كنت تشتريها لنفسك لأحسنت اختيارها .

معيقيب : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما دخل السوق خير منها .

عمر : فهلا نحرت لهم من إبل الصدقة ؟

معيقيب : غدا يا أمير المؤمنين أفعل ذلك .

عمر : انظر . أترى إلى ذلك الرجل الذى يجلس بقرب الحائط ؟

معيقيب : ما باله يا أمير المؤمنين ؟

عمر : إنه يأكل بشماله . اذهب إليه فقل له يأكل بيمينه !

معيقيب : سمعا يا أمير المؤمنين . (**يخرج من ناحية الفناء**)

عمر : هل أنتما جائعان ؟

عمرو : نعم يا أمير المؤمنين .

طليحة : شيئا ما يا أمير المؤمنين .

عمر : أتحبان أن تأكلا هنا مع المسلمين ، أم تأكلا معى فى البيت ؟

عمرو : بل نأكل معك يا أمير المؤمنين ليكون لنا شرف ضيافتك .

طليحة : أما وقد خيرتنا يا أمير المؤمنين ، فإنى أوثر الأكل هنا مع عامة المسلمين .

عمر : أنت وما تحب . انتظرونى قليلا فإنى أريد أن أتفقد المطبخ . (**يخرج من اليسار إلى داخل الدار**)

عمرو : ويلك يا كاره الخير . أتؤثر الأكل هنا على الأكل فى بيت أمير المؤمنين ؟

عبد الرحمن: لقد أحسن طليحة الاختيار ، ووافق خير الطعامين .

عمرو : ماذا تعنى ؟

عبد الرحمن: الطعام هنا أطيب كثيراً من الطعام فى بيت أمير المؤمنين .

عبد الرحمن: لعله أعسر يا أمير المؤمنين .

عمر : إن كان أعسر عذرناه وإلا قومناه . يا أسلم قل لذلك الفتى : أجب أمير المؤمنين . (**يخرج أسلم ثم يعود ومعه الشاب**) أأنت أعسر يا بنى ؟

الفتى : لا يا أمير المؤمنين ما كنت أعسر .

عمر : فما منعك أن تأكل بيمينك وقد نهيناك غير مرة ؟

الفتى : يا أمير المؤمنين يمينى مشغولة .

عمر : وأنت على الطعام ؟

الفتى : بل على الدوام .

عمر : أرنى يمينك .

الفتى : أعفنى يا أمير المؤمنين .

عمر : عزمت عليك .

الفتى : (**ينظر إلى السماء**) اللهم غفرا . (**يخرج يمينه فإذا هى مقطوعة**)

عمر : لا حول ولا قوة إلا بالله ، سامحنى يا بنى ولا تؤاخذنى إذ سألتك .

الفتى : إياك يا أمير المؤمنين أن تظن بى سوءا ، فإنما أصيبت هذه يوم اليرموك فقطعوها .

عمر : حياكم الله يا أهل اليرموك ، لقد والله عز بكم الإسلام ، فأين تُريد يا أخا العرب ؟

الفتى : اليمن يا أمير المؤمنين ، لأتفقّد أماً كبيرة لم أرها منذ عامين ، ولولاها لبقيت فى جيش الشام .

عمرو : كلا لا أصدق هذا أبدا . طعام أمير المؤمنين أطيب لا محالة .

عبد الرحمن: إن كنت تعنى أطيب عند الله وأشبه بهدى رسول الله فقد صدقت ، وإن كنت تعنى أدسم وأشهى فلا .

عمرو : أنا أريد الأدسم والأشهى .

عبد الرحمن: فلن تجد ذلك فى مائدة عمر .

عمرو : (**لطليحة**) ويلك هلا نبهتنى إلى ذلك ؟

طليحة : والله ما كنت أعلم .

عمرو : فكيف اخترت خير الطعامين ؟

طليحة : إنما كرهت أن أثقل على أمير المؤمنين ، وقلت يكفينى أى طعام أتبلغ به .

عمرو : ياويلتا ماذا أصنع الآن ؟ ماذا أقول لأمير المؤمنين ؟

عبد الرحمن: لا تقل شيئا ، ولكن اذهب فاجلس مع هؤلاء الآكلين ، فإن سألك فقل إنك جائع ولم تستطع أن تنتظر .

عمرو : جزيت الخير يا ابن عوف . (**ينهض**) هلم يا طليحة معى . أم تريد أن تأكل على مائدة أمير المؤمنين ؟

طليحة : بل سأنتظر حتى يعود .

(يهم عمرو بالخروج ولكنه يتراجع إذ يدخل عمر)

عمرو : معذرة يا أمير المؤمنين ، لقد بدا لى أن آكل هنا مع المسلمين فإنى جائع ولا أقدر أن أنتظر .

عمر : لن أجعلك تنتظر طويلا يا أبا ثور . عما قليل نذهب إلى البيت . (**يلتفت إلى ناحية الفناء**) وى ! هذا الشاب ما زال يأكل بشماله !

عمر : يالله أوَ بِرٌّ أيضا؟ والله لا تذهب من عندى إلا بشىء . ياأسلم خذه إلى خازن بيت المال فليعطه خادما وخمسة أباعر من إبل الصدقة ، وليوقروها له من دار الرزق طعاما وعسلا وزيتا وزبيبا .

الفتى : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين .

عمر : الفضل يا بنى لليرموك وللأم التى تركتها باليمن .

(يخرج أسلم ويخرج معه الفتى)

عمرو : يا أمير المؤمنين إنك لتعطى الجزيل ، فأنَّى لك ذلك ؟

عمر : ويلك ياعمرو بن معد يكرب ، من تلك الصدقة التى نجمعها من المسلمين . من تلك الفريضة التى منعتموها أبا بكر فقاتلكم عليها حتى أظفره الله بكم .

عمرو : غفرا ياأمير المؤمنين قد تبنا وتاب الله علينا . إنى قدمت فى وفد من قومى لنجاهد فى سبيل الله .

عمر : طوبى لك ولقومك .

عمرو : فألحقنا بجيش الشام .

عمر : بعد اليرموك لا تحتاج الشام إلى مدد ، ولكنى سألحقكم بجيش العراق .

عمرو : بلغنى أن اليمانية بالشام ، وأن ليس بالعراق غير ربيعة .

عمر : كلا يا عمرو فهناك كندة وهناك بجيلة أيضا ، قد خرجوا جميعا إلى العراق .

عمرو : لكنّ جُلَّ اليمن فى الشام .

طليحة : يا أبا ثور . اقْنِ حياءك : ارتددنا أمس عن دين الله ونقول اليوم لأمير المؤمنين حين يندبنا للجهاد : نريد هذا الوجه ولا نريد ذاك الوجه؟ يا أمير المؤمنين إنى نذرت نفسى للجهاد فارم بى حيث شئت .

عمر : بوركت يا ابن خويلد . لأكتبن إلى سعد بن أبى وقاص فى شأنك : إنى مرسل إليه فارسا يعدل ألف رجل .

عمرو : وأنا أيضا يا أمير المؤمنين قد نذرت نفسى لله فارْمِ بى حيث شئت .

عمر : بوركت يا أبا ثور . إنى لأرجو أن تكون رستم العرب .

عبد الرحمن: يا أمير المؤمنين إنهما جائعان .

عمر : اجلس يا طليحة مع هؤلاء فكل معهم ، وهلم يا أبا ثور معى إلى البيت . (**يهم بالمسير**)

عمرو : كلا يا أمير المؤمنين ، ليس من العدل أن يأكل صاحبى هنا وآكل أنا عندك .

عمر : فلتأكلا معاً عندى .

عمرو : لا يا أمير المؤمنين لا ينبغى أن نثقل عليك .

عمر : ليس فى ذلك أى إثقال على .

عمرو : يا أمير المؤمنين إنك تعلم ما نريد !

عمر : فلم لا تقولها بملء فيك ؟

عمرو : فلأقلها بملء فىّ . نريد الأدسم يا أمير المؤمنين ، نريد الأدسم!

عمر : (**يدفعه ناحية الفناء**) فاجلس هناك وكل مع الآكلين .

(**يتضاحكون**)

(**ستار**)

المشهد الرابع

خيمة المعنى وشيرين .

فى شراف حيث نزل سعد بن أبى وقاص بجيشه فانضم إليه الجيش الذى كان مع المثنى بن حارثة .

شيرين : سلمى ! إن الرجل آت الساعة .

سلمى : (**فى برم**) فليأت .

شيرين : ليجدك هكذا متسلّبة فى ثوب الحداد ؟ .

سلمى : أما كان يعلم أن المثنى مات . وأنه كان زوجى ، وأنى لن أسلوه أبد الدهر ؟

شيرين : ما هذا ؟ أنعود سيرتنا الأولى : نحاول إقناعك بقبوله وأنت ترفضين ؟ أترجعين يا سلمى عن وعدك ؟

سلمى : يا ليت . هل من سبيل إلى ذلك ؟

شيرين : كلا يا سلمى ، ماذا يقول الرجل عنا وعنك ؟

سلمى : ليقل ما يشاء .

شيرين : سعد بن أبى وقاص ليس كأحد من الناس . هذا قائد جيش أمير المؤمنين ومن كبار صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام .

سلمى : أنا لا أعدل بالمثنى أحدا أبدا .

شيرين : ومنذا الذى طلب منك أن تعدليه بالمثنى ؟

سلمى : فكيف إذن أتزوجه ؟

شيرين : إنه يبغي كرامتك، ولن تجدى بعد المثنى خيرا منه .

سلمى : إنى أخاف يا شيرين .

شيرين : ماذا تخافين ؟

سلمى : أن ألهج بذكر المثنى عنده ، فيغضبه ذلك منى .

شيرين : أنت يا سلمى أكيس من ذلك، والكياسة مع الرجال مما نتوارثه نحن النساء .

سلمى : يالضياع المعروف بين الناس . لقد كان رحمه الله يُعِزك يا شيرين ويُجلّك .

شيرين : وأنا والله لن أنسى جميله ومعروفه ما حييت .

سلمى : وتحرضينى اليوم على نسيانه ؟

شيرين : من أجلك أنت يا سلمى .

سلمى : ما كنت أريد أن أتزوج من بعده .

شيرين : ومن أجله هو أيضا . لا شك عندى أن ذلك يرضيه فى قبره.

سلمى : يرضيه أن أنساه ؟

شيرين : كى يخلفه عليك رجل كريم يعرف قدرك ويصون منزلتك .

سلمى : هيهات يا شيرين .

شيرين : أليس قد أوصاك بتسليم فرسه الشَموس إلى سعد ؟

سلمى : بلى .

شيرين : فتلك يا سلمى كناية عن رغبته فى أن يتزوجك سعد ويكرمك .

سلمى : ليتنى إذن ما جئت بالفرس إليه .

شيرين : وتُخلِّين بوصية زوجك ؟

سلمى : لا بل كنت أرسل الفرس مع رسول .

شيرين : الأمر فى كلتا الحالتين سواء .

سلمى : أنتم والله كنتم السبب . أنت والمعنى وبشير وجهدمة . كأنما كنتم تريدون أن تهيلوا التراب على ذكرى المثنى كما أهلتموه على جسده .

شيرين : لا حق لك أن تتَّهمى حُبَّنا للمثنى وإخلاصنا له . والله لتبقين ذكراه فى قلوبنا ما بقيت قلوبنا تنبض .

(**يدخل المعنى**)

المعنى : هل لى الآن أن أذهب إلى سعد ؟

شيرين : بل انتظر قليلا يا معنى ، فما ينبغى أن يراها على هذه الهيئة .

سلمى : (**فى جفاء**) أتريد يا معنى أن تحضره معك ؟

المعنى : نعم يا أختاه .

سلمى : (**فى سخرية**) لم لا تذهب بى أنا إليه كما تساق الجارية الموروثة ؟

المعنى : حاشاك يا سلمى ، أنت أعز وأكرم من ذلك . إن سعدا هو الذى رأى أن يسعى بنفسه إلينا ليخطبك من نفسك .

سلمى : فما ذهابك أنت إليه ؟

المعنى : لأرشده إلى خبائنا فى الوقت الذى ترين أن نستقبله فيه .

شيرين : لقد كان الرجل كريما معك ، فلتكونى كريمة معه .

المعنى : هل تحبين يا سلمى أن نؤجل حضوره إلى الغد ؟

شيرين : إلى الغد ؟

المعنى : لا بأس إن شاءت .

شيرين : لا بل أحضره الآن .. الآن أفضل .

المعنى : لكن ....

سلمى : لا تخف .. سأصلح من زينتى فى الحال .

المعنى : بوركت ياأختاه . (**يخرج**)

شيرين : (**تشير إلى المخدع**) هيا بنا يا أختاه لنصلح من زينتك .

سلمى : (**بصرامة**) لا والله لا أغير من هيئتى شيئا .

شيرين : لا ينبغى أن يراك فى هذا السواد .

سلمى : لن يرانى إلا فى هذا السواد .

شيرين : سيظن أنك لا تهتمين بأمره .

سلمى : ليظن بى ما يشاء .

شيرين : لا يصح يا سلمى أن تستخفى بأمير الجيش .

سلمى : أنا لا أستخف بأحد .

شيرين : لا بأس أن يراك على هذه الهيئة لو أنه جاءنا من غير ميعاد .

سلمى : أنا ما طلبت من أحد أن يعطيه ميعادا أو يدعوه .

شيرين : يا سلمى إنك تعلمين أننا إنما نعمل لخيرك .

سلمى : بل لخيركم أنتم . تريدون أن تتخذونى وسيلة إلى أمير الجيش .

شيرين : (**فى ارتياع**) أمير الجيش ! ماذا يصنع بنا وماذا نصنع به ؟

سلمى : عسى أن يتخذكم بطانة له .

شيرين : (**فى شىء من الارتياب**) بطانة له !

سلمى : ليستشيركم فى أموره ويقدمكم على الناس .

شيرين : (**يُسرَّى عنها قليلا**) وأى بأس علينا فى ذلك ما أخلصنا النصح لله وللمسلمين ؟

سلمى : (**فى استكار**) لله وللمسلمين . لله وللمسلمين . (**تنظر إليها مليا**)

شيرين : (**تتقى نظرات سلمى**) ما خطبك ؟ لم تنظرين هكـذا إلى ؟

سلمى : لقد صدق المثنى رحمه الله !

شيرين : (**متجلدة**) فيماذا ؟

سلمى : فيما قاله عنك يا شيرين .

شيرين : (**تغالب اضطرابها**) ماذا قال عنى ؟

سلمى : إنك امرأة طموح .

شيرين : امرأة طموح ؟

سلمى : نعم .

شيرين : وما قال عنى يا سلمى شيئا آخر ؟

سلمى : أكنت تتوقعين أن يقول عنك شيئا آخر ؟

شيرين : لا يا سلمى لا .

سلمى : ما خطبك يا شيرين ؟

شيرين : ما خطبى ؟

سلمى : أراك ارتجفت ، ماذا دهاك ؟

شيرين : الحمد لله . الآن اطمأن قلبى إذ لم يقل عنى أسوأ من هذه الكلمة .



الحمد لله . الآن اطمأن قلبي إذ لم يقل عني أسوأ من هذه الكلمة

سلمى : ويحك أو قد نسيت أنه كان يعزك ويجلك .

شيرين : خشيت أن يكون قد ساء رأيه فيّ وأنا لا أعلم . (**تدخل جهدمة وهى تحمل طفلها الرضيع**)

شيرين : مرحبا بك يا جهدمة . ماذا أخرك ؟

جهدمة : أخرنى هذا الولد .

شيرين : وى ! هذا المعنى قد عاد ومعه أمير الجيش وبشير .

جهدمة : لكنك لم تصلحى زينتك بعد .

شيرين : إنها تريد أن تستقبله وهى على هذه الهيئة .

جهدمة : أجننت يا سلمى ؟ ماذا يقولون عنا نساء بنى شيبان ؟ خذى هذا الطفل يا شيرين . (**تناول طفلها لشيرين ثم تجذب سلمى نحو الداخل**) والله لا يكون هذا أبدا . (**تخرج النسوة الثلاث**) (**يدخل سعد والمعنى وبشير بن الخصاصية**)

المعنى : مرحبا بك فى رحلنا يا أمير الجيش .

بشير : اجلس على الرحب والسعة .

سعد : (**يجلس**) يرحم الله المثنى بن حارثة . إنى لأرى أثره فى كل وجه من وجوه أصحابه .

بشير : لو أدركته يا سعد لرأيت رجلا يقل مثله فى الرجال .

المعنى : لطالما اشتاق أن يراك وأن يقاتل ولو يوما واحدا معك .

سعد : والله لو أدركته لجعلت له إمرة الحرب ، كما فعل أبو عبيدة ابن الجراح مع خالد بن الوليد فى الشام .

صوت : (**يسمع من الخارج**) يا معنى بن حارثة ! يا معنى بن حارثة !

سعد : هذا صوت خالد بن عُرفُطة ..

الصوت : يا معنّى بن حارثة !

المعنى : لبيك !

الصوت : هل عندكم أمير الجيش !

المعنى : نعم ..

الصوت : أنا خالد بن عُرفُطة . هل لى أن أدخل إليه ؟

سعد : قل له يدخل .

المعنى : يقول لك الأمير ادخل .

(يدخل خالد بن عرفطة)

خالد : معذرة يا سعد . هذا كتاب وصل الساعة من أمير المؤمنين .

سعد : وأين الرسول ؟

خالد : تركته هناك فى خبائك .

سعد : أحسنت يا خالد . (**يفض الرسالة ويتصفحها ويهز رأسه متعجبا**) عجبا والله لكأنما ينطقان بلسان واحد .

بشير : ماذا تعنى يا أبا إسحاق ؟

سعد : المثنى بن حارثة وأمير المؤمنين .

المثنى : كيف يا أبا إسحاق ؟

سعد : هل لك أن تعيد على سمعى وصية أخيك التى أبلغتها لى أول من أمس ؟

المعنى : حبا وكرامة . إنه يوصيك إذا اجتمع أمر عدوك من أهل فارس وملؤهم ألا تقتحم عليهم فى عُقر دارهم ، ولكن

تقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم . فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ماوراءهم ، وإن تكن الأخرى كانوا أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم ، إلى أن يرد الله الكرة عليهم .

سعد : الله أكبر . هذا نفس ما أوصانى به أمير المؤمنين فى كتابه هذا دون أى اختلاف . فأشيروا علىّ يرحمكم الله أى منزل نختاره للقاء العدو ؟

خالد : انزل بنا فى العُذيب ، فإنها من مسالح فارس الحصينة .

سعد : ماذا تريان أنتما ؟

بشير : النزول بالعذيب حسن ، ولكن خير منها القادسية .

المعنى : أجل يا أبا إسحاق .. فإنها باب فارس .

سعد : أنتما أعلم بهذه الأرض منا ، فلتكن القادسية منزلنا الذى نستقر فيه إلى أن نلقى العدو . خبرنى يا خالد هل أحصيت أسماء من لدينا من الناس ؟

خالد : نعم .

سعد : وعرَّفت العرفاء ؟

خالد : نعم جعلت على كل عشرة عريفا .

سعد : وأمّرت أمراء الأجناد ؟

خالد : لا يا أبا إسحاق ، ينبغى أن تتولى تأميرهم أنت بنفسك .

سعد : فهل كتبت لى أسماءهم فى قائمة خاصة ؟

خالد : نعم فى قائمة أهل الشجاعة والنجدة ، ومنهم من حاربوا مع رسول الله ﷺ ؟

سعد : أحسنت يا خالد . كم عندنا ممن حاربوا مع رسول الله ﷺ ؟

خالد : ألف وأربعمائة ، وبينهم بضعة وسبعون من أهل بدر .

سعد : بخ بخ . لا نغلب إن شاء الله وفينا هؤلاء . اسبقني يا خالد إلى رسول أمير المؤمنين لتكون معه حتى أجيىء . (**يخرج خالد**) أين أختكم يا بنى شيبان . ألا تريد أن تدخل عندنا لأكلمها ؟

(ينهض المعنى ويخرج ثم يعود ومعه النسوة الثلاث وقد ارتدت سلمى ثوبا آخر غير ثوب الحداد وأصلحت من شعرها وهيئتها)

المعنى : هذه جهدمة الشيبانية امرأة بشير .

بشير : وهذه شيرين الفارسية امرأة المعنى .

المعنى : وهذه سلمى بنت أبى خصفة أرملة المثنى بن حارثة .

جهدمة : مرحبا بك يا أمير الجيش فى رحلنا .

شيرين : أنت على الرحب والسعة .

سعد : ليت شعرى ماذا تقول سلمى بنت أبى خصفة ؟

سلمى : يا صاحب رسول الله إنى لأخشى أن أقول لك قولا لا يعجبك ، فهل لك أن تهب لى ما عسى أن تجد فى كلامى من جفاء وغلظة ؟

سعد : نعم قولى ما عندكِ يا سلمى ، لا حرج عليك .

سلمى : هل لك أن تخبرنى لماذا تريد أن تتزوجنى ؟ أرغبة فى التمتع أم بغية أن تصل المثنى وتكرمه فى أرملته ؟

سعد : فيم هذا السؤال يا بنت أبى خصفة ؟

سلمى : لن أخبرك حتى تقول .

سعد : **(فى تردد كأنه يخشى أن يقول شيئا يغضبها عليه)** ماذا قال لك المعنى عنى فى ذلك ؟

المعنى : **(مسارعا)** قلت لها إنك تبغى أن تصل المثنى وتكرمه فى أرملته .

سلمى : صه يا معنى ، منه أريد الجواب لا منك .

سعد : فهذا هو الذى قلته يا سلمى وأردته .

سلمى : ولا مقصد لك غير ذلك ؟

سعد : والله لأقولنّ لك الحق وليقض الله ما يشاء . لقد كان ذلك مقصدى الوحيد من قبل أن أراك ، فلما رأيتك انضاف إليه مقصد ثان وهو ...

سلمى : **(مقاطعة)** حسبك قد فهمت ما أنت قائله .

سعد : فهل قبلت ما أنا آمله ؟

سلمى : إنك صاحب رسول الله ، وإنك تجاهد فى سبيل الله ، وفى وسعى أن أعينك على ذلك .

سعد : ولا شيء يا سلمى غير ذلك ؟

سلمى : بكل لسانى ؟

سعد : بكل لسانك .

سلمى : أما اليوم فلا شيء غير ما ذكرت .

سعد : وغدا ؟

سلمى : الله وحده يعلم ما يكون .

(ستار)

المشهد الخامس

(فى بيت عمر)

عاتكة : هل بلغك يا أمير المؤمنين أن أهل المدينة قد خرجوا جميعا من رجال ونساء ، لينظروا إلى هذا الملك الغسانى ؟

عمر : وما أردت إلى ذلك ؟

عاتكة : عجبت إذ لم تمنعهم ؟

عمر : ليس لى أن أمنعهم من أمر لا بأس به ، أفتحبين أن تخرجى فيمن خرج ؟

عاتكة : وتأذن لى يا أمير المؤمنين ؟

عمر : أنا لا أحب أن أمنعك مما تحبين . ولكنك تعلمين أن الغسانى سيحضر هنا عندى ففيم خروجك ؟

عاتكة : يا أمير المؤمنين إنى أريد أن أرى موكبه فى الناس .

عمر : أليس ينبغى أن تكونى فى البيت ، لعلنا نحتاج إلى شىء عند قدومهم .

عاتكة : عندك غلامك أسلم يقوم لك بما تحب .

عمر : اذهبى إذن فقد اشترطت علىّ شرطا لا حيلة لى فيه ..

عاتكة : كلا يا ابن عم ، إن لم تطب لى نفسك بالخروج فإنى أُحِلُّك من ذلك الشرط .

عمر : من صميم قلبك ؟
عاتكة : من صميم قلبى .
عمر : ترى ماذا حملك على ذلك ؟
عاتكة : ثقتى بأن عدلك أضمن لى من شرطى .
عمر : فاخرجى إذن فقد أذنت لك .
عاتكة : من صميم قلبك ؟
عمر : من صميم قلبى .
عاتكة : إذن فلن أخرج فى الناس ، ولكنى سأذهب إلى بيت حفصة أم المؤمنين لأرى الموكب منه .
عمر : بوركت يا عاتكة ، فوالله إنك لحرة كريمة بنت حر كريم .

(تخرج عاتكة) .

(يدخل أسلم)

أسلم : أبلغتهم يا أمير المؤمنين وهم قادمون على أثرى ، ما خلا طلحة فإنى لم أجده .
عمر : كيف رأيت الناس يا أسلم ؟
أسلم : رأيتهم يخرجون من رجال ونساء ليروا موكب هذا الملك الغسانى .
عمر : وأنت يا أسلم أيسرك ذلك ؟
أسلم : كيف لا يا أمير المؤمنين وهذا يوم يظهر فيه عز الإسلام .
عمر : صدقت .
أسلم : ها هم أولاء قد أقبلوا يا أمير المؤمنين .

(يدخل على وعثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير)

عمر : مرحبا بكم يا أصحاب رسول الله . اجلسوا . إنى دعوتكم لتكونوا معى فى استقبال هذا الملك الغسانى الذى أسلم.

عثمان : لو بعثت منا يا أمير المؤمنين من يخرج لاستقباله فى مشارف المدينة .

عمر : قد بعثت عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس فى رهط من وجوه الأنصار .

الزبير : أصبت يا أمير المؤمنين ، فإن جبلة ليعتز بالأوس والخزرج ويدعوهم إخوته وبنى أبيه .

عمر : لو شئت يا أبا عبد الله لقلت أصاب خالد بن الوليد ، إذ جعل على الخيل التى وجهها للقائه فى اليرموك ثلاثة من وجوه الأنصار فكان ذلك سبب إسلامه وإسلام قومه .

الزبير : أجل يا أمير المؤمنين هذه واحدة من آيات خالد فى حرب اليرموك ، وكم له فى اليرموك من آيات . لكأنما كان له فى كل صغير وكبير من شؤونها مَلَكٌ يلهمه ويسدده .

عمر : صدقت . يرحم الله أبا بكر . لقد كان أعرف منى بالرجال .

على : يشهد الله يا أمير المؤمنين أنك ما عزلت خالدا بأبى عبيدة ، وإنما أضفت إلى كفاية خالد حكمة أبى عبيدة .

ابن عوف : فضمنت للمسلمين بذلك خير ما فى خالد ، وكفيتهم شر ما فيه .

عمر : رويدك يا ابن عوف . لا أسمعنَّ أحدا يذكر خالدا عندى إلا بخير ، فلقد والله قصم ظهر الروم فى اليرموك .

ابن عوف : ويحك يا ابن الخطاب ! قد سماه من هو خير منك سيف الله ، وقال مع ذلك اللهم إنى أبرأ إليك مما فعل خالد مرتين .

(تسمع جلبة فى الخارج ثم يدخل عبد الله بن عمر)

عبد الله : يا أمير المؤمنين هذا جبلة بن الأيهم قد وصل .

عمر : ورجاله معه ؟

عبد الله : هم خمسمائة يا أمير المؤمنين ، وقد أنزلناهم عند بنى أبيهم من الأنصار .

عمر : أحسنتم ، فليدخل جبلة .

(يخرج عبد الله ثم يعود ومعه جبلة بن الأيهم عليه التاج)

جبلة : السلام عليك يا أمير المؤمنين .

عمر : وعليك السلام يا ابن الأيهم ورحمة الله . هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ . على بن أبى طالب . عثمان بن عفان . عبد الرحمن بن عوف .

جبلة : الزبير بن العوام . قد عرفته يا أمير المؤمنين فى الشام .

عمر : هلم اجلس إلى جانبى . مرحبا مرحبا بك وبقومك .

جبلة : أهذا بيتك يا أمير المؤمنين ؟

عمر : نعم .

جبلة : وليس لك بيت غيره ؟

عمر : لا يا جبلة . وماذا أصنع بغيره ؟

جبلة : فأين ينزل ضيوفك ؟

عمر : ضيوفى هم ضيوف المسلمين ، ينزلون فى دار الضيافة وهى للمسلمين وليست لى ، وإنما أقوم عليها فحسب .

جبلة : لقد كنت أظن أننى سأنزل ضيفا عندك .

عمر : الدار كما ترى ليس فيها ما يصلح لمبيتك ، ولكن لا بأس أن تأكل معى إذا شئت .

ابن عوف : كلا يا أمير المؤمنين . قلَّ منا نحن من يصبر على طعامك ، فكيف بهذا الذى نشأ فى مهاد النعمة والملك ؟

جبلة : فأين إذن آكل ؟

عمر : فى دار الضيافة تجد ما يصلحك إن شاء الله .

جبلة : هل تأذن لى يا أمير المؤمنين فأنزل عند إخواننا من بنى قيلة .

عمر : أنت وما تحب .

ابن عوف : ذلك خير لك يا جبلة .

جبلة : والله ما رأيت كاليوم عجبا .

عمر : وما ذلك يا جبلة ؟

جبلة : إن دين المسيح ليحث على الزهد والتقوى كذلك ، ولكن الذين يزهدون ويتقشفون إنما هم طائفة قليلة من رجال الدين . أما أن يزهد المَلِك ويتقشف فلا وجود له والله إلا عندكم .

عمر : ويلك يا جبلة ما أنا بملك .

جبلة : غلبت قيصر ملك الروم فأنت أعظم منه ، فكيف تنكر أنك ملك ؟

عمر : أجبه يا ابن أبى طالب .

على : (لجبلة) أنت رأيت قيصر ملك الروم ؟

جبلة : نعم .

على : فهل فى رعيته من الروم من يفوقه ثراء وبذخا ؟

جبلة : اللهم لا .

على : أليسوا جميعا مسخرين لخدمته وتمجيد شأنه ؟

جبلة : بلى .

على : فليس كذلك أمير المؤمنين ، فهو يعيش كأى رجل من المسلمين ليس بأغناهم ولا أفقرهم . وليسوا مسخرين لخدمته بل هو مسخر لخدمتهم وتدبير شؤونهم والنظر فيما يصلحهم ، يرى نفسه مسؤولا عن ذلك كله أمام الله وأمام المسلمين .

جبلة : فأى شىء هو إذن ؟

على : هو خليفة وليس بملك .. هو خليفة رسول الله وعليه أن يسير على نهجه ما استطاع . وكان ﷺ أتقى الناس وأزهد الناس ..

(يبدو فى وجه جبلة شىء من الأسى وخيبة الأمل)

عمر : ما خطبك يا جبلة ... ألم يعجبك هذا الحديث ؟

جبلة : هل لى أن أسأل يا أمير المؤمنين ولا حرج علىّ ؟

عمر : اسأل ولا حرج عليك :

جبلة : أى خير يعود علىّ من إسلامى وإسلام قومى ؟

الزبير : ويلك فعلام إذن أسلمت ؟

جبلة : (محتدا) رويدك يا ابن العوام . إنى قد استأذنته فأذن لى .



غلبت قيصر ملك الروم فأنت أعظم منه فكيف تنكر أنك ملك ؟

عمر : صدق يا زبير فدعني أجيه .. ويحك يا ابن الأيهم ، إن نبيّنا محمداً ﷺ قال : لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمر النَعم . وأنت بإسلامك قد هديت بشرا كثيرا من قومك ، فهنيئا لك بذلك عند الله سبحانه .

على : وكان رسول الله فى كتبه إلى الملوك والأمراء يقول دائما : فإن توليت فعليك إثم الأريسيين أو إثم الروم أو إثم القبط . وذلك لأن الناس تبع لأمرائهم ، فإذا اهتدى الأمير اهتدوا . فأى خير أفضل لك عند الله من أن تهدى قومك ؟ وأى إثم أكبر عليك عند الله من أن تضلهم ؟

جبلة : هذا حسن يا أمير المؤمنين ، وإنى لأحمد الله على ما هدانى إلى الإسلام ، وهدى بى قومى . بيد أنى أطمع منك فى شىء آخر .

عمر : ما هو يا جبلة ؟

جبلة : هو عندى جليل خطير ولكنه عندك هيّن يسير .

عمر : أفصح عما تريد .

جبلة : اجعلنى عاملك يا أمير المؤمنين على ما بين بُصرى ودمشق.

عمر : أمن أجل ذلك أسلمت يا جبلة ؟

جبلة : لا يا أمير المؤمنين ، لقد أسلمت لله ولرسوله . ولكن هذا الجزء من الشام كان ملكا لآبائى وأجدادى ، فلو وليتنى عليه لأحكمه من قِبلك كان فى ذلك الخير لنا جميعا ، فإن أهل هذه البلاد يدينون لنا بالفضل ويذكرون أيادينا ، فهم أطوع وأخضع ، ونحن عليهم أقوى وأقدر .(**ينظر القوم بعضهم إلى بعض متعجبين من طلب جبلة ومن حلم عمر عليه**)

عمر : بخ بخ ! يا جبلة يا ابن الأيهم ! كأنى بك وقد عدت إليهم ملكا على رأسك التاج !

جبلة : لا يا أمير المؤمنين ، لا ملكا بل أمير من قبلك .

عمر : أرنى هذا الذى على رأسك .

جبلة : (**يناول تاجه لعمر**) هذا يا أمير المؤمنين تاج آل جفنة توارثناه أبا عن جد .

عمر : (**يقلبه بين يديه**) وما هذان فيه كأنهما قرطان ؟

جبلة : ألم تسمع بهما يا أمير المؤمنين ؟ هذان قرطا مارية .

عمر : قرطا مارية .. منذا لم يسمع بهما فى العرب ؟ (**يناول التاج لأصحابه فيقلبونه فى أيديهم واحدا بعد واحد**)

جبلة : مارية هذه هى جدتى يا أمير المؤمنين . أم أبى وذلك حيث يقول شاعرنا وشاعركم ابن الفُريعة :

أولاد جِفنة عند قبر أبيهم
قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم
بَرَدَى يصفّق بالرحيق السلسل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم
شم الأنوف من الطراز الأول !
يُغشون حتى ما تهِرّ كلابهم
لا يسألون عن السواد المُقبل

الزبير : ويْلِمّه شاعرا لقد أجاد فيكم القول .

عثمان : وزهرة بن الحوية من ملوك هجر ، أسلم فى عهد النبى وأخلص إسلامه فنزل عن شارة الملك وأبهته . وهو اليوم فى جيش سعد ابن أبى وقاص بالعراق كأى جندى من المسلمين .

الزبير : ورومانوس حاكم بصرى من قِبل هرقل ، ألا تعرفه يا جبلة ؟

جبلة : بلى .

الزبير : فقد تخلى عن حكم بصرى حين أسلم ، وآثر أن يجاهد فى سبيل الله كأى جندى فى جيش المسلمين .

عمر : فهل طابت نفسك يا جبلة ؟

جبلة : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : ولتجدن منا التكرمة والتجلة ، ولنفرضن لك عطاءك ولكل واحد من رجالك عطاءه .. وغداً إذا رأينا منك خيراً واحتاج الناس إلى كفايتك استعملناك فيما أنت جدير به والناس بحاجة إليك فيه ، دون ما استشراف منك ولا مسألة .

جبلة : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين . إنى أريد أن أبقى عندكم حتى أحج هذا العام ، ثم أعود إلى الشام .

عمر : مرحبا بك يا جبلة .. أقم معنا فى المدينة حتى يحين موسم الحج فتشهده معى .

جبلة : ذلك خير يا أمير المؤمنين .

عمر : إنك لن تجد عندنا يا جبلة ما تجده عند صاحبك هرقل ، ولكنك ترجو عندنا من الله ما لا ترجوه عند ملك الروم .

جبلة : والله يا أمير المؤمنين لأنت فى ثوبك هذا المرقع ، وفى بيتك هذا الحقير ، أعظم فى عينى وأهيب فى صدرى من هرقل ملك الروم فى كل ما عنده من زينة وأبهة .

(**يدخل كاتبه معيقيب**)

معيقيب : معذرة يا أمير المؤمنين . البريد قائم الساعة إلى القادسية ؛ فماذا تكتب لسعد بن أبى وقاص ؟

عمر : (**يلتفت إلى جبلة**) إن أمير جيشنا بالقادسية كتب إلينا أن يزدجرد ملك فارس قد ولى قائدهم رستم أمر حربنا ، فماذا تعرف عن رستم ؟

جبلة : هذا يا أمير المؤمنين فارسهم الذى لا يبارى .

عمر : لتبارينّه فرساننا إن شاء الله يا جبلة . اكتب يا معيقيب . (**يجلس معيقيب ليكتب**) اكتب . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى سعد بن مالك . أما بعد فلا يكربنك ما يأتيك عنهم ولا ما يأتونك به ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليهم رجالا من أهل المنظرة والرأى والجلد يدعونه إلى الله ، فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفلجا عليهم ، واكتب إلى فى كل يوم والسلام ..

(**ستار**)

المشهد السادس

قصر فى هيريا على مقربة من خلقيدونية حيث نزل هرقل على أثر قدومه من أنطاكية .

مارتينا : (**تستقبل سرجيوس بطريق القسطنطينية**) مرحبا بك يا سيدى البطريق ، أحسنت إذ حضرت إلينا اليوم .

سرجيوس : يا مولاتى القيصرة ، كيف يدعونى مولاى القيصر ولا أسعى إليه ولو على رأسى ؟

مارتينا : فى مثل سنك كان فى وسعك أن تعتذر فنقبل عذرك .

سرجيوس : الحمد لله يا مولاتى ، مازال عندى فضل من قوة .

مارتينا : احرص على هذه البقية الباقية من قوتك ، فإنى بحاجة إليها كما تعلم .

سرجيوس : اطمئنى يا مولاتى .. فإن الشيخ إذا جاوز السبعين كان أصعب على الموت مما كان قبل ذلك .

مارتينا : أحقا يا سيدى البطريق ؟

سرجيوس : التجربة أثبتت ذلك . كأنما يقف الموت للشيخ بالمرصاد ، حتى إذا جاوز السبعين تركه وتغافل عنه .

مارتينا : (**تضحك**) ياليتنى إذن جاوزت السبعين .

سرجيوس : يحفظ الله شبابك . سأعيش أنا لك إن شاء الله حتى يموت كل أعدائك وأعداء القيصر . أين مولاى القيصر ؟

مارتينا : تركته يستحم حين بلغنى قدومك، ولعله الآن يرتدى ثيابه. حدثنى أما من جديد فى العاصمة ؟

سرجيوس : لا يا مولاتى .. لا جديد فى الشأن الذى يهمك .

مارتينا : ولا من القائد فلنتين ؟

سرجيوس : لا من القائد فلنتين ولا من غيره .

مارتينا : أنا لا أخشى إلا من هذا الشاب اللعين .

سرجيوس : رجالنا يراقبون حركاته ليل نهار . .

مارتينا : ألا يتصل سرا بقسطنطين ؟

سرجيوس : لا بقسطنطين ولا بحاشية قسطنطين فاطمئنى .

مارتينا : كلا لن أطمئن إلا إذا رأيت رأسه فى طبق .

سرجيوس : يا مولاتى ليس ذلك فى صالحك ولا فى صالح ابنك .

مارتينا : لماذا ؟

سرجيوس : سيثور له أنصاره فى الجيش ، فيشتد بذلك ساعد قسطنطين .

مارتينا : فليُنْفَ إذن من العاصمة .

سرجيوس : إذا نُفى من العاصمة تعذر علينا مراقبته، فكان خطره أعظم .

مارتينا : فليزُج به فى السجن .

سرجيوس : هذا يجعل منه بطلا فى عيون الناس ، ويلفت إليه الأنظار ، ويضم حوله القلوب. وتركه أفضل .

مارتينا : آه لن يهدأ لى بال حتى أرى ابنى هرقلوناس على العرش .

سرجيوس : (فى استكبار) على العرش ؟

مارتينا : أقصد ولى عهد .

سرجيوس : يا مولاتى قلت لك مرارا إن من يستعجل الأمر قبل أوانه ، يوشك أن يمنى بحرمانه .

مارتينا : لكن قسطنطين يعلو مقامه فى الناس يوما بعد يوم .

سرجيوس : لا تنسى يا مولاتى أنه هو الابن الأكبر ، فإذا استطعنا أن نقنع القيصر بجعل قسطنطين وهرقلوناس شريكين فى الحكم من بعده ، كان فى ذلك كسب كبير لك .

مارتينا : ومن لنا بذلك يا سرجيوس ؟

سرجيوس : بالحكمة والأناة والتدبير الحسن .

مارتينا : ها هو ذا القيصر قد أقبل . (**تنهض وينهض سرجيوس**) (**يدخل هرقل فيصافح سرجيوس مرحبا**) .

هرقل : مرحبا مرحبا ببطريقنا الأكبر .. هل أخبرتك القيصرة لماذا استدعيناك ؟ .

سرجيوس : لا يا مولاى القيصر . لا هى أخبرتنى ولا أنا سألتها .

هرقل : ذلك خير . ستكون مفاجأة لك .

سرجيوس : مفاجأة ؟

هرقل : مفاجأة سارة .. هلم يا سرجيوس .

(**يأخذ بيد سرجيوس حتى يقف به أمام منضدة فى صدر المجلس عليها غطاء من الحرير الأسود ، فيكشف الغطاء فإذا الصليب الأعظم يظهر لامعا متلألئا**)

سرجيوس : (**يهتف فى دهش**) الصليب الأعظم !

(يركع الثلاثة أمامه فى خشوع ، حتى إذا انتهوا من صلاتهم أعاد هرقل الغطاء عليه) .

هرقل : هل خطر لك هذا ببال يا سرجيوس ؟

سرجيوس : لا يا مولاى .. لقد ظننتنى فى حُلم .. متى وصل هنا وكيف وصل ؟

هرقل : وصل البارحة فى السفينة القادمة من قيسارية .

سرجيوس : البطريق صفرونيوس هو الذى أرسله ؟

هرقل : نعم .. أنا أمرته بذلك وليتنى ما فعلت .

سرجيوس : فيم يا مولاى ؟

هرقل : لعلى أخطأت فى سحبه .. فإن بقاءه هناك أحرى أن يجعل أهل إيلياء يستميتون فى الدفاع عن مدينتهم .

سرجيوس : الاحتياط أفضل يا مولاى .. وأنت الذى أعليته فى كنيسة القيامة ، فلا جناح عليك أن تسحبه منها لتصونه من الوقوع فى أيدى هؤلاء المشركين .

هرقل : هؤلاء ليسوا بمشركين فإنهم موحدون .

سرجيوس : لكنهم كاليهود لا يؤمنون بالسيد المسيح .

هرقل : بلى هؤلاء يؤمنون بالسيد المسيح .

سرجيوس : لا يؤمنون بالصليب .

هرقل : لكنهم مع ذلك لا يتعرضون لصلبان المسيحيين .

سرجيوس : مهما يكن من أمرهم فإن وجوده هنا عندنا أسلم وأكرم .

هرقل : آه كم ليلة بتّها يا سرجيوس لا يغمض لى فيها جفن ، من خوفى عليه أن تغرق به السفينة فى الطريق ، أو ينشب فيها

حريق ، أو تقع غنيمة فى يد العدو .

سرجيوس : الحمد لله قد وصل اليوم سالما إليك . أبشر يا مولاى . لتظهرن بركته عليك من جديد كما ظهرت بركته عليك من قبل ، إذ جاهدت الفرس فى سبيله فانتصرت .

هرقل : أترجو ذلك حقا يا سرجيوس ؟

سرجيوس : نعم .. لكأنى بالمعجزة تتكرر بإذن الله . الصليب الأعظم يحمله هرقل إلى كنيسة صوفيا ليحفظه فيها كما فعل من قبل ، ثم يسحبه هرقل منها ليعليه فى كنيسة القيامة من جديد ، بعد أن يطرد العرب من سورية كما طرد الفرس من قبل .

مارتينا : هذه بشرى عظيمة يا مولاى .. ونبوءة صادقة من حبر عظيم .

سرجيوس : ستقيم احتفالا كبيرا يا مولاى .. يعيد إلى شعب العاصمة طمأنينته وأمله فى النصر بعد ما روّعته أنباء الهزائم المتلاحقة .

هرقل : بوركت يا سرجيوس . لقد أنعشتنى الآن بروحك كما أنعشتنى من قبل حين انبعثت لقتال أعداء الصليب .

سرجيوس : (**يتوجه ناحية الصليب**) أيها الصليب المقدس ، ما أعظم بركتك وما أسرع معجزتك .

هرقل : هيئ أنت للاحتفال . ثم آذنّى باليوم الذى تختاره ، وأنا سأحمل الصليب بنفسى خاشعا متبتلا إلى الله أن يهبنا النصر على العدو .



يا حبيبتى لقد أدركت الساعة أى سخرية تلعبها الأقدار على !

سرجيوس : تأذن لى الآن يا مولاى ؟

هرقل : تصحبك السلامة يا عزيزى البطريق .

(**يخرج سرجيوس**) .

مارتينا : (**تلحظ الكآبة فى وجه هرقل**) ما خطبك يا مولاى ؟ لقد كنت منذ الساعة طلقا متهلّل الأسارير .

هرقل : هو دائما هكذا يبعث الأمل إذا حضر ، فإذا غاب عاد اليأس .

مارتينا : هل أرسلت من يدعوه ليعود ؟

هرقل : كلا .. دعيه يقم بواجباته فى العاصمة .

مارتينا : إنك تخفى عني شيئا يا مولاى .

هرقل : ماذا عسى أن أخفيه عنك ؟

مارتينا : ما لم تكاشفنى بما فى نفسك فسأظن بك الظنون .

هرقل : يا حبيبتى لقد أدركت الساعة أى سخرية تلعبها الأقدار علىّ !

مارتينا : فى أى شيء يا مولاى ؟

هرقل : فى الاحتفال الذى عزمنا أن نقيمه .

مارتينا : أى شيء فى ذلك ؟

هرقل : بالأمس حملت هذا الصليب إلى كنيسة صوفيا ، وطبول النصر تدق فى العاصمة ، وعلى رأسى إكليل الغار . وغداً سأحمل الصليب نفس الصليب إلى نفس الكنيسة ، وعلى وجهى ذلة الهزيمة وعار الفرار . أفلا ترين يا حبيبتى كيف تسخر الأقدار ؟

(**ستار**)

المشهد السابع

(فى إيوان كسرى بالمدائن بهو خارجى .

الوقت ضحى .

(يرفع الستار عن بوران كأنها تنتظر أحدا)

مشكدانة : **(تدخل)** مولاتى .. الرجل العربى الذى حضر أمس .

بوران : أنا فى انتظاره .. ادخلى به .

(تخرج مشكدانة ثم تعود ومعها المعنى بن حارثة)

(تشير له بالجلوس فيجلس) مرحباً بك .. أين رفاقك ؟

المعنى : آتون عما قليل ، وأنا سبقتهم كما اقترحت علىَّ أمس .

بوران : هل يعرفون أنك تحمل لى رسالة من زوجتك ؟

المعنى : نعم ، إنّا لا يخفى بعضنا عن بعض شيئا .

بوران : أنت الآن نصف عربى ونصف فارسى .

المعنى : وشيرين امرأتى نصف فارسية ونصف عربية .

بوران : أو لا يسرك أن تكون فارسيا كاملا ؟

المعنى : مادمت مسلما فلا أبالى إلى أى أمة أنتسب .

بوران : سمعت أنكم معشر العرب تعتزون بأنسابكم .

المعنى : تلك كانت شرعتنا فى الجاهلية قبل أن يكرمنا الله بالإسلام .

بوران : وبعد الإسلام ؟

المعنى : نعمل بقول نبينا : كلكم لآدم وآدم من تراب . لا فضل لأحمر على أسود إلا بالتقوى .

(تدخل مشكدانة فتقدم له قدحا فيه شراب)

بوران : اشرب يا معنّى ..

المعنى : ما هذا ؟ خمر ؟

بوران : من أجود ما عندنا من الشراب .

المعنى : يا سيدتى الملكة إن الله قد حرمها علينا ، فلا نشربها اليوم .

بوران : ماذا أبقى لكم دينكم إذن من أطايب الحياة ؟

المعنى : إنه أحل لنا جميع الطيبات وما حرم علينا إلا الخبائث .

بوران : أهذه السلافة المعتّقة من الخبائث ؟

المعنى : هذه أم الخبائث . إنها تسلب العقل ، والعقل أثمن ما فى الإنسان .

بوران : **(تنظر إليه نظرة ذات معنى)** والحب أحرام هو فى دينكم ؟

المعنى : الحب يا سيدتى مادة الحياة .

بوران : فإنه يسلب العقل أيضا .

المعنى : يمزجه بعقل آخر ، فيتألف منهما عقل أكبر !

بوران : أهذا حالك مع شيرين ؟

المعنى : نعم .

بوران : هل تزوجت عليها ثانية ؟

المعنى : اللهم لا .

بوران : أو تسريت عليها جارية ؟

المعنى : اللهم لا .

بوران : خوفا منها أم خوفا عليها ؟

المعنى : لا خوفا منها ولا خوفا عليها ، ولكنها ملأت عينى فلا تجد لغيرها حسنا ، وملأت قلبى فلا يجد إلى غيرها ميلا .

بوران : إنى ما رأيتها فأقول طوبى لك ، ولكن فى وسعى أن أقول طوبى لها لأنى رأيتك .

المعنى : يا سيدتى إنها بعثتنى برسالة إليك ، فهل من جواب أعود به إليها ؟

بوران : هل تعرف ما فى الرسالة ؟

المعنى : كلنا يعرف ما فيها ، من أمير الجيش إلى أصغر رجل فيه .

بوران : إنها تدعونى إلى الإسلام .

المعنى : لأنها تحب لك الخير فهل تجيبينها إليه ؟

بوران : لو جاء فارس عربى جميل فأخذنى عنوة ، لأسلمت من أجله وتزوجته ، ولكن ليس يسيرا أن أترك دين آبائى لدين جديد إلا بعد أن أطيل الفكر والنظر فيه ، فإذا اطمأن قلبى إليه أسلمت .

المعنى : هذا عقل منك وحكمة .

بوران : بلّغها ذلك عنى ، وأوصها أن تكاتبنى مرة بعد مرة لعلى أقتنع بما تدعونى إن كان فيه الخير .

المعنى : سأفعل يا سيدتى .

بوران : وهذه هدية منى لها على سبيل الذكرى . (**تناوله سفطاً صغيرا**)

المعنى : أما هذه فأعفينى منها .

بوران : فيم ؟

المعنى : لا أستطيع أن أحملها إلا بإذن من أمير الجيش .

بوران : احملها معك ، واستأذن أمير الجيش فإن أذن سلمته لزوجتك ؛ وإلا رددته إلينا مع أى جندى فى جيشنا .

المعنى : أما هذا فنعم .

(يدخل يزدجرد)

يزدجرد : أهذا زوج الأميرة الفارسية ؟

بوران : نعم .

يزدجرد : أوَ لم يتعلم من زوجته كيف يتأدب فى حضرة الملوك ؟

المعنى : إن الإسلام قد أدبنا فأحسن تأديبنا .

يزدجرد : فأين الأدب ؟

المعنى : إنه نهانا أن نقوم لحاكم أو لسلطان .

يزدجرد : لا تقومون إلا لعمر ؟

المعنى : لا نقوم لأحد ولا لعمر !

يزدجرد : أجلاف لا يعرفون آداب السلوك . (**يشد حبل الجرس فى برم وضيق فيدخل الحاجب**) ائتنى بوفد الأجلاف .

الحاجب : وفد العرب يا مولاى ؟

يزدجرد : نعم . (**يخرج الحاجب**)

المعنى : من آداب السلوك عندنا ألا نشتم ضيوفنا .

يزدجرد : لا حرمة للضيوف إذا أساءوا الأدب .

المعنى : يا شاهنشاه . ينبغى أن تعرفنا على حقيقتنا . إنا لا نريد أن نغض من مقامك أو نسىء أدبنا معك كما تظن . ولكنا دعاة دين جديد وسلوك جديد وأدب جديد أساسه أن الناس سواء ، فلا ينبغى أن يستعبد بعضهم بعضا ، وأن لا إله إلا الله له العبادة وحده ، وله التقديس وحده .

يزدجرد : هذا تفعله هناك فى الصحراء مع صاحبكم عمر ، فأما هنا فلا .

المعنى : يا شاهنشاه . المسلم مسلم فى المدينة أو فى المدائن ، وقد جئنا لندعوك إلى الإسلام ، فكيف تريد منا أن ننقضه أمامك ؟

(تدخل مشكدانة فتدنو من بوران وتُسارُّها بحديث ، ثم تسحب حجابا فى الركن الأيمن من المسرح له فتحات صغيرة ، فتحتجب بوران خلفه) .

(يظهر الحاجب على الباب فيدخل ستة من وفد العرب ، هم النعمان بن مقرّن ، والمغيرة بن شعبة ، والأشعث بن قيس ، وفرات بن حيان ، وعمرو بن معد يكرب ، وعاصم بن عمرو الليثى ، ومعهم جماعة من الحرس)

النعمان : أيها الملك علام عولت ، فإنا سنرجع إلى أميرنا اليوم ؟

يزدجرد : عليكم أن تنتظروا حتى يحضر قائدنا رستم .

المغيرة : هذا يومنا الثالث عندكم ، ولا نستطيع أن ننتظر بعد .

الأشعث : نحن راحلون الساعة .

فرات : وقد جئنا لنودعك .

عمرو : فقل لنا ما جوابك .

يزدجرد : قلت لكم حتى يحضر رستم !

النعمان : ليس لك عندنا غير واحدة من الثلاث التى سمعتها منا من قبل ، وإذا حضر رستم فلن يتغير كلامنا من أجله .

يزدجرد : (**يستشيط غضبا**) أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ تكلموا . لم لا تجيبون ؟

المغيرة : قد سمعت جوابنا وليس عندنا غيره .

الأشعث : إمّا أن تسلم .

يزدجرد : أسلم ؟ أغيِّر دينى ؟

فرات : أو تدفع الجزية .

يزدجرد : أنا أدفع الجزية ؟ أنا شاهنشاه أدفع الجزية لأجلاف العرب ؟

عمرو : أو الحرب .

يزدجرد : أجل . الحرب . ارجعوا إلى صاحبكم فبلّغوه أنى مرسل إليه رسُتم حتى يدفنه ويدفنكم معه فى خندق القادسية .

النعمان : سنبلغه ذلك .

يزدجرد : انتظروا . (**يومئ إلى الحاجب فيدنو منه فيسر إليه كلاما فيغيب الحاجب**) بعد أن يدفنكم رستم فى القادسية لأوردنه بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم . أتذكرون سابور ؟ لأخلعن أكتافكم وليصيبنكم منى أشدّ مما نالكم من سابور . (**يهمون بالانصراف دون كلام**) انتظروا . لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم . ولكنى سأهينكم إهانة لا تنسونها أبدا . (**يدخل عبد أسود وعلى ظهره وقر من تراب**) أيها القوم إنكم لم تخبرونى أيكم سيد الوفد .

(ينظر القوم بعضهم إلى بعض)

عاصم : أنا أشرفهم أنا سيد هؤلاء .

يزدجرد : فاحمل هذا التراب على عاتقك .

عاصم : حبا وكرامة .

(يحمل وقر التراب على عاتقه من ظهر العبد)

يزدجرد : أيها الجند اخرجوا معهم ، ولا تدعوا سيدهم هذا يلقى التراب عن ظهره حتى يخرج من باب المدائن .

(يخرج الوفد هادئين صامتين)

(تظهر بوران من خلف الحجاب)

بوران : من الذى أشار عليك يا ابن أخى بحكاية وقر التراب هذه ؟

يزدجرد : لا أحد . إنها من بنات أفكارى .

بوران : ماذا قصدت بذلك ؟

يزدجرد : الجزاء من جنس العمل . طمعوا فى أرضنا فحملتهم وقراً من ترابها .

بوران : ما أحسبها فكرة موفقة .

يزدجرد : فيم يا عمة ؟

الحاجب : (**يدخل**) القائد رستم يا مولاى .

يزدجرد : (**فرحا**) ليدخل .

(يدخل رستم فيركع أمام يزدجرد وبوران)

رستم : قد بلغنى يا مولاى أنهم رحلوا منذ قليل .

يزدجرد : أجل .. لو سبقت قليلا لأدركتهم .

رستم : لا ضير يا مولاى ، إن فى حكمة مولاتى بوران ما يغنى عنى ؛ فماذا تم بينك وبينهم ؟

يزدجرد : لم يتم شيء . ليس بيننا وبينهم غير القتال .

رستم : هذه نتيجة معلومة من قبل ، ولكن كيف رأيتهم يا مولاى ؟ أمازلت على رأيك فيهم ؟

بوران : لا شك عندى أن شاهنشاه قد غير رأيه .

يزدجرد : إنى مازلت أكرههم ، بل ازددت اليوم بغضا لهم وحقدا عليهم . ولكنى لم أعد أحتقرهم . وجدتهم يا رستم يتناوبون الكلام معى يكمل بعضهم حديث بعض ، كأنما كانوا قد وزعوه فيما بينهم من قبل .

رستم : يسرنى يا مولاى أنك قد بدأت تفهم عدوك على حقيقته .

يزدجرد : ما كنت أدرى أن فى العرب مثل هؤلاء . والله ما رجالنا بأحسن حوارا منهم . غير أنى وجدت سيد الوفد أحمق .

رستم : كيف يا مولاى ؟

يزدجرد : سألتهم عن سيدهم فأعلن عن نفسه دون أن يفطن لما أردت به ، وكان ينبغى أن يفطن بعد ما رأى وقر التراب يدخل به العبد .

رستم : وقر التراب ؟

يزدجرد : أجل حمّلت سيدهم وقر تراب على ظهره . (**يقهقه ضاحكا**) (**يعود العبد الأسود وهو يقهقه ضاحكا**) ماذا يضحكك أيها العبد ؟

العبد : الرجل العربى يا مولاى .

يزدجرد : ما باله ؟ ماذا فعل ؟

العبد : (**يمضى فى قهقهته**) بقى يحمل التراب على ظهره حتى بعدما خرج من باب المدائن .

بوران : ألم يلقه عن ظهره هناك ؟

العبد : لا يا مولاتى .. ظن المسكين أننى سأضربه إن ألقاه عن ظهره ، فانطلق به على فرسه حتى اختفى وهو على ظهره .

(**تتعالى قهقهة الملك والعبد بينما يظهر العبوس على رستم وبوران**)

رستم : (**يشد أذن العبد بقوة**) أيها العبد إنك لا تدرى ممّ تضحك . أقفل فمك .

يزدجرد : (**فى دهش**) ما خطبك يا رستم ؟ لم فعلت به ذلك ؟

رستم : مولاى إن لم ندرك ذلك الرجل ونسترد التراب منه ، كان نذيراً بأنهم سيملكون أرض فارس .

يزدجرد : ماذا تقول ؟ إن فى وسعهم أن يأخذوا مثل ذلك التراب من أى مكان .

رستم : كلا يا مولاى . هذا تراب سلمه لهم ملك فارس ، وسيسلمونه إلى ملك العرب .

يزدجرد : إلى عمر ؟

رستم : نعم .

يزدجرد : ويلهم من كلاب . كلاب . كلاب .

رستم : إن كانوا كلابا فقد علّمهم عُمر العقل .

يزدجرد : (**يلطم العبد لطمة قوية**) اخرج يا كلب . انطلق وراءهم .

(يخرج العبد ويخرج خلفه يزدجرد وهو يصيح) وراءهم! وراءهم! وراءهم يا فرسان! أدركوهم يا فرسان! أدركوا التراب. مُلكنا فى ذلك التراب.

(يبتعد صوته شيئا فشيئا)

رستم : **(يدنو من بوران فيأخذ يدها فى يده)** بوران حاولى مرة أخرى أن تقنعيه باستبقائى هنا فى المدائن.

بوران : الآن بعدما واقفت وقدت الجيش فعلا إلى ساباط ؟

رستم : لكنه استدعانى فليكن رجوعى إلى العاصمة فرصة لإصلاح الخطأ الذى ارتكبه.

بوران : ومن يقود الجيش مكانك ؟

رستم : الفيرزان أو الهرمزان أو بهمن جاذويه أو الجالينوس. أى واحد غيرى.

بوران : يزدجرد لا يرى أن أحدا يغنى غناءك.

رستم : فليستبقنى للمعركة الفاصلة.

بوران : هو يريد هذه المعركة أن تكون فاصلة.

رستم : هذا من خطل الرأى. ألا ترين العلامات والنُذُر ؟ إن كل ما فى الأرض وما فى السماء اليوم علينا مع العرب، فالرأى أن نطاولهم وندافعهم حتى تنقلب سعودهم نحوسا.

بوران : أنصحك يا رستم ألا تكلمه ألبتة فى ذلك. إنه سيظن لى وبك الظنون. أتدرى ماذا قال لى يوم رحيلك ؟

رستم : ماذا قال لك ؟



بوران .. حاولى مرة أخرى أن تقنعيه باستبقائى هنا فى المدائن !

بوران : لا بأس يا عمتى أن تحتملى قليلا فراق صديقك من أجل فارس!

رستم : فماذا قلت له ؟

بوران : تجاهلت قصده السيء ، وأجريت كلامه على المحمل الحسن.

رستم : لا بد أن أحدا ألقى فى نفسه هذه البذرة .

بوران : الفيرزان لا أحد سواه .

رستم : وكيف عرفت ؟

بوران : سمعت منه نفسه هذا المعنى بعد ذلك .

رستم : (فى لهف) أين ؟

بوران : هنا فى الديوان .

رستم : متى وكيف ؟

بوران : أرى ريح الغيرة تعصف بك .

رستم : أجيبى . متى وكيف ؟

بوران : حينما جمع يزدجرد الزعماء والقواد ليستشيرهم فى استقبال وفود العرب .

رستم : بوران . إياك أن تخدعينى يا بوران .

بوران : يا لك من شكاك .

رستم : المحب دائما شكاك .

بوران : وخاصة إذا كان ينظر فى النجوم !

رستم : ليس لى يا بوران غير نجم واحد أنظر فيه !!

(ستار)

المشهد الثامن

مكة عقب انتهاء شعائر الحج .

عمر فى مجلسه قبيل رحيله عائدا إلى المدينة ، وأمامه عاصم بن عمرو الليثى ، وبين يديه كيس التراب ، والحاضرون يقلّبون الكيس ويأخذون بأيديهم من ترابه فى فرح وتعجب .

عمر : الحمد لله . أبشروا فقد والله أعطانا الله مقاليد ملكهم . هذا أخوكم عاصم بن عمرو الليثى الكنانى الذى حمل وقر التراب من بين يدى يزدجرد . لله در سعد بن أبى وقاص . أرسل التراب مع عاصم نفسه حتى يكون التسليم يداً بيد . أفلا تعجبون كيف أتاح الله لنا هذا الفأل الحسن على يد يزدجرد نفسه .

(تسمع جلبة فى الخارج)

أسلم : (**يدخل مسرعا**) رجل من بنى فزارة يا أمير المؤمنين جاء يستعديك .

عمر : افسحوا له ليدخل .

(يدخل الرجل والدم ينزف من أنفه)

الرجل : يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك .

عمر : أدن منى ، من الذى فعل بك هذا ؟

الرجل : جبلة بن الأيهم .

عمر : جبلة ؟ ما حمله على ذلك ؟

الرجل : بينما كنت أطوف ...

عمر : على رسلك . عليّ بجبلة . أحضروا لى جبلة . (**يلتفت إلى الرجل**) هات ما عندك .

الرجل : بينما كنت أطوف بالكعبة يا أمير المؤمنين ، إذ عثرت قدمى بطرف إزاره فانحل من وسطه . والله ما قصدت ذلك ولا أردته ، وإنى لفى شاغل من الطواف عنه وعن غيره ، فما كلمنى ولا راجعنى بل رفع يده فهشم أنفى .

عمر : اجلس يا فزارى .. (**يجلس الرجل**) أرأيت هذا التراب ؟ هذا الرجل الصالح حمله على ظهره من أرض فارس .

الرجل : (**متعجبا**) من أرض فارس ؟

عمر : وبِأمْر يزدجرد. أراد يزدجرد أن يهينه بحمله ، فجعله الله كرامة له وفألا سعيدا للمسلمين .

(**يدخل جبلة يسوقه اثنان من الشرطة**)

جبلة : (**متأففا**) هذا أوان قيلولتى يا أمير المؤمنين ، فهلا أمهلتنى إلى ما بعد العصر .

عمر : الحق لا يُمهل أحدا يا ابن الأيهم . اجلس إلى جانب غريمك . (**يجلس جبلة على كره**) يا أخا غسان ماذا فعلت بأخى فزارة ؟

جبلة : إنه وطىء إزارى يا أمير المؤمنين حتى حله .

عمر : وطئه غير عامد فى زحمة الطواف .

جبلة : بل تعمد ذلك يا أمير المؤمنين .

عمر : هَبه فعل ذلك ، أتعمد إلى أنفه فتهشمه وأنت تطوف بالبيت ؟

جبلة : والله لولا حرمةُ البيت لضربت بين عينيه بالسيف .

عمر : ويلك قد أقررت ، فإما أن ترضى الرجل ، وإما أن أُقِيده منك .

جبلة : وكيف يا أمير المؤمنين وهو سوقة وأنا ملك ؟

عمر : ويلك إن الإسلام جمعك وإياه ، فلست تفضله إلا بالتقى والعافية .

جبلة : ظننت إسلامى يرفعنى عندكم .

عمر : فقد رفعك عند الله وعندنا يا أخا غسان .

جبلة : فهذا جزاء إسلامى ؟

عمر : لا تكن يا جبلة كمن قال الله لنبيه فيهم ﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علىّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾ .

جبلة : قد رجوت يا أمير المؤمنين أن أكون فى الإسلام أعز منى فى الجاهلية .

عمر : دع عنك هذا ، فإنك إن لم ترض الرجل أقدتُه منك .

جبلة : إذن أتنصّر وألحق بالروم .

عمر : إن فعلت ضربت عنقك ؛ لأنك قد أسلمت ، فإن ارتددت قتلتك . (**يسكت جبلة قليلا ويتلفت حوله**) علام تتلفت ؟ ليس لك من الله عندنا ناصر .

جبلة : وكيف أرضى هذا الرجل يا أمير المؤمنين ؟

عمر : اعتذر إليه واسترضه .

جبلة : كلا يا أمير المؤمنين ، لا ينبغى لمثلى أن يعتذر إلى مثله .

عمر : أوَ لم تؤمن بعدُ يا جبلة أن الناس فى الإسلام سواء ؟

جبلة : إن كان يريد شيئا من المال أعطيته .

عمر : شأنك به إن استطعت أن ترضيه .

جبلة : ألا تكلمه يا أمير المؤمنين لى ؟

عمر : يا أخا فزارة هل لك أن تعين أخاك على التوبة والخير ، فتقبل ما يعرضه عليك ؟

الرجل : يا أمير المؤمنين أقبل إن شاء الله .

جبلة : والله يا أمير المؤمنين ما أحسبه إلا تعمد ذلك ليستفزنى ، فأضربه فيأخذ منى المال .

الرجل : (غاضبا) أما وقد قال ذلك يا أمير المؤمنين فلا والله لا أقبل منه اعتذارا ولا مالا ، ولا أرضى إلا بالقَوَد .

عمر : ويلك يا جبلة قد أهنت الرجل فاعتذر إليه .

جبلة : أعفنى يا أمير المؤمنين .

عمر : إذن فقد اخترت أن يقاد منك .

جبلة : افعل ما بدا لك .

عمر : استقد له . مكّنه من نفسك .

جبلة : يا أمير المؤمنين .

عمر : إن لم تفعل أمرتهم فكتفوك .

عثمان : لا عيب عليك أن تخضع للحق وتقيد أخاك من نفسك .

جبلة : أخى ؟

عثمان : أجل إنما نحن إخوة ، وقد أقاد رسول الله ﷺ من نفسه ذات مرة ، وأمير المؤمنين فعل ذلك أيضا .

جبلة : لكنى أنا لا أرضى لنفسى مثل هذا الهوان ، وقومى لا يرضونه لى .

عمر : أما والله لأطردن هذا الشيطان من رأسك لتكون بعده رجلا من المؤمنين . خذوه فأقيدوا الرجل منه لطمة بلطمة .

جبلة : (**يرى الشرطة يدنون منه**) إليكم عنى ، يا أمير المؤمنين مر الفزارى أن يقتص منى ، فلست بحاجة إلى من يمسكنى .

عمر : استقدت له ؟

جبلة : نعم .

عمر : (**للفزارى**) تقدم فاقتص منه لطمة بلطمة . وأجمِلْ فإن الله يحب المجملين .

الفزارى : (**يرى جبلة مستقيدا له**) يا أمير المؤمنين قد عفوت عنه .

عمر : (**فى فرح**) بوركت يا أخا فزارة . فمن عفا وأصلح فأجره على الله .

جبلة : (**ينظر إلى الفزارى شزرا**) يا هذا لقد زدتنى بعفوك عنى هوانا على هوان . إن كنت إنما تطمع فى منحة منى فإنى والله لا أعطيك شيئا .

الفزارى : (**غاضبا**) يا أمير المؤمنين أعامله بسنة الإسلام ويعاملنى بسنة الجاهلية ؟ أقدنى منه .

عمر : الآن بعد ما عفوت ؟

الفزارى : إنه رفض عفوى .

عمر : لكن الله قبله وكتب لك أجره .

الفزارى : (**يرفع يديه إلى السماء**) اللهم اقبله منى واكتب لى أجره .

جبلة : تأذن لى الساعة يا أمير المؤمنين ؟

عمر : إذهب مصاحبا يا جبلة ، ولا تعد إلى مثلها فلن تجد كل يوم كريما يعفو عنك . (**يتنهد جبلة ويخرج دون أن ينبس ببنت شفة**) يا عاصم بن عمرو .

عاصم : نعم يا أمير المؤمنين .

عمر : كيف تجد لجبلة هذا من صاحبك يزدجرد ؟

عاصم : الخُنزوانة هى الخُنزوانة يا أمير المؤمنين ، بيْدَ أن هذا بلا تاج ولا عرش ولا إيوان .

عمر : (**يقلب يده فى كيس التراب**) غداً يا عاصم لا يبقى للآخرين تاج ولا عرش ولا إيوان . الله أكبر . ويل للملوك من سطوة الحق ! ويل للملوك من المستضعفين ﴿ ونُريد أن نمن على الذين استُضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ .

(ستار)



يا أمير المؤمنين .. أعامله بسنة الإسلام ويعاملنى بسنة الجاهلية ؟ أقدنى منه

الملحمة الإسلامية الكبرى

عمــر

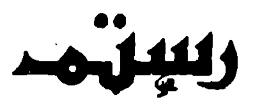
١ ــ على أسوار دمشق .
٢ ــ معركة الجسر .
٣ ــ كسرى وقيصر .
٤ ــ أبطال اليرموك .
٥ ــ تراب من أرض فارس .
٦ ــ رســتم .
٧ ــ أبطال القادسية .
٨ ــ مقاليد بيت المقدس .
٩ ــ صلاة فى الإيوان .
١٠ ــ مكيدة من هرقل .
١١ ــ عمر وخالد .
١٢ ــ سر المقوقس .
١٣ ــ عـام الرمادة .
١٤ ــ حديث الهرمزان .
١٥ ــ شطا وأرمانوسة .
١٦ ــ الولاة والرعية .
١٧ ــ فتح الفتوح .
١٨ ــ القوى الأمين .
١٩ ــ غروب الشمس .

مؤلفات الأستاذ : على أحمد باكثير

١ ــ اخناتون ونفرتيتى .
٢ ــ سلامة القس .
٣ ــ وا إسلاماه .
٤ ــ قصر الهودج .
٥ ــ الفرعون الموعود .
٦ ــ شيلوك الجديد .
٧ ــ عودة الفردوس .
٨ ــ روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ــ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ــ ليلة النهر .
١١ ــ السلسلة والغفران .
١٢ ــ الثائر الأحمر .
١٣ ــ الدكتور حازم .
١٤ ــ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ــ مسمار جحا .
١٦ ــ مأساة أوديب .
١٧ ــ سر شهر زاد .
١٨ ــ سيرة شجاع .
١٩ ــ شعب الله المختار .
٢٠ ــ امبراطورية فى المزاد .

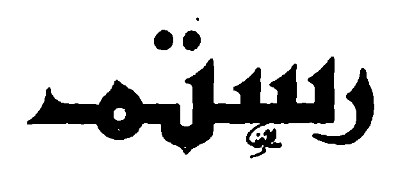
٢١ ـ الدنيا فوضى .
٢٢ ـ أوزوريس .
٢٣ ـ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية .
٢٤ ـ دار ابن لقمان .
٢٥ ـ قطط وفيران .
٢٦ ـ هاروت وماروت .
٢٧ ـ جلفدان هانم .
٢٨ ـ الفلاح الفصيح .
٢٩ ـ حبل الغسيل .
٣٠ ـ الشيماء (شادية الإسلام) .
٣١ ـ هكذا لقى الله عمر .
٣٢ ـ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .
٣٣ ـ إلـه إسرائيل .
٣٤ ـ الزعيم الأوحد .
٣٥ ـ الدودة والثعبان .
٣٦ ـ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا)

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ــ ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ ــ ٠١٥٨ ــ ١١ ــ ٩٧٧



الملحمة الإسلامية الكبرى

عمر



علي احمد باكثير



المشهد الأول

رستم فى غضب وعنده القواد: الفيرزان والهرمزان والجالينوس وبهمن جاذويه وغيرهم.

رستم تبا لكم! كيف يأتى عربى من مسيرة فرسخين فيجوس معسكركم، ويهتك عليكم أطنابكم، ويستاق فرسا من أفراسكم، ثم ينجو بعد هذا كله؟

الفيرزان : سل الحرس ماذا كانوا يصنعون؟

رستم : الحرس مسئولون عن المداخل والأبواب، ولكنهم ليسوا مسئولين عن أطنابكم التى هتكها العربى واحدا بعد واحد وأنتم نائمون.

الفيرزان : كلا ما كنا نائمين.

رستم : أكنتم مستيقظين؟ فذلك أدهى وأمر!

الجالينوس : أنا كنت نائما ولم أشعر بشىء.

جاذويه : وأنا كذلك.

الفيرزان : لكنا كنا خارج المعسكر.

رستم : خارج المعسكر؟ أين؟

الفيرزان : أخبره يا هرمزان أين كنا.

الهرمزان : (**بعد تردد**) فى القرية المجاورة.

رستم : ماذا كنتما تصنعان هناك؟

الفيرزان : كنا نلهو ونسمر .

رستم : لا غرو إذن أن يقع بنا ما وقع .

الفيرزان : التبعة على الذين كانوا فى المعسكر .

رستم : يجب أن تعملوا أننا ما جئنا هنا للهو واللعب .

الفيرزان : أجل جئنا للقتال ولكن أين هو القتال ؟ لقد قضينا ثلاثة شهور منذ خرجنا من المدائن وما زلنا حتى اليوم فى الطريق .

رستم : إنك تعلم قصدى فلا تتجاهل .

الفيرزان : لكن شاهنشاه لا يرى هذا الرأى معك . إنه أمرك أن تناجز العدو فى أقرب وقت وكان عليك أن تطيعه .

رستم : إنما هو رأى تقدم به إلىّ ، ولى أن آخذ به أو لا آخذ به .

الفيرزان : ولكن ليس لك أن تخادعه .

رستم : أخادعه ؟

الفيرزان : نعم . تظهر موافقته وتبطن مخالفته .

رستم : دع عنك هذا ولا تحاول أن تتنصّل من تبعتك بإلقائها على غيرك .

الفيرزان : بل أنت الذى تنصلت من التبعة وحاولت أن تلقيها علىّ .

رستم : بقضائى الليل ألهو فى القرية المجاورة ؟

الفيرزان : لو كنت خارج المعسكر لعذرناك .

الجالينوس : هذا أحد المطاردين قد أقبل !

رستم : ناده إلينا .

الجالينوس : هلم يا فارس ! أسرع للمثول أمام القائد .

(يدخل جندى بملابس الفرسان وهو ينهج من الإعياء) .

رستم : ماذا وراءك ؟

الجندى : (**لا يجيب**) ...

رستم : وأين رفاقك ؟

الجندى : (**لا يجيب**) ...

رستم : ألم تلحقوا ذلك العربى ؟

الجندى : بلى يا سيدى القائد . لحقناه ولكن ...

رستم : ولكن ماذا ؟

الجندى : أخشى إذا حدثتك يا سيدى ألا تصدقنى أو أن تغضب منى .

رستم : كلا لا تخف . إنى أريد الحقيقة فاقصص علىّ كل ما حدث .

الجندى : ركبت فى طلبه ونحن أربعة فرسان ، فإذا جواده الهزيل يجرى كالريح ، وإذا الفرس التى استاقها منا كأنها تباريه . وبعد لأى استطاع أحدنا وهو هرمز أن يلحقه ، أو إن شئت الحق فقد كان العربى هو الذى طامن من عدوه حتى لحقه هرمز ، فما هو إلا أن قتله العربى فى مثل لمح البصر وانطلق .

رستم : كيف قتله ؟

الجندى : لا ندرى كيف قتله .

رستم : ثم ماذا ؟

الجندى : ثم لحقه شهر براز فقتله العربى فى مثل لمح البصر ، وانطلق وانطلقت خلفه حتى شارفنا معسكرهم فى القادسية فلحقه مهران البغدادى .

رستم : (**ضائق الصدر**) فقتله العربى فى مثل لمح البصر !!

الجندى : كلا يا سيدى بل اختطفه من سرجه وانطلق به إلى معسكرهم. فخشيت أنا أن أقع فى أسرهم فكررت على عقبى لأنذركم. وقدِ خيل إلىّ أنهم أرسلوا خلفى من يطاردنى ولكنى فتُّهم وأنا لا أكاد أصدق.

(يدخل أحد الحجاب)

الحاجب : معذرة يا مولاى. شيخ كبير من التمارق يستأذن عليك.

رستم : من العرب؟

الحاجب : لا أدرى يا سيدى. ولكن فى وجهه ملامح منهم.

رستم : إياك أن يكون من هؤلاء المسلمين الغزاة.

الحاجب : كلا يا سيدى.. إنه يقيناً سوادىّ من أهل هذه القُرى.

رستم : ألم تسأله ماذا يريد؟

الحاجب : أبى إلا أن يشافهك بما يريد.

الفيرزان : الرأى عندى أن تأمر بطرده، فعسى أن يكون جاسوسا للعدو.

الهرمزان : أجل فقد تبين لنا أنهم ذوو كيد.

أبو محجن : (**للحاجب**) بل ائذن له. (**يخرج الحاجب**) هبوه جاسوسا فجزاء الجاسوس أن يقتل لا أن يطرد.

الفيرزان : فلتأمرهم بقتله.

رستم : قبل أن نعرف ما شأنه؟ من يدرى لعل عنده علما عن العدو يريد أن ينفعنا به.

(يدخل الشيخ السوادى وهو هرم متهدم).

الشيخ : أصلح الله أمرك يا سيد القواد.

رستم : ماذا عندك يا شيخ؟ قل وأوجز.

الشيخ : أنا من قرية النمارق يا سيدى القائد بعثنى أهلها إليك لتنصفهم من بغي رجالك، فقد سلبوا خمورهم واعتدوا على نسائهم.

رستم : متى كان ذلك؟ البارحة؟

الشيخ : البارحة والبارحة الأولى.

رستم : فلماذا لم تجيئونى أمس؟

الشيخ : ظنوا أنما هى ليلة واحدة فاحتملوا ما أصابهم، فلما تكرر العدوان عليهم أرسلونى اليوم فقد بلغهم أنك لا ترضى لهم هذا الظلم.

رستم : آأنت رئيسهم؟

الشيخ : لا يا سيدى أنا رجل منهم.

رستم : فلماذا اختاروك وأنت شيخ كبير؟

الشيخ : لأنى قد قضيت وطرى من الحياة فإن أصابنى شيء من انتقامكم كنت بذلك فدى قومى وأهل قريتى.

رستم : (فى رثاء) يا لله! أو قد بلغ بكم الخوف من ظلمنا وظلم جنودنا إلى هذا الحد؟ خبّرنى يا شيخ واصدقنى ألم يصبكم مثل هذا من جنود العرب إذ كانوا يحكمونكم؟

الشيخ : وحياة رأسك يا رستم يا بطل فارس ما وقع منهم شيء من ذلك. لقد كانوا يحافظون علينا وعلى نسائنا وأموالنا حفاظهم على أنفسهم.

الفيرزان : هذا كذب.



الشيخ : ماذا يحملنى يا سيدى على الكذب وأنا بين يدى رستم ؟ سلوا أهل هذه القرى كلها تجدوا مصداق قولى .

الفيرزان : أما كانوا يأخذون منكم شيئا ؟

الشيخ : لا شيء غير الجزية المعلومة وغير الخراج المتفق عليه ، وإنهم ليتحرجون أن يأخذوا أكثر مما ينبغى لهم فيسقطون لنا شيئا منه

الفيرزان : أتصدقون مثل هذا الكلام ؟

الشيخ : هذا يا سيدى أمر شائع معلوم عند الجميع .

الفيرزان : بل اختلقته أنت . كل ما قلته كذب واختلاق . إنك تدافع عن هؤلاء الأجلاف لأنك عربى مثلهم .

الشيخ : أنا لست عربيا يا سيدى أنا من الأنباط .

الفيرزان : بل أنت من العرب .

الشيخ : لو كنت منهم لاعتددت بذلك أمامكم ، فليس من أهل السواد من قاتل هؤلاء الغزاة مثل عرب السواد .

رستم : خبرنى الآن هل تعرف أولئك الجناة من جنودنا إذا رأيتهم ؟

الشيخ : (**يتردد بصره بين الفيرزان والهرمزان**) يا سيدى إذا أردت أن تنصفنا ، فلن يعسر عليك أن تهتدى إليهم بوسيلة أخرى من وسائلك .

رستم : صدقت أيها الشيخ ، لأهتدين إليهم فلأجعلنهم نكالا لغيرهم .

الشيخ : ائذن لى الآن أنصرف .

رستم : ألا تبقى عندنا حتى ترى كيف أعاقبهم ؟

الشيخ : لا يا سيدى بحسبى هذا الوعد منك . سأحمله إلى قومى فسيفرحون ويدعون لك . (يخرج)

رستم : أوصلوه إلى مأمنه . (**يتنهد**) يا ويحهم يكفيهم قليل من العدل لو وجدوه !. أحضروا لى كل الجنود الذين ذهبوا إلى قرية النمارق البارحة والبارحة الأولى .

الهرمزان : ماذا أنت صانع بهم ؟

رستم : لأعاقبنهم .

الهرمزان : هؤلاء لا يقلون عن خمسمائة رجل .

رستم : لأعاقبنهم ولو كانوا الجيش كله .

جاذويه : إنى أنصحك يا رستم بألا تفعل . لا ينبغى أن نعاقب هؤلاء على ما ليس بدعا من أمثالهم فقد ارتكبوا مثل هذا فى القرى والمدن التى مروا عليها قبل النمارق ، فما شكا منهم أحد ولا عاقبهم أحد .

الجالينوس : ثق يا سيدى أن هؤلاء الأكارين إن نالهم بعض الظلم من بعض الجنود فقد كسبوا منهم أضعاف ما خسروه . أما النساء فكيف تعرف من اغتصب منهن ممن لم يغتصب ؟

رستم : كان عليهم ألا يتصلوا بأحد منهن .

الفيرزان : إن كنت تريد أن تمنعهم من النساء فدعهم يحضروا زوجاتهم معهم .

رستم : أترضى أنت يا فيرزان أن تحضر زوجتك معك ؟

الفيرزان : كلا . زوجتى ليست كزوجاتهم . زوجتى امرأة محجبة مصونة .

رستم : إنك دائماً ترى لنفسك من الحق ما لا تراه لغيرك .

(**ستـــار**)

المشهد الثاني

قصر قديس فى القادسية .

خيمة نصبت لسعد بن أبى وقاص إلى جانب القصر .

سلمى : أراك مهموماً يا سعد . ماذا يشغل بالك ؟

سعد : أنا على رأس هذا الجيش يا سلمى ، فكيف لا يشغل بالى ؟

سلمى : هذا جواب لا يرضينى منك .

سعد : لمه ؟

سلمى : ما كنت هكذا من قبل .

سعد : لا غرو يا سلمى أن تزداد هومى كل يوم .

سلمى : أفلا تكاشفنى لعلى أشير عليك أو أسرّى عنك ؟

سعد : فى هذه الشؤون يا سلمى ؟ فى شؤون الحرب ؟

سلمى : لا تنس يا سعد أننى درجت فى هذا العش منذ كنت ..

سعد : (**ينظر إليها مليا**) هل كان المثنى رحمه الله يستشيرك ؟

سلمى : فى كل صغيرة وكبيرة .

سعد : فلعل كثيراً من أسراره كان يتسرب إلى العدو .

سلمى : من خلالى أنا ؟

سعد : من خلال من تفضين إليها بأسرارك .

سلمى : منذا تعنى ؟

سعد : لقد آن لى أن أصارحك . أعنى صاحبتك هذه الفارسية .

سلمى : شيرين ؟

سعد : نعم .

سلمى : يا صاحب رسول الله ما كنت أتوقع أن أسمع فيها مثل هذا القول منك .

سعد : وأنا ما كنت أتوقع منها أن تكاتب العدو بأخبارنا .

سلمى : حاش لله أن تفعل . ممن سمعت هذه الفرية ؟ من الذى نقلها لك ؟

سعد : لا تعجلى بالتكذيب على غير برهان .

سلمى : وأنت هل لديك على التصديق برهان ؟

سعد : لو كان عندى البرهان ما تركتها يوما واحدا دون عقوبة .

سلمى : هذه تهمة كبيرة ما كان لك أن توجهها إلى أحد حتى تستثبت .

سعد : ألم تكاتب الملكة بوران يوم ذهب وفد المسلمين إلى المدائن ؟

سلمى : بلى أرسلت إليها كتابا مع زوجها تدعوها فيه إلى الإسلام .

سعد : لعلها أرادت تضليلنا بذلك .

سلمى : ما أرسلت كتابها إلا بعد ما استأذنتك فأذنت .

سعد : ما كان يدور بخلدى أنها تبطن العداوة للإسلام .

سلمى : شيرين تبطن العداوة للإسلام ؟ شيرين المؤمنة الصالحة ؟ ومن الذى يتهمها ؟ أنت يا سعد ! أنت الذى طالما أثنت عليك عندى وطالما ألحت علىّ لأقبلك ، فكان لها الفضل الأول فى زواجى منك !

سعد : ما يدريك لعلها ما اهتمت بزواجك منى إلا من أجل هذا الغرض المريب .

سلمى : لعنة الله على الذى قذف هذه الريبة فى نفسك .

سعد : لا تلعنيه فقد ابتغى وجه الله ونصح للإسلام والمسلمين .

سلمى : ما إخاله إلا شيطانا يريد أن يفسد المسلمين بعضهم على بعض . ليت شعرى من هذا الذى يضمر لشيرين كل هذا الضب ؟

سعد : والله يا سلمى ما اتهمها أحد عندى ألبتة ، ولكن قيل لى إن شخصا فى معسكرنا يكاتب الفرس بأخبارنا وأسرارنا فألقى فى روعى أنها هى ذلك الشخص .

سلمى : ألقى فى روعك ؟

سعد : نعم إذ لم أجد فى معسكرنا أحداً أقرب منها إلى هذه التهمة .

سلمى : وهل سألت ذاك الذى أخبرك كيف عرف ما عرف ؟

سعد : عرف ذلك حين كان فى معسكر الفرس .

سلمى : أهو طليحة بن خويلد ؟

سعد : لا بل أسيره الفارسى الذى أسلم .

سلمى : أتصدق قول فارسى أسلم منذ يومين ليعتق نفسه من ذل الأسر ، فى أميرة فارسية أسلمت وأخلصت إسلامها لله منذ أيام أبى بكر ؟

سعد : إنه ما اتهمها ولا ذكر اسمها ألبتة .

سلمى : ما دمت تتظنى يا سعد وتتجنى ، فلم لا تقول إنه يحقد عليها ويريد أن يلحق بها سوءا ، ولكنه أمسك عن ذكر اسمها وسلك سبيل التعمية حتى يصل إلى غايته دون أن ترتاب فى نيته ؟



إن شخصا ل معسكرنا يكاتب الفرس بأخبارنا وأسرارنا

سعد : لله أبوك يا سلمى ، لقد أبعدت مرماك !

سلمى : ليس بأبعد يا سعد مما رميت .

سعد : إنى كاشفت سلمان الفارسى فى هذا الأمر ، فصدق ظنى .

سلمى : سلمان الفارسى لا يعرف شيرين خيرا مما تعرفها أنت . ولكنى أنا عاشرتها دهرا وعشت معها فى بيت واحد ، فلا والله ما علمت عنها إلا خيرا ، ولا والله ما رأيت أحرص منها على صلاة ولا أحفظ منها لقرآن .

سعد : والله ما شيء أحب إلى نفسى من أن يكون رأيك فى شيرين أصدق من رأيى ، فلنراقبها يا سلمى من وراء وراء حتى يقضى الله لنا فى أمرها أمرا .

سلمى : أنت فراقبها إن شئت ، فأما أنا فدعنى من شأنها ولا تحمّلنى ما لا أطيق .

سعد : فاكتمى عنها هذا الذى دار بيننا الساعة .

سلمى : أما هذا فلست بحاجة إلى أن توصينى به .

سعد : (**ينظر من خلال الكوة**) هذا خالد بن عرفطة قد أقبل ومعه الرهط .

سلمى : أتراك دعوتهم للنظر فى أمر شيرين ؟

سعد : ويحك هذا أمر لا يعلم به غيرى وغيرك ، وغير سلمان الفارسى .

صوت : يا سعد .

سعد : ادخل يا سلمان .. ادخلوا . (**لسلمى التى تهم بالخروج**) إن سمعت شيئا يا سلمى فاكتميه عن صاحبتك .

سلمى : أتتهمنى أنا أيضا ؟

سعد : معاذ الله . (**تخرج سلمى**)

(يدخل خالد بن عرفطة وسلمان الفارسى وزهرة بن الحوية وطليحة بن خويلد ومسلم)

سلمان : السلام عليك يا أمير الجيش .

سعد : وعليكم السلام ورحمة الله . ماذا وراءك ياطليحة بن خويلد ؟

طليحة : انطلقت أنا وصاحبى هذا ، فوجدنا طلائع رستم على ثلاثة أميال من هنا تنتظر بقية الجيش .

سعد : أتراهم يبيتون الليلة عندنا فى القادسية ؟

سلمان : ما أظنهم فاعلين ، لقد عوّدنا رستم السير البطىء .

طليحة : وليس من مصلحته أن يدخل القادسية فى وجه الليل .

سلمان : لكن علينا أن نكون على تعبئة حتى لا نؤخذ على غِرة .

سعد : كيف حال الجيش يا خالد؟

خالد : بخير حال .. كل تحت عريفه وكل عريف تحت أميره ، على أهبة للقاء عدوهم بليل أو نهار .

سعد : والعيالات التى تركناها بالعُذيب ؟

خالد : خيّرناها كما أمرت ، فمن شاء لحق بنا ومن شاء بقى حيث كان .

سعد : وقنطرة العقيق يا زهرة ؟

زهرة : هذا ما جئت من أجله يا سعد . فلسنا ندرى ماذا يريدون منا أن نصنع ؟ هل نصدهم عن القنطرة صدا يسيرا حتى إذا رأينا

الجد منهم فى الهجوم علينا خليناها لهم، أو ندافعهم عنها حتى الموت؟ فإن كانت الأولى فبحسبى من معى من الرجال. وإن كانت الثانية فلا بد من تعزيزهم بثلثمائة رجل من الأبطال.

سعد : ماذا ترى يا سلمان؟

سلمان : أرى أن تجيب زهرة بن الحوية إلى ما طلب، فتضم إليه ثلثمائة رجل آخرين أو أكثر.

سعد : كأنك ترى أن يدافعوا عنها حتى الموت؟

سلمان : أجل، فالذين فيها من المسلمين سيكونون شجا فى حلق رستم وقذى فى عينه، فلن يجدا بدا من مبادأتنا القتال. وبذلك نحقق ما أوصانا به أمير المؤمنين فى عامة كتبه.

سعد : لكن أمير المؤمنين أوصانا بألا نعبر إليهم بل ندعهم يعبرون إلينا.

سلمان : فليعبروا إلينا من سبيل آخر غير سبيل القنطرة، ليكون ذلك أصعب عليهم وأنصب.

سعد : فليكن ما تحب يا زهرة. اختر لك ثلثمائة من أهل النجدة ممن يحب أن يكون معك متطوعا دون إكراه.

زهرة : هل لك يا طليحة أن تكون معى أنت وصاحبك؟

سلمان : كلا دع هذين للطلائع، فلا غنى لنا عن طليحة ولا عن مسلم فى الطلائع.

سعد : أوَقد سميتموه مسلما؟

سلمان : نعم.

سعد : وما اسم أبيه؟

سلمان : لم يشأ أن يخبرنا باسم أبيه .

سعد : لمه ؟

سلمان : يريد منا أيضا أن نسمى أباه .

سعد : فلنسمه عبد الله .

سلمان : مسلم بن عبد الله . هذا حسن .

طليحة : (**يشد يد صاحبه فى حرارة**) مسلم بن عبد الله . أنت مسلم بن عبد الله .

مسلم : (**يشير إلى نفسه مستفهما**) مسلم بن عبد الله ؟

طليحة : نعم .

مسلم : (**يعقد سبابته اليمنى بسبابته اليسرى**) طليحة بن خويلد ، مسلم بن عبد الله .

طليحة : أجل .. نحن أخوان .

(**يعتنقان فى حرارة وإخلاص ، بينما ينظر الآخرون إليهما فى رضى وإعجاب**)

(**ستــار**)

المشهد الثالث

معسكر الفرس بالقادسية يفصل بينه وبين معسكر المسلمين نهر العتيق.

تل صغير ضربت لرستم خيمة فيه.

(يرفع الستار عن رستم وبهمن جاذويه جالسين فى فناء الخيمة، وأمامهما الترجمان العربى عبود، وخلف رستم يقف حاجبه الرُّفَيل)

رستم : هل سألت عن اسمه يا عبود؟

عبود : نعم يا سيدى اسمه زُهرة بن الحويّة.

رستم : (**لجاذويه بصوت خافض**) كالذى ورد فى الرسالة؟

جاذويه : تماما.

رستم : (**لعبود**) قال إنه يرحب بلقائى؟

عبود : نعم يا سيدى حيثما تريد.. عنده أو عندك.

رستم : إن نفسى تنازعنى أن أذهب إليه.

جاذويه : كلا لا تفعل.

رستم : ماذا تخشى علىَّ منهم؟ إنك تعلم أنهم قوم لا يغدرون.

جاذويه : لكنك يا سيدى صيد ثمين.

رستم : أتظن؟

جاذويه : من يدرى ؟

رستم : (**لعبود**) ارجع إليه فقل له إنى أرحب به عندى هنا ، لأتحدث إليه فى هدوء على هذا التل .

جاذويه : على ألا يجىء معه من رجاله بأكثر من عشرة .

عبود : هل أقول له ذلك ؟

رستم : نعم قل ذلك فى لباقة .

عبود : سمعا يا سيدى (**يخرج**) .

رستم : ماذا قالت عنه فى رسالتها يا بهمن ؟

جاذويه : قالت إن أصله من أمراء هجر ، وقد زهد فى إمارته لما أسلم .

رستم : (**يحرك رأسه متعجبا**) ألا تعجب من ذلك يا بهمن ؟

جاذويه : إمارة صغيرة لا قيمة لها .

رستم : لو كنت أنت مكانه ما نزلت عن ضيعة واحدة من ضياعك .

(**ينهض من مكانه وينظر إلى جهة القنطرة**)

جاذويه : (**يقترب منه**) ماذا تتأمل ؟

رستم : أتأمل هذه القنطرة .

جاذويه : ما زلت تعجب من احتلالهم هذا الجانب منها ؟

رستم : أجل ما زلت أعجب من جرأتهم على ذلك .

جاذويه : ألم تجد فى الرسالة التى أطلعتك عليها تفسيرا مقنعا ؟

رستم : يريدون تحدينا واستفزازنا حتى نناجزهم القتال ؟

جاذويه : نعم .

رستم : إذن فلا والله لا أمكنهم مما يريدون . لأمضين فى مطاولتهم حتى ينفد صبرهم فيعبروا إلينا أو يعودوا خائبين إلى عمر .

جاذويه : وشاهنشاه ؟

رستم : (محتدا) على شاهنشاه أن يتركنى وشأنى أن أكسب له النصر ، وإلا فليسند القيادة إلى غيرى !

جاذويه : هذا ما يتمناه الفيرزان .

رستم : فليبؤ هذا الأبعد بوزر الهزيمة !

جاذويه : رستم . أنت أمل فارس الوحيد فلا تَنْسَ فارس .

رستم : تلك هى مأساتى يا جاذويه .

جاذويه : دع عنك هذا وسلنى عن كأس الشراب .

رستم : أوَقد أحضرته ؟

جاذويه : من أنفس نوع . لا يظهر مفعوله إلا بعد أربع وعشرين ساعة .

رستم : بعد أربع وعشرين ساعة ؟

جاذويه : هكذا زعم الحكيم النسطورى الذى قام بتحضيره ، ولكنه أكد لى أنه ساحق ماحق .

رستم : لكن ألا ترى أن ذلك يغض من قدرنا ولا يليق بنا ؟

جاذويه : نحن فى حرب معهم .

رستم : حتى الحرب يا جاذويه لها آداب .

جاذويه : مع هؤلاء الأجلاف ؟

رستم : مع أى كان .

جاذويه : ما خطبك اليوم ؟ لقد اتفقنا على ذلك من قبل .

رستم : هل يفعلون هم مثل هذا ؟

جاذويه : نعم . ألم تر إلى ذلك الذى اقتحم معسكرنا بالنمارق . ما أحسبه كان يقصد إلا اغتيالك .

رستم : شتان بين هذه وتلك ، تلك بطولة وفروسية وهذه دناءة وخسة .

جاذويه : بحق فارس يا رستم ، بحق الوطن المقدس هذه فرصة للتخلص من رأس كبير من رءوسهم فلا تضعها . إن كنت تكره أن تحمل تبعة ذلك فاجعلها عليّ .

رستم : فليكن ما تريد يا بهمن .

جاذويه : بوركت يا رستم .

رستم : لكن تذكّر ما أقوله لك . إني ما كنت لأقبلها على نفسي لولا أني وجدت أبناء فارس قد أصبحوا غير أكفاء لهؤلاء العرب .

جاذويه : كلا يارستم ، هذا قول لا ينبغي أن يجرى على لسانك . لأهون عندى من ذلك أن أريق الشراب على الأرض .

رستم : (**يتنهد**) آه يا جاذويه ، لو ينفع فى علاجنا إراقة هذا الشراب !

(يسمع وقع حوافر الخيل)

جاذويه : ها هم أولاء قد جاءوا . انظر يارستم ! إنه جاء وحده ليس معه غير عبود .

رستم : آه . ألم أقل لك ؟ شتان ما بيننا وبينهم .. استقبله يا جاذويه .

(يخرج جاذويه ثم يعود ومعه زهرة بن الحوية)

رستم : مرحبا بك أيها الأمير ، وشكراً إذ لبيت الدعوة .

زهرة : أنت يا رستم قائد فارس ، فكيف لا ألبى دعوتك ؟

رستم : إنك لتتكلم الفارسية كأحد أبنائها .

زهرة : أعرفها من الصغر .

رستم : ترى أين تعلمتها ؟

زهرة : فى مسقط رأسى .

رستم : (**متجاهلا**) بالمدينة ؟

زهرة : (**ضاحكا**) لا يا رستم هنالك لا يعرفونها .

رستم : فأين ؟

زهرة : فى هَجَر .

رستم : هذه بجوارنا ، وكانت فى حمايتنا ذات يوم .

زهرة : يقول ربنا فى كتابه العزيز ﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ .

رستم : إنى لأعلم أنكم أهل وفاء وعهد ، وقد كنتم جيراننا فكنا نجن جواركم ، ونكف الأذى عنكم ، ونغيثكم إذا عضكم جدب ، ونذبّ عنكم إذا اعتدى عليكم مغير ، وقد كنتم معنا فى وفاق ، فما الذى غيّركم علينا وأغراكم بالوثوب على أرضنا ؟

زهرة : إنك تذكر عهدا قد باد ولا تذكر العهد الذى ولد مكانه .. تذكر عهد جاهليتنا ولا تذكر عهد إسلامنا .

رستم : عهدنا بالشعوب أنها لا تسىء إلى جيرانها ولا تنسى صداقتهم ، مهما اختلفت عليها العهود وتعاقبت عليها الحُكام . إن الحقوق التى كانت تلزمكم فيما مضى لتلزمكم اليوم .



.. إنه جاء وحده ليس معه غير عبود !

زهرة : ليس الأمر يا رستم كما تصورت ، فإنّا لم نستبدل عهدا بعهد أو حاكما بحاكم ، ولكنا كنا ضُلَّالا فهدانا الله ، وكنا أعداء فألف الله بين قلوبنا ، وكنا لا نريد الآخرة ولا نعرفها وإنما نريد الدنيا ولا نعرف طريقها ، فأرشدنا الله إلى حسن متاع الدنيا وحسن ثواب الآخرة . وكنا لا نبغى الخير إلا لأنفسنا فأصبح اليوم حقا علينا أن ندعو الناس إلى الخير الذى هدينا إليه .

رستم : هذه حجة تتعللون بها . أما حقيقة الأمر فإنكم تطمعون فيما بأيدينا من الخير ، وتريدون أن تغلبونا عليه .

زهرة : إنكم تعرفون أوّليّتنا يا رستم . لقد كنا من أذل الأمم ، فهل دار بخلد أحد قط أننا سنقاتل فارس والروم فى وقت واحد فننتصر عليهما معا ؟

رستم : إنكم لم تنتصروا علينا ولن تنتصروا أبدا .

زهرة : فلا قُلْ بالحرِىّ هل دار بخلد أحد قط أننا سنبنبرى لقتال فارس والروم فى وقت معا ، فنهزم الروم وتكون الحرب بعدُ سجالًا بيننا وبين فارس ؟

رستم : لا ولا بخلد الشيطان ؟

زهرة : فهل كانت بلاد فارس فقيرة فاغتنت اليوم ؟

رستم : لا .

زهرة : أو كانت بلاد العرب غنية أمس فافتقرت اليوم ؟

رستم : لا .

زهرة : فلا بد أن حادثاً جللا بدل نفوس العرب من حال إلى حال . فما ذلك الحادث الجلل ؟ إنه دين الحق الذى جئنا لندعوكم إليه لا يرغب عنه أحد إلا ذل ، ولا يعتصم به أحد إلا عز .

رستم : هل لك أن تشرح لى ما هذا الدين الذى تدعون إليه ؟

زهرة : أما شعاره فشهادة ألا إلـٰه إلا الله ، وأن محمدا رسول الله . وأما أساسه فإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، والناس جميعا بنو آدم وحواء إخوة لأب وأم .

رستم : ما أحسن هذا يا زهرة . أرأيت إن أجبت إلى هذا ومعى قومى كيف يكون أمركم ، أترجعون عنا إلى بلادكم ؟

زهرة : إى والله .

رستم : وتتركوننا وشأننا نصنع ما نشاء فى بلادنا ؟

زهرة : نعم على شرط أن تقيموا فيكم سنة الإسلام وشريعته ، فلا يستعبد بعضكم بعضا ولا يعلو بعضكم على بعض .

رستم : لكن هذا لا يصلح فى أرض فارس ، فإنّ أهلها منذ عهد أردشير لم يأذنوا لأحد من السِفْلة أن يخرج من عمله ، وإلّا تعدّى السِفْلةُ طورهم وعادوا أشرافهم . فلم لا تتركوننا وما ألفنا من نظام ؟

زهرة : ليس ذلك فى ملكنا يا رستم ، فلا فرق فى شرعة الإسلام بين السفلة والأشراف .

رستم : ألا تريدون أن تكسبوا قلوب الأشراف وتنالوا تأييدهم ؟ فإنكم إذا نلتم تأييد الأشراف نلتم تأييد السِفْلة بالتبع .

زهرة : كلا نحن المسلمين خير الناس للناس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقول .

رستم : أمن أجل السفلة والعبيد تخاطرون بكل شيء؟ هذا سفه منكم وقلة رأى .

زهرة : هذا ما يأمرنا به الله أن نطيعه فى هؤلاء المستضعفين ، ولا يضرنا من عصى الله فينا من الأشراف .

رستم : إذن لا تبلغون ما تريدون .

زهرة : علم ذلك عند الله ، وما علينا إلا أن نطيع أمره .

رستم : إنكم لم تروا بعدُ من بأسنا شيئا ، فلا يغرنكم ما كان حين كنا فى شغل عنكم .

زهرة : نحن لا نجهل أنكم أقوياء . ولكنا نستعين بالله عليكم ونؤمن أنه ناصرنا بحوله وقوته . إننا نقاتل للحق وللمستضعفين ، والله مع الحق ومع المستضعفين .

رستم : (**بعد صمت يسير**) إنك لتدافع عن المستضعفين كما لو كنت منهم ، مع أن الذى ينظر فى وجهك يرى فيه سيماء الأشراف . فأخبرنى ماذا كنت ؟

زهرة : كنت رجلا من العرب ، وأنا اليوم رجل من المسلمين .

رستم : اصدقنى .

زهرة : قد صدقتك .

رستم : لعلك تخشى إن أخبرتنى بأصلك أن أغدر بك ، فآمر بقتلك أو حبسك .

زهرة : يا رستم إنى لا أخاف أحداً غير الله سبحانه . إن كنت حريصا على معرفة أصلى فإنى كنت من أبناء ملوك هجر ، فاقتلنى الآن إن شئت .

رستم : ألا تخاف الموت ؟

زهرة : أأخاف أن أموت شهيداً فأدخل الجنة ؟

رستم : لكن قومك سيخسرونك .

زهرة : لن يخسر المسلمون غير رجل واحد ، ولكنكم أنتم الخاسرون .

رستم : كيف ؟

زهرة : ستخسرون عهدكم إن كان لكم عهد ، ولا يفلح قوم لا عهد لهم ولا ذمة ، ولا يقوم ملك على غدر وخيانة .

رستم : إنى قد أحسنت الاستماع إليك ، فأحسن الاستماع إلىّ .

رستم : قل ما عندك .

رستم : إنى أرى فى وجهك ملامح فارسية ، فهل لاحظت ذلك ؟

زهرة : نعم إن فى بيتنا عرقا فارسيا من ناحية الأمهات .

رستم : هذا حرى أن يشجعنى على أن أعرض عليك ما عندى .

زهرة : ما هو ؟

رستم : إنك عرضت علىّ أحسن ما عندك وهو الدخول فى دينكم الجديد ؟

زهرة : أجل .

رستم : وإنى أعرض عليك أحسن ما عندى .

زهرة : ما هو ؟

رستم : سنجعلك ملكا على عرش الحيرة وما شئت من أرض السواد ، إذا انضممت إلينا فى هذه الحرب .

زهرة : يحزننى يا رستم أنك لم تحسن الاستماع إلىّ ، وإلا لأدركت أن مثل هذا مستحيل . لو جئتنى فى الجاهلية فعرضت علىّ أن أخون قومى فى سبيل هذا الملك ما قبلت . فكيف بالإسلام ؟

رستم : لا تغضب ، فقد طلبت أنت منى أن أخون قومى فلم أغضب .

زهرة : كلا ما طلبت منك أن تخون قومك .

رستم : ألم تدعنى أن أترك دين آبائى لدينك ؟

زهرة : بلى .

رستم : فلو أجبتك لخنت قومى .

زهرة : إنى لست أدعوك أنت وحدك ، بل أدعو قومك معك عسى أن تكونوا من المهتدين .

رستم : فالخيانة التى عرضتها علىّ أكبر من الخيانة التى عرضتها عليك .

زهرة : أنت لا تستطيع أن تجهر بدعوتى لأنها دعوة إلى خيانة ، ولكنى أجهر بدعوتك ودعوة قومك إلى الهدى والخير .

رستم : أخبرتنى أنك كنت أميراً من أمراء هجر ، فلما جاء الدين الجديد سلبها منكم فأحببت أن أعطيك إمارة أغنى وأوسع .

زهرة : كلا ما سلبها منا ، ولكنى نزلت عنها زهدا فيها لأجاهد فى سبيل الله فيكتب لى ثواب المجاهدين .

رستم : تدرى يا زهرة أننى قد أحببتك .

زهرة : لو كنت صادقا لدخلت فى دين الحق .

رستم : ولكنَّك أنت لا تحبنّى .

زهرة : كيف لا أحبك وأنا أحب لك الخير ؟ قسما بالله لو خُيِّرتُ بين أن أُقتَل وتُسلِم أنت ، وبين أن أبقى ولا تُسلِم ، لآثرت الأولى على الثانية .

رستم : (**مداعبا**) هذا أمر لا سبيل إلى التأكد منه .

زهرة : (**ضاحكا**) صدقت . (**يخلع خاتما من يده**) هل لك أن تقبل هذا هدية منى لك ؟

رستم : شكرا لك ، سأحفظه عندى تذكارا منك .

زهرة : ائذن لى الساعة . (**يتهيأ للنهوض**)

رستم : كلا حتى تذوق عندنا شيئا . هات ما عندك يا غلام .

(يدخل الرفيل ببضعة أقداح ، فيضع قدحا لزهرة ثم قدحا لرستم ثم لجاذويه)

(يقلب زهرة القدح ويتأمل فيه)

رستم : (**فى ارتياب**) ما خطبك ؟

زهرة : إن كان خمراً فإننا لا نشرب الخمر .

رستم : (**يسرى عنه**) كلا ليس بخمر . هذا شراب رمان .

زهرة : (**يرفع القدح ليشرب**) باسم الله .

رستم : على رسلك . (**يسحب القدح من يد زهرة فيلقيه على الأرض ويقدم له قدحه**) خذ هذا . أعطنى قدحا آخر يا غلام .

زهرة : لماذا ألقيت بالقدح ؟

رستم : لقد كان غير نظيف .

زهرة : عجبا ما رأيت أى أذى فيه .

رستم : لو تأملته جيدا لرأيت آثار أصابع الغلام على حوافه . اشرب الآن هنيئا مريئا .

(يتناول قدحا آخر من الرفيل) .

زهرة **(يقلب طرفه فى وجوه الثلاثة ثم يرفع القدح إلى فمه)**
باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم .

(ستــار)

المشهد الرابع

خيمة طلحة بن خويلد الأسدى فى أطراف المعسكر .

نوار : ما خطبك يا طلحة ؟ لقد صرت تخرج لغارتك كل ليلة دون انقطاع .

طليحة : إنما أطيع أمر أمير الجيش يا نوار .

نوار : أمير الجيش يسمر مع أهله أول الليل وينام آخره ، ولا يعنيه أتعود من غاراتك أو لا تعود .

طليحة : لا حق لك أن تقولى هذا عن سعد بن مالك . والله ما طرقته فى أى ساعة من ساعات الليل ، إلا وجدته قائما يصلى أو قاعدا يقرأ القرآن .

نوار : فى خيمته بمأمن من أخطار الليل والطريق والعدو .

طليحة : ويحك يا نوار ! أتريدين أن يكون هو مكانى وأكون أنا مكانه ؟

نوار : كلا ، ولكنى أود لو تجعل لنفسك راحة تستجم فيها ولو ليلة واحدة فى الجمعة .

طليحة : تذكرى يا ابنة عم أن أمير المؤمنين كتب إلى سعد حين بعثنى إليه ، أننى بألف رجل .

نوار : فقد كتب مثل ذلك عن عمرو بن معدى كرب .

طليحة : لكن سعدا يفضّلنى على عمرو ويثق بى أكثر مما يثق به . ومع ذلك قلما خرجت فى غارة إلا وكان معى فيها أبو ثور .

نوار : لو كان لى منك ولد يا طليحة لما باليت .

طليحة : أما زلت يا نوار تحنين إلى الولد ؟

نوار : كيف لا وأنا أحبك ؟ إذن لوجدت فيهم عزاء عن أبيهم . إن جرى له شيء .

طليحة : أما أنا فلن يعزينى عنك شيء أبدا .

نوار : لا أصدقك . لتجدن فى فتيات بنى فقعس حينئذ من تنسيك النوار .

طليحة : هيهات يا ابنة عم . إنك لا تعرفين مقدار حبى لك .

نوار : لو كان لك ولد منى لأحببتنى أكثر .

طليحة : ما أحسب أن وراءه زيادة لمستزيد . والله إنى لأذكرك فى الغارة أو المعركة ، فلا يقوم لى شيء من شدة خوفى ألا أراك بعد ذلك .

نوار : أوقد ذكرتنى ليلة اقتحمت على رستم معسكره ؟

طليحة : لو لم أذكرك لما نجوت من مطارديه .

نوار : قد علمت أنه لا فائدة من الحديث معك ، فأين غارتكم الليلة ؟ أقريب هى أم بعيد ؟

طليحة : إخالها ستكون بعيدا ، فخذى ثيابك إلى خباء ابنة عمك .

نوار : لو كان لى ولد لكانوا أنسا لى حين تغيب .

طليحة : خفضى عليك ، فلعل الله ادخر لنا الولد فى الجنة إن شاء الله .

نوار : رفاقك آتون إليك أم أنت ماض إليهم ؟

طليحة : بل هم آتون إلىّ وكأنْ قَدْ . هل عندك شيء نُقدّمه لهم ؟

نوار : ما عندى غير القديد .

طليحة : فيه بلاغ.

صوت : (**ينادى من الخارج**) طليحة! يا طليحة!

طليحة : هذا عمرو بن معدى كرب.

نوار : (**ترتدى عباءتها**) إنى ماضية.

طليحة : فى رعاية الله. (**تخرج النوار**) ادخل يا أبا ثور.

عمرو : (**يدخل**) ألم يحضر الرفاق بعد؟

طليحة : أنت أول من حضر. هل أعددت رجالك؟

عمرو : هم على كمال الأهبة.

طليحة : اجلس. (**يجلس عمرو بمشقة**) ما خطبك؟ هل تشكو وجعا يا أبا ثور؟

عمرو : لا وجع يا طليحة، ولكن ثقل مائة وعشر.

طليحة : أما إنك لأقوى منى بعد وأنا فى الخامسة والأربعين.

عمرو : أنت أنشط منى وأسرع حركة، والقوة يا صاح بحركة. فواها على الشباب!

طليحة : بل احمد الله على ما أبقى من شبابك، فأترابك قد لزموا العصا من زمن بعيد.

عمرو : الحمد لله على ما أنعم. والله ما أدرى يا طليحة كيف كنت أحتمل هذا الشيب الزاحف رويدا رويدا علىّ، لو لم يهدنى الله إلى دينه والجهاد فى سبيله والرجاء فيما عنده.

طليحة : صدقت، ما أهون عيش الدنيا فى عيش الآخرة.

(**يدخل مسلم بن عبد الله**)

مسلم : السلام عليكم.

طليحة : وعليك السلام ، أين كنت يا مسلم فإننى ما رأيتك منذ أمس .

مسلم : كنت عند سلمان الفارسى .

طليحة : تأخذ عنه القرآن ؟

مسلم : نعم .

عمرو : أصبت والله . ذلك ما لا تجده عند صاحبك . (**يشير إلى طليحة**) .

طليحة : (**ممازحا**) ولا عندك يا أبا ثور .

عمرو : ولا عندى .

طليحة : تريد أن تخرج معنا الليلة ؟

مسلم : إن أذنت يا سيدى .

طليحة : لا تقل يا سيدى ويلك . قل يا طليحة .

مسلم : معذرة .. إن أذنت يا طليحة .

طليحة : هل تعرف طريق الفراض ؟

مسلم : نعم أعرفها جيدا .

طليحة : فلتكن دليلنا الليلة .

صوت : (**ينادى من الخارج**) يا طليحة .

عمرو : هذا عمرو بن أبى سلمى .

طليحة : ادخل يا ابن أبى سلمى . (**يدخل عمرو بن أبى سلمى**) أهلا بك يا عمرو . هل أعددت رجالك ؟

ابن أبى سلمى : نعم فهم على أهبة . أين أبو محجن الثقفى ؟ ألم يحضر بعد ؟

طليحة : ما سؤالك عنه يا ابن أبى سلمى ؟



لا وجع يا طليحة ولكن لقل مائة وعشر

عمرو : لعله أراد أن ينادمه .

ابن أبي سلمى : معاذ الله ، ولكنى لقيته منذ قليل فأخبرنى أنه سيسبقنى إليكم .

طليحة : لا يحضر أبو محجن إلا آخر الناس .

عمرو : إن لم يحبسه حابس .

طليحة : ويُلِمّه فارسا ، لو كف عن مجونه وكأسه .

صوت : (ينادى من الخارج) يا طليحة .. طليحة بن خويلد .

ابن أبي سلمى : ها هو ذا قد جاء .

طليحة : ادخل يا أبا محجن .

أبو محجن : عموا مساء يا قوم .

طليحة : قاتلك الله ، قل السلام عليكم .

أبو محجن : وعليكم السلام ورحمة الله ، أتدرون لماذا جئتكم الليلة من أول الليل ؟

طليحة : لعل الله هداك .

أبو محجن : إن الله قد هدانى من عهد بعيد ، منذ أسلمت مع قومى فى الطائف فلم نُشرك بعدها ولم نرتد يوم ارتدت العرب . ولكنى اشتهيت أن أواكلكم وأسامركم قبل أن ننطلق فى سريتنا الليلة .

طليحة : أنت على الرحب والسعة يا أبا محجن .

أبو محجن : فهل أعددت لنا شيئا يؤكل ؟

طليحة : نعم شيئا من القديد وشيئا من السويق .

أبو محجن : فهل ننتظر أحدا بعد ؟

طليحة : لا ..

أبو محجن : فأحضر ما عندك حتى يتسع لنا بعده السمر .

طليحة : حبا وكرامة . (**ينهض**) تعال يا مسلم فساعدني .

(يخرج طليحة ومسلم ثم يعودان بالقديد والخبز والسويق فيأكلون جميعا)

أبو محجن : (**ينهض**) مكانكم امضوا في طعامكم (**يتوجه إلى الباب**)

طليحة : إلى أين أنت ذاهب ؟

أبو محجن : سأحضر لكم الهدية التي جئت بها معي . (**يخرج ثم يعود حاملا شيئا كبيرا ملفوفا**)

القوم : ما هذا يا أبا محجن ؟

أبو محجن : إن للمجالس سرا فلا تفشوه . لعن الله من لا يحفظ سر المجالس .

طليحة : ما هذا الذي جئت به ويلك ؟

أبو محجن : هذا خير ما في الدنيا والآخرة .

عمرو : خمر ؟؟

أبو محجن : أصبت يا أبا ثور . لقد اهتديت إلى خير ما في الدنيا والآخرة .

طليحة : كفى سفها يا أبا محجن .

أبو محجن : السفيه والله من يأمل أن ينادمكم .

طليحة : صدقت . فلن تجد بيننا من ينادمك .

أبو محجن : ويلكم ! أين أجد من ينادمني إذن إن لم أجده بينكم ؟ أنتم بين متنبئ ومرتد ومؤلَّف . أفأنادم سعدا وسلمان ؟

طليحة : نادم الشيطان .

أبو محجن : ويلُمّه نديما لو يتشكل لى ويقارعنى الكأس ! ولكنى لا أرى وجهه ولا أسمع حسه فكأنما أنادم نفسى .

طليحة : فاشربها وحدك واستتر ، ولا تشهد الناس على خطيئتك .

أبو محجن : يا كاهن بنى أسد ألم تكن صاحب شراب فى جاهليتك ؟

طليحة : بلى .

أبو محجن : أفقد أنسيت — وما بالعهد من قدم — أن الشراب بلا نديم لا لذة له ولا رونق ؟ فما ذنب هؤلاء حتى تمنعهم منها ؟ أآنت عليهم مسيطر ؟

طليحة : ويلك لست أنا الذى يمنعهم ، إنما يمنعهم دينهم .

أبو محجن : الآن أنصفتنى . يا قوم إنما هى ليلة وهذه فرصة لا يجود بمثلها الزمان . (**يفتح سداد الباطية ويفرغ منها فى قدح**) باطية من خمر بابل ! معتقة من عهد هاروت وماروت ! أين تجدون مثلها إلا فى الجنة !

عمرو : أرنى ويلك . (**يأخذ القدح فينظر فيه**)

أبو محجن : هذا أبو ثور قد حنّ .

عمرو : (**يدنى القدح من أنفه**) والله ما صافح خياشيمى مثل هذا الشميم قط .

طليحة : اتق الله يا أبا ثور ، واذكر أنك تجاهد فى سبيل الله .

أبو محجن : وأنا أيضاً أجاهد فى سبيل الله ، ذقها الليلة وتب غدا .

طليحة : والله لا يذوقها منكم أحد فيخرج معى فى السرية .

أبو محجن : لمه ؟



والله لأشربنها أمامكم وأنتم تنظرون

طليحة : لا أقبل أن يقاتل معى مخمور .

أبو محجن : أى بأس فى ذلك ؟ كل ابن أنثى يعلم أنها تورث الشجاعة والإقدام .

طليحة : ويلك ! إننا لا نقاتل بطراً ولا رياء ولا بغياً كما كنا نفعل فى الجاهلية ، وإنما نقاتل لتكون كلمة الله هى العليا ، فما يضمن لنا إن خرجت معنا مخمورا ألا ترتكب بغياً أو عدوانا يفسد علينا الجهاد ؟

أبو محجن : تعنى النساء ؟

طليحة : النساء وغير النساء . إن من لا عقل له لا دين له .

عمرو : (**يعيد القدح إلى أبى محجن**) خذها يا أبا محجن ، لا أرب لى فيما حرمه الله .

أبو محجن : تباً لك يا ابن خويلد ، لقد أفسدت علىّ أفسد الله عليك . وتباً لكم جميعا ، والله لأشربنها أمامكم وأنتم تنظرون .

طليحة : (**يأخذ بالقدح**) على رسلك يا أبا محجن . أصغ إلىّ . إما أن تخرج معنا ولا تشرب ، وإما أن تشرب ولا تخرج ؛ فاختر ما يحلو لك .

أبو محجن : لأشربن ولأخرجن .

طليحة : قد جعلت لنا سبيلا على نفسك . (**يريق القدح ثم يخطف الباطية فيحطمها على الأرض**)

أبو محجن : (**يستشيط غضبا**) أوَقد فعلتها يا كاهن بنى أسد ؟ والله لأحطمن رأسك ولأريقن دمك . (**يهم بالانقضاض على طليحة فيحتضنه عمرو بن معدى كرب بين ذراعيه فلا يستطيع حراكا**) دعنى يا أبا ثور دعنى .

عمرو : يا فُوَيْسق ثقيف . أتظن نفسك عِدْلا لطليحة ؟

أبو محجن : أرسلني لترى .

عمرو : ويلك إني لا أحميه منك بل أحميك أنت منه . ويلك أين يذهب بك؟ ألا تعلم أن للجيش أمير يقال له سعد بن مالك، وأن للمؤمنين أميراً يقال له عمر بن الخطاب ؟

أبو محجن : قبحاً لكم أتريدون أن تستعدوا سعدا عليّ ؟ أليسْ للمجالس عندكم حرمة ؟

طليحة : كلا لن نستعدى عليك سعدا ولا غير سعد ، ولن يعلم بما جرى الليلة بيننا أحد .

أبو محجن : أحقا ؟

طليحة : نعم . والله يا أبا محجن لوددت لو تركت لك باطيتك لولا حرصى أن تكون معنا الليلة فى السرية ، فهب لى يا أخى ما فعلت .

أبو محجن : (فى رضا) قد فعلت يا طليحة . ولكن إياك أن تعود لمثلها

طليحة : إلا إذا عدت أنت .

(ستـــار)

المشهد الخامس

(يرفع الستار عن سعد وعنده خالد بن عرفطة وعبود رسول رستم).

سعد : أقرئ رستم مني السلام يا عبود . وقل له إنى سأجيبه إلى ما طلب ، لعل الله يهديه إلى سبيل الحق فيهدى قومه كذلك .

عبود : سأفعل يا أمير الجيش .

سعد : خذه معك يا خالد وأوصله إلى مأمنه .

(يخرج خالد ومعه عبود)

سلمى : **(تدخل من الخباء الثانى)** أوَقد خرجوا ؟

سعد : نعم .. منذا عندك يا سلمى ؟

سلمى : شيرين وزوجها المعنى بن حارثة .

سعد : **(فى ارتياب)** أكانا يعلمان أن رسول رستم عندى ؟

سلمى : لست أدرى .

سعد : فماذا يريدان ؟

سلمى : لعلهما يريدان الزيارة .

سعد : فى مثل هذه الساعة من النهار ؟

سلمى : ويحك يا سعد : لقد كانا يزوراننا فى كل وقت ، فما كنت تسأل عن سبب ولا علة !

سعد : عندى اليوم شغل كثير .

سلمى : أى شغل؟

سعد : هذا الطلب الذى بعث به رستم.

سلمى : قد سمعتك تكل أمره إلى سلمان.

سعد : أجل، وسيعود سلمان ليطالعنى بالرأى الذى انتهى إليه.

سلمى : الحق يا سعد أنك صرت تكره لقاءهما منذ اعترتك الظنون فى شيرين. ويخيل إلىّ أن المعنى قد بدأ يحس بذلك.

سعد : دعى عنك أوهامك. أتدخلون أم أدخل إليكم؟

سلمى : بَلْ ندخل عندك. (**تخرج ثم تعود ومعها المعنى وشيرين**)

سعد : (**يصافحهما مرحّبا**) مرحبا بالأهل والصهر. لا تؤاخذونى إن شغلت عنكم.

المعنى : إنا لنعرف عذرك يا سعد، ولوددنا لو نستطيع أن نساعدك فيما بين يديك.

سعد : جزاكما الله خيرا. ما تقدما من خير فى سبيل الله فإن الله به عليم.

المعنى : لقد حاولت والله جهدى أن أكتشف لك ذلك الجاسوس الذى يكاتب العدو بأخبار المسلمين، واستعنت بشيرين عسى أن تهتدى إليه بما تتقن من لغة قومها، ولكنا حتى الآن لم نصل إلى يقين تطمئن به النفس.

سعد : فهل ارتبتما فى أحد؟

المعنى : إن كان لنا أن نرتاب فى أحد، ففى ذلك الفارس الذى أسره طليحة بن خويلد فأسلم.

سعد : مسلم بن عبد الله؟ هذا لا يفارق طليحة ليلا ولا نهارا ويخرج معه في سراياه.

المعنى : الله المطلع على السرائر.

سعد : ماذا جعلكما ترتابان فيه؟

المعنى : الطريقة التي استأسر بها لطليحة. فقد كان في وسعه لو أراد النجاة أن يولى فرارا، وما كان طليحة ليطرد في أثره.

سعد : لعله ما استأسر إلا حين قذف الله في قلبه الإيمان. يا أخي إن الله إذا أراد أن يهدى أمرأ يسّر له ذلك من حيث لا يحتسب.

شيرين : صدقت يا سعد. لعلنا ظلمناه حين اتهمناه والله وحده يعلم حقيقة الأمر. ولكن ينبغي على ذلك أن تأخذوا حذركم منه وتراقبوه من حيث لا يشعر، إلى أن يكشف الله جليّة أمره.

سلمى : هذا رأى وجيه يا سعد، فالاحتياط لا بد منه.

شيرين : وحبذا لو تتبعون مثل هذا السبيل مع رافع وعشنّق وضخم وقباذ، وغيرهم من مُسلمة الفرس.

سعد : أتريدين يا شيرين أن نتّهم كل من أسلم من قومك؟

شيرين : والله إن ذلك ليحزنني يا سعد ولكن ما حيلتي؟ لا بد أن يكون الجاسوس أحد هؤلاء وإن تعذر تعيينه.

المعنى : والله يا سعد لأمضين في التنقيب عنه، ولا يقر لي قرار حتى أهتدى إليه.

شيرين : (**تفتح سفطا في يدها**) وهذا العقد اللؤلؤ أتذكره يا سعد؟

المعنى : العقد الذى جئت به من المدائن هدية لها من بوران.

سعد : نعم.. ما باله؟



لابد أن يكون الجاسوس أحد هؤلاء وإن تعذر تعيينه

شيرين : لقد أقسمت لأردنه إلى ملكتهم .

سلمى : فيم يا شيرين ؟

شيرين : لا أريد أن يربطنى بهؤلاء القوم أى سبب .

سلمى : لكن هذه هدية قد استأذنتما أمير الجيش فى قبولها فأذن ، واحتزته عندك من أمد بعيد فما عدا مما بدا ؟

شيرين : ما كان بيننا جاسوس يكاتبهم إذ ذاك .

سلمى : وما شأن هذا العقد بالجاسوس ؟

شيرين : لا أستطيع أن أحمله فى عنقى بعد اليوم . خذه يا سعد وأرسله مع أى رسول إلى رستم ليعيده إلى بوران .

سعد : إنى لست أرى ما يدعو إلى ذلك يا شيرين .

شيرين : (**بلهجة جازمة**) إن لم تشأ أن ترسله إلى رستم ، فأبقه عندك ؟

سعد : ماذا أصنع به ؟

شيرين : اصنع به ما شئت .

سعد : طيبى نفسا يا شيرين ، فلأرسلنه إلى رستم كما أردت .

شيرين : جزيت خيرا يا سعد . الآن أثلجت صدرى .

سعد : ولأهدين زوجك هدية أنفس وأثمن .

شيرين : ما هى يا سعد ؟

سعد : الشَّموس .

الثلاثة : (**فى صوت واحد**) الشَموس ؟

المعنى : لكن هذه لك أنت يا أمير الجيش .

سعد : والله إنك لأحق بها منى ، ولا يصلح لها إلا أنت .

المعنى : لكن أخى المثنى أوصى بها لك .

سعد : فهى لى من المثنى وصية ، وهى لك منى هدية .

شيرين : (**فرحة**) جزيت الخير يا سعد . والله لقد قلدتنا منة لا ننساها أبد الدهر . أرأيت يا معنى كيف عوضنا الله عن عقد بوران ما هو خير منه ألف مرة ؟

المعنى : صدقت يا شيرين . إن لسعد علينا لفضلا كبيرا .

سعد : بل فضلكم يا آل المثنى علىّ وعلى المسلمين أجزل وأكبر .

صوت : (**ينادى من الخارج**) يا سعد بن مالك .

سعد : هذا صوت سلمان ، ادخلى بهما يا سلمى إلى خبائك . ادخل يا سلمان .

سلمى : هلم .

سعد : لا تنسَ يا مُعنَّى أن تأخذ الشموس معك .

(**تخرج سلمى والمعنى وشيرين**)

(**يدخل سلمان ومعه الرفيل**)

سلمان : السلام عليك يا سعد .

سعد : وعليكم السلام . أهذا مسلم جديد يا سلمان ؟

سلمان : بل هذا الذى أسلم على يديه المسلمون الجدد . هذا الذى بشر بالإسلام فى معسكر رستم .

سعد : الرفيل . حاجب رستم ؟

سلمان : أجل .. الرفيل .. بن عبد الله .

سعد : (**يقبل رأس الرفيل**) مرحبا بك بين إخوانك المسلمين .

سلمان : لقد كان يريد البقاء هناك ليواصل دعوته سراً فى الخدم والعبيد .

سعد : أجل لو بقى هناك كان أفضل .

سلمان : لو بقى هناك لقتله رستم ، فقد علم بأمره فنذر دمه .

سعد : فالحمد لله إذ نجا .

أصوات : (**تنادى من الخارج**) رفيل .. رفيل .

سعد : ما هذا ؟

سلمان : (**ينظر من الكوة**) هؤلاء إخواننا من مسلمة الفرس قد جاءوا ليرحبوا بالرفيل . ويحهم ألا ينتظرون حتى يستقبلوه عندى حين أعود ؟

سعد : دعهم يدخلوا يا سلمان . (**بصوت عال**) ادخلوا يا قوم ادخلوا .

(يدخل مسلم ورافع وعشنّق وضخم وقباذ فيعتنقون الرفيل ويوسعونه لثما وتقبيلا فى شوق)

سلمان : (**فى برم مشوب بعطف**) ويلكم ألا تُسلّمون أولا وتحيُّون أمير الجيش ؟

سعد : دعهم يا سلمان دعهم . (**ينظر إليهم فى مودة وعطف**)

مسلم : لا تؤاخذنا يا أمير الجيش ، فإنا لا نملك أن نطير فرحا حين نلقى أخا لنا قد دخل الإسلام .

سعد : لا تثريب عليكم ! هكذا كنا فى أول الإسلام حين كان عدد المسلمين قليلا فى مكة .

سلمان : إنكم تريدون أن تتحدثوا طويلا إلى أخيكم الرفيل ، فخذوه إلى خيمتى أو خيمة أحدكم وانتظرونى حتى ألحق بكم .

مسلم : سمعا وطاعة ، هيا بنا يا قوم .

(يحيى سعدا ويخرج ويحذو الآخرون حذوه ويخرجون)

سلمان : **(يرفع يديه إلى السماء)** اللهم اهد أهل فارس وضيعهم ورفيعهم إلى دينك ، حتى يكونوا جميعا مثل مسلم وقباذ وضخم وعشنّق ورافع والرفيل .

سعد : آمين يا رب العالمين .

سلمان : أبشر يا سعد ، فقد اخترت بتوفيق الله ثلاثة رجال كهمّك .

سعد : من هم ؟

سلمان : ربعى بن عامر ، وحذيفة بن محصن ، والمغيرة بن شعبة .

سعد : أكلهم يعرف لغة فارس ؟

سلمان : نعم .

سعد : عجبا ما كنت أعلم أن المغيرة يعرفها .

سلمان : أنه أقل الثلاثة بصرا بها ، ولكنه أدهاهم . لنرمين رستما منه بباقعة .

سعد : صدقت يا أبا عبد الله .

سلمان : وقد عن لى ألا تبعثهم مجتمعين بل واحدا بعد واحد ، ليكون أوقع فى نفوس القوم حين يشهدون وجوها مختلفة تتباين فى سلوكها وأسلوب حديثها ، وتتفق فى صميم دعوتها لا تحيد عنها قيد أنملة .

سعد : (**طربا**) بوركت يا أبا عبد الله ، هذا والله الرأى . لله درُّ ابن الخطاب إذ اختارك رائد المسلمين وداعية أهل فارس ، فنعم الرائد أنت ونعم الداعية .

سلمان : هل تأذن لى فألحق بجماعتى ؟

سعد : مازال عندى كلام كثير لك .

سلمان : غدا إن شاء الله أغدو إليك من أول الصباح .

سعد : مصاحبا يا أبا عبد الله .

(**يخرج سلمان**)

(ستــار)

المشهد السادس

سرادق كبير مفروش بالبسط الفاخرة.
يرى رستم جالسا على سرير من ذهب وحوله على الأرائك قواده وكبار رجاله، فيهم بهمن جاذويه والجالينوس والفيرزان، والهرمزان وبزرجمهر.

رستم : (**يتكلم فى حماسة**) أستحلفكم يا قوم ألا ترون ما أرى؟ ألا تجدون فى هؤلاء أمرا غريبا لا عهد لنا بمثله من قبل؟

بزرجمهر : صدقت يا رستم. ما رأينا مثل هذا ولا سمعنا بمثله ولا قرأناه فيما قرأنا من تاريخ الشعوب.

الفيرزان : (**فى سخرية**) مجدهم أنت أيضا يا بزرجمهر! ألف كتابا فى مناقبهم لعل ملكهم الذى اسمه عمر يجزيك عليه!

بزرجمهر : دعنى أذكرك بما قاله الحكماء قبلى.

الفيرزان : ماذا قالوا؟

بزرجمهر : إن الذى يسخر فى غير موضع السخرية، إنما يسخر من نفسه.

الفيرزان : ما أهون الحكمة وأضيعها فى لسان من يتزلف بها إلى الزعماء والرؤساء.

بزرجمهر : وما أشقى الحكيم حين يجادله من لا يشاكله.

الفيرزان : آأنت تعد نفسك حكيما؟ فوارحمتاه إذن للحكماء.

رستم : على رسلك يا بزرجمهر . دعنى أشرح للفيرزان ما كنت أريد . ألم تشهد يا فيرزان مجلس أمس ومجلس أول من أمس ؟

الفيرزان : بلى .

رستم : سمعت ما قال العربيان ؟

الفيرزان : نعم .

رستم : ألم يدهشك ما سمعت ؟

الفيرزان : كلام واحد مكرر يرددونه كالببغاء .

رستم : قد فاتك إذن شيء هام ، وما كان ينبغى أن يفوتك .

الفيرزان : ما هو ؟

رستم : إن لكل منهما أسلوبا يختلف عن أسلوب صاحبه ، مع اتفاقهما فى المعنى الذى يقصدان . بل إنهما ليتباينان فى كل شيء فى القامة والسحنة والحركة والمشية والإيماءة والنظرة والسمت .

الفيرزان : هكذا هم منذ كانوا لا يجمعهم نظام ولا زى ولا طابع .

رستم : ذلك سر عجبى من اتفاقهم فى كنه الدعوة التى إليها يدعون .

الفيرزان : وما تقول فيما فعلاه أمامنا ؟ أأعجبك أيضا سلوكهما الهمجى ؟

رستم : لا غرو أن تحسبه همجيا إذ فاتك المعنى الذى ينطوى عليه .

الفيرزان : علام ينطوى إلا على الوقاحة وسوء الأدب وقلة الذوق ؟

رستم : أعمل ذهنك قليلا يا فيرزان ، وحاول أن تفهم .

الفيرزان : يا قوم أنصفونى من هذا الذى يضفى على هؤلاء الهمج ما ليس فيهم . ألم تروا أحدهما كيف ربط فرسه على مدخل الإيوان ، ثم جلس على الأرض وركز رمحه فى البساط ؟

رستم : أخبروه يا قوم ماذا قصد من ذلك ؟

الفيرزان : جلف أراد أن يتحداك فى سلطانك ، وقد فعل .

رستم : إنى أعيذكم يا قوم ألا يكون بينكم من يدرك أكثر من ذلك .

بزرجمهر : رآنا نعظّم هذه البسط والأرائك والرياش ، فأراد أن يرينا أن همتهم فوق ذلك .

رستم : أحسنت يا بزرجمهر .

جاذويه : وأراد كذلك أن يشعرنا بأنه غلبنا على أرضنا ، إذ جلس عليها دوننا .

رستم : أحسنت يا جاذويه .

الفيرزان : والجلف الثانى الذى دخل راكبا حتى وقف أمامك وأمرته أن ينزل فأبى ، ما تقول فيه ؟

رستم : ألم تفهم ماذا قصد ؟

الفيرزان : ماذا قصد إلا أنه أهانك وأهاننا جميعا معك .

رستم : كلا يا فيرزان ، أراد أن يشعرنا بأنه هو فى يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا .

الفيرزان : خبرنى يا رستم ؛ أفهمت ذلك ساعة وقع أم فهمته الآن فقط ؟

رستم : بل ساعة وقع .

الفيرزان : فكيف تركتهما دون أن تعاقبهما على ذلك ؟

رستم : ويحك! أتريدنا أن نفقد حلومنا؟ فذلك ما يبغيه أميرهم سعد ومن ورائه عمر.

الفيرزان : فلقد بلّغت سعدا وعمر ما يريدان بتثاقلك عن الحرب وترددك بين الإقدام والإحجام، حتى توقّح علينا هؤلاء الأجلاف.

الهرمزان : (**ينظر إلى الفيرزان كالمؤيد له**) والثالث الذى هو آت إلينا اليوم، ترى ماذا هو فاعل؟

الفيرزان : (**متشجعا**) ألا يستطيع أحد أن يتكهن ماذا هو فاعل؟ فكروا من الآن حتى لا تتهموا بالغباوة وسوء الفهم.

(**يدخل أحد الحجاب**)

الحاجب : رسول العرب يا مولاى قد حضر.

رستم : دعوه يدخل. (**يخرج الحاجب**) انظروا يا قوم إليه. لقد أطلنا اليوم مسافة البُسُط التى يقطعها إلينا حتى نتمكن من تأمله وهو يمشى عليها. إنك لا تستطيع أن تهزم عدوك إلا إذا عرفت سر قوته، فانظروا وتأملوا وتبصروا.

(**يدخل كثير من الخدم والأتباع متسللين، حيث ينبثون فى جوانب السرادق**)

(**تتوجه أبصار الجميع جهة المدخل، ثم يظهر المغيرة بن شعبة ماشيا فى خطى ثابتة دون أن يلتفت يمنة أو يسرة، حتى إذا دنا من كرسى رستم اعترضه أحد الجلاوزة**)

الجلواز : قف هنا عندك.

المغيرة : أنت رستم؟

الجلواز : (**مستعظما**) لا .. ذاك رستم .

المغيرة : (**بلهجة آمرة**) تنح إذن عن طريقى (**محييا**) عم صباحا يا رستم . (**يثب نحو رستم فإذا هو جالس بجنب رستم على سريره ، يدهش الجميع ويراع الحرس فينقضون عليه وينزلونه من السرير فى غلظة**) ألهذا دعوتنا يا رستم ؟

الحرس : أيها العربى ، كيف تريد أن تجلس على سرير رستم ؟

المغيرة : ليحادثنى وأحادثه .

الحرس : ما ينبغى لأحد أن يجلس على سرير رستم . اجلس هنا على هذا المقعد .

المغيرة : كلا لا أجلس إلا حيث أريد . (**يدير بصره فى وجوه الحاضرين**) يا أهل فارس كانت تبلغنا عنكم الأحلام ، ولا أدرى قوما أسفه اليوم منكم . إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضا ، فظننت أنكم تتواسون فيما بينكم كما نتواسى . وكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض ، إذن لتركتكم وما ارتضيتم لأنفسكم من الذل . وأنا لم آتكم ولكن دعوتمونى . اليوم علمت أن أمركم مضمحل ، وأنكم مغلوبون ، وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول .

(**همهمة سخط فى صفوف العلية ، وهمهمة استحسان من صفوف الخدم والسفلة**)

رستم : هذا فعل الحرس وليس من فعلنا .

المغيرة : أنتم الذين نصبتم هؤلاء الحرس ليذلوا الناس لكم، وكان عليكم أن تنبهوهم من قبلُ أن يتركونى وشأنى فإنى لست عبدا من عبيدكم، إذن لما سمعتم منى ما يحرجكم أمام هؤلاء المستضعفين من قومكم.

رستم : هلم اجلس بجنبى على السرير، لتعلم أن ما قلته عنا غير صحيح.

المغيرة : (**يجلس على سرير رستم**) يسرنى يا أهل فارس أن قائدكم رستما قد فاء إلى الحق معى، وأرجو أن يفىء إلى الحق معكم!

رستم : دع عنك هذا يا عربى. إننا لم نزل متمكنين فى البلاد، ظاهرين على الأعداء، أشرافا فى الأمم، ليس لأحد مثل عزنا وسلطاننا. أما أنتم فلم يكن فى الأمم أمة أصغر عندنا شأنا منكم، وكنتم تقصدوننا إذا قحطت بلادكم فنأمر لكم بشىء من التمر والشعير ثم نردكم.

المغيرة : كل ما قلته حق. ولكن ذلك كان فيما مضى، قبل أن يبعث الله فينا هذا الرسول بالحق والهدي، لنقوم بنشرهما على العالم كله. والدنيا كما تعلم دُوَل، ولم يزل أهل الشدائد يتوقعون الرخاء حتى يصيروا إليه، ولم يزل أهل الرخاء يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم.

رستم : ويلكم أتريدون أن تملكوا جميع العالم؟

المغيرة : كلا، ولكن علينا حقا أن نخرج الناس من عبادة أشرافهم ورؤسائهم وملوكهم، إلى عبادة الله وحده فى كل مكان يسوقنا الله إليه.

رستم : إننى لأحسب ما حملكم على ما صنعتم إلا الجهد والقحط فى بلادكم كدأبكم فيما سلف ، فماذا ترون لو أعنَّاكم بما يعوزكم من الطعام والميرة ، وتنصرفون عنا فإنى لست أشتهى أن أقتلكم .

المغيرة : يا رستم عن أى جهد تتحدث اليوم ؟ ألا تعلم أننا استولينا على معظم بلاد سورية حتى اضطررنا هرقل إلى الفرار بنفسه إلى عاصمته ؟ أما تعلم يا رستم أن أميرنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يمدنا بالغنم والجُزُر والميرة طوال مسيرنا من المدينة إلى القادسية ؟ وأنه يعلم كل صغيرة وكبيرة عنا وعنكم ، وأنه يشاركنا بالرأى والنصيحة من مقامه بالمدينة فكأنه حاضر لدينا . أفهذا يا رستم فعل من أضرَّ به الجهد ليرده القليل مما عندكم ؟

رستم : لعلكم تريدون أن تضموا إليكم هذا الجزء من السواد الذى يقطنه قبائل من بنى جنسكم من النمر وتغلب وإياد ، فإن كان ذلك ما تطلبون فسنتفاوض فى هذا الأمر لعلنا نتفق على حل يرضينا ويرضيكم .

المغيرة : يا رستم ينبغى أن تعلم أن نبينا لم يبعث للعرب خاصة ، بل بعث للناس عامة ، وأن ديننا لخير البشر أجمعين ، ولا فضل فيه لعربى على عجمى ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى . فليس هؤلاء العرب المقيمون فى هذه الناحية بأكرم علينا منكم إن اهتديتم إلى الحق . وإنك لتعلم يا رستم أن هؤلاء العرب قد قاتلونا فى سبيلكم بأشد مما قاتلتمونا أنتم ،

فقاتلناهم بأشد مّما قاتلناكم وأن قليلا منهم رغب أن يقاتل معنا فقبلنا ذلك منهم، لعلهم يهتدون لما اهتدينا إليه.

رستم : إذن فماذا تريدون؟

المغيرة : اختاروا إحدى ثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتال:

رستم : إنى لأعجب من ذكركم الجزية، إن الجزية إنما يدفعها الأضعف للأقوى، فكيف تطمعون فى ذلك؟

المغيرة : نحن الأقوى بالله وبالحق وبالعدل والحرية، وأنتم الأضعف بالباطل وبالظلم واستعباد الأشراف للمستضعفين.

رستم : أى حق وأى عدل إذا طمعتم فى أموالنا، فطلبتم منا الجزية بغير حق؟

المغيرة : هذه الجزية تدفعونها من أجل حمايتكم والذبّ عنكم. فإذا أسلمتم فعليكم دفع الصدقة.

رستم : جزية.. صدقة.. إنكم تريدون المال بأى سبيل. تأخذونه منا إذا لم نسلم، وتأخذونه منا إذا أسلمنا.

المغيرة : هداك الله يا رستم، ليس الأمر كما ذكرت. فالجزية ضريبة الدفاع نقاتل بها عنكم، ونصون أموالكم وأعراضكم وأنفسكم، فإذا عجزنا عن ذلك فلا جزية لنا عليكم، فأما الصدقة إذا أسلمتم فتؤخذ من أغنيائكم وترد على فقرائكم، كما تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا.

رستم : لقد تبين لنا الآن أنكم تأبون إلا القتال، فاعبروا إلينا ليفصل السيف بيننا وبينكم.

المغيرة : بل اعبروا أنتم.

رستم : اتركوا لنا هذه القنطرة نعبر عليها .

المغيرة : كلا لا نرد عليكم شيئا غلبناكم عليه .

رستم : فماذا نصنع إذن ؟

المغيرة : اعبروا إلينا من طريق آخر غير القنطرة ، أو ابقوا بهذا المكان ما شئتم ، فإننا باقون هنا عاما أو عامين أو أكثر ، حتى تقبلوا منا إحدى الخصلتين الإسلام أو الجزية .

رستم : (**فى حدة**) كلا ليس بيننا وبينكم غير السيف .

المغيرة : فما الذى يمنعكم من ذلك ؟ أهذه النُطيفة يا رستم أم خوفك مما ينتظركم بالضفة الأخرى من سوء المصير ؟

رستم : اسكت يا أعور !

المغيرة : لو كنت جبانا لبقيت عيناى سليمتين كعينيك هاتين .

رستم : اسكت .

المغيرة : لا أسكت حتى تسمع قصة عينى ؛ أتدرى أين فقدتها ؟

رستم : أين ؟

المغيرة : فى معركة اليرموك ، حيث هزمنا الروم هزيمة ماحقة .

رستم : غداً يا أعور نجعلك أعمى ، فإن عندنا الرُماةَ لا يخطئون الحدق .

المغيرة : ليكن حظنا فى القادسية مثل حظنا فى اليرموك ، ولتذهب عينى الثانية . لكنك واآسفاه لن ترانى وأنا أعمى كما يرانى - باهان قائد الروم وأنا أعور !!

(يصمت رستم قليلا كأنما تطير من هذا القول)

رستم : إنى مازلت أطمع أن ترجعوا إلى صوابكم، فأبلغ أميركم ذلك وقل له يبعث إلينا رجلا يكلمنا ونكلمه لعلنا نتفق معه على شيء.

المغيرة : حبا وكرامة. سيأتيك الرجل غدا ويأتيك غيره بعد غد ثم غيره ثم غيره، لن نكل أبدا حتى تكلوا أنتم. نحن دعاة حق فأحب شيء إلينا أن تسمعوا منا مرة بعد مرة لعلكم تهتدون. إننا لا نرهب قتالكم لأننا واثقون بنصر الله لنا، ولكن إسلامكم أحب إلينا من غنائمكم، وحياتكم أحب إلينا من موتكم.

رستم : يا هذا حسبك! إنى حملتك رسالة إلى أميرك وأريد جوابها منه لا منك.

المغيرة : يا رستم أنا وأميرى شيء واحد. نحن المسلمين كالجسد الواحد بعضنا من بعض يجير أدنانا على أعلانا، ولسنا مثلكم بعضكم أرباب بعض. (يخرج)

(يتسلل الخدم والأتباع خارجين خلفه لينظروا إليه)

الفيرزان : أرأيتم كيف افتتن به العبيد والسفلة؟ لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه.

الجالينوس : ليتنا كنا منعنا هؤلاء السفلة والعبيد من دخول هذا السرادق اليوم.

جاذويه : أجل لقد كثروا اليوم كأنما دعاهم داع.

الهرمزان : كلا يا قوم لقد سمعوا شيئا من هذا الكلام أمس، فلو منعتموهم اليوم لكان ذلك أحرى أن يضاعف الخطر الذى تخشونه.

الفيرزان : ما كان ينبغي أن يسمح لهؤلاء العرب بالحضور ألبتة . لقد كان ذلك من خطل الرأى .

رستم : كن أنت يا فيرزان كالنعامة تخفى رأسها فى الرمل حين ترى الخطر . أما أنا فليس ذلك من طبعى ولا أرضاه لقومى .

الفيرزان : أفيرضيك أن يفتتن عبيدنا وخدمنا بأقوال هؤلاء ومذهبهم ؟

رستم : بل أشفق عليهم من ذلك .

الفيرزان : فما تماديك فى دعوة هؤلاء للحضور واحداً بعد واحد ؟ لقد جاءك ثلاثة منهم فسمعت منهم وسمعوا منك ، فماذا تريد بعد ، أتطمع أن تحملهم على ترك دينهم إلى دينك ؟ أم تريد أن تعرف المزيد عن دينهم لعلك تقتنع به فتعتنقه ؟

الهرمزان : أجل يا رستم ، ما كان لك أن تطلب منهم رجلا آخر بعد هؤلاء الثلاثة .

رستم : أواه ! ماذا أصنع لأجعلكم تفهمون ما أرمى إليه ؟ إنى أطاولهم لعل أمراً يحدث مما لا يخطر لنا ولا لهم على بال . لعل خلافا فى الرأى يقع بينهم . فقد بلغنى أن فريقا منهم قد شغبوا على أميرهم سعد . قل لهم يا جاذويه ماذا حدث ؟

جاذويه : أنكروا على أميرهم احتجابه عنهم فى قصر قُديس لمرضه وعجزه عن الخروج .

الفيرزان : إذن فماذا تنتظرون ؟ هذا أصلح وقت لمناجزتهم القتال إن كنتم تريدون القتال ، وإلا فيا ضيعة فارس فى قائدها ! بالليل ينظر فى النجوم وبالنهار ينظر فى وجوه العرب !



انصرفوا الآن .. ليذهب كل قائد إلى رجاله فليأمرهم بالتعبئة

رستم : ما أنت وذاك؟ إنما أنت فيّاش فإذا عضتك الحرب بنابها فررت ونجوت بنفسك.

الفيرزان : سوف يعلم الجيش غدا أينا الفيّاش.

رستم : إنك خرجت معنا وعقلك فى المدائن تدبر الخطط للمستقبل، ويلك إن خسرنا هذه المعركة فلن يكون لفارس مستقبل.

الفيرزان : رمتنى بدائها وانسلت. بل أنت الذى تركت عقلك فى المدائن.. فى مخدع هناك. إنك لا تريد أن تحارب خشية أن تفقد حياتك، فيقيم فى المخدع سواك.

رستم : كذبتك نفسك. لقد عزمت أن أناجزهم القتال، فاستعد أيها الفارس الشجاع.

الجميع : متى يا رستم؟

رستم : فى الحال.

الهرمزان : لكنك أرسلت إلى أميرهم ليبعث لك رجلا آخر.

رستم : لا بأس.. لكى نفاجئهم على غرة. انصرفوا الآن. ليذهب كل قائد إلى رجاله فليأمرهم بالتعبئة ليكونوا على أهبة.

(يخرجون جميعا ما عدا جاذويه والبندوان فقد استبقاهما بإشارة من يده).

جاذويه : ماذا حملك على تغيير خطتك؟ إن كان الفيرزان فسنكفيك أمره.

رستم : لو كان الفيرزان وحده لهان علينا أمره. ولكن ماذا نصنع فى شاهنشاه؟ لقد أرسل إلىّ اليوم يهددنى إن لم أعبر إليهم وأناجزهم القتال ليحضرن هو بنفسه.



أواه لقد غلبنى عمر .. عمر أكل كبدى .. أكل كبدى عمر !

جاذويه : لا مناص إذن من المناجزة .

رستم : فليشهد التاريخ غدا أننى أكرهت على هذه الخطة ، وأننى أطعت مليكى وعصيت صوابى .

البندوان : وعلام عولت يا أخى ؟ على اقتحام القنطرة أم ردم العَتيق ؟

رستم : ماذا ترى يا جاذويه ؟

جاذويه : إن جيشنا كبير والقنطرة غير مأمونة حتى لو انتزعناها من يد العدو ، فإذا أردنا أن نضمن لنا طريقا ثابتا ، وألا يشطر بعض جيشنا عن بعض فلنردم جانبا من النهر .

رستم : أحسنت يا جاذويه ، هذا هو الرأى الذى عولت عليه قد زدتنى به بصيرة . آه لو وافقنى على خطتى هذا الملك الصغير .. إذن لطاولت هؤلاء العرب وصابرتهم ، وإذن لضمنت النصر .

جاذويه : لا تبتئس يا رستم فإننا سننتصر عليهم بمشيئة أهرمن .

رستم : (يتمتم شارد الفكر كأنه لم يسمع ما قاله جاذويه) أواه لقد غلبنى عُمر .. عمر أكل كبدى .. أكل كبدى عمر !!

(ستــار)

مؤلفات الأستاذ : علي أحمد باكثير

١ ـ إخناتون ونفرتيتي .
٢ ـ سلامة القس .
٣ ـ وا إسلاماه .
٤ ـ قصر الهودج .
٥ ـ الفرعون الموعود .
٦ ـ شيلوك الجديد .
٧ ـ عودة الفردوس .
٨ ـ روميو وجولييت (مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل) .
٩ ـ سر الحاكم بأمر الله .
١٠ ـ ليلة النهر .
١١ ـ السلسلة والغفران .
١٢ ـ الثائر الأحمر .
١٣ ـ الدكتور حازم .
١٤ ـ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .
١٥ ـ مسمار جحا .
١٦ ـ مأساة أوديب .
١٧ ـ سر شهر زاد .
١٨ ـ سيرة شجاع .
١٩ ـ شعب الله المختار .
٢٠ ـ إمبراطورية في المزاد .

٢١ ـ الدنيا فوضى .
٢٢ ـ أوزوريس .
٢٣ ـ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية .
٢٤ ـ دار ابن لقمان .
٢٥ ـ قطط وفيران .
٢٦ ـ هاروت وماروت .
٢٧ ـ جلفدان هانم .
٢٨ ـ الفلاح الفصيح .
٢٩ ـ حبل الغسيل .
٣٠ ـ الشيماء (شادية الإسلام) .
٣١ ـ هكذا لقى الله عمر .
٣٢ ـ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات سياسية) .
٣٣ ـ إله إسرائيل .
٣٤ ـ الزعيم الأوحد .
٣٥ ـ الدودة والثعبان .
٣٦ ـ الملحمة الإسلامية الكبرى « عمر » (فى ١٩ جزءا) .

رقم الإيداع : ٣٦٢٦ ــ ٨٥
الترقيم الدولى : ٧ ــ ٠١٥٨ ــ ١١ ــ ٩٧٧

